



Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES







# نَفْحُ الطَّيِّبِ

مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

تأليف

أديب المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

المتوفى في عام ١٠٤١ من الهجرة

حققه ، وضبط غرائبه ، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء العشرون

893.7M32

03

٢١/٥

## الطبعة الأولى

في عام ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

٧١/٥

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ، شارع محمد علي ، بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله ، وعلى آله وأصحابهم .

والله اعلم بالصواب ، والحمد لله رب العالمين . (1)  
هذا هو المتن الصحيح ، والله اعلم بالصواب .  
وبالله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

## الباب الثاني

في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج ، المستفيدين أنواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراج الوهاج .  
اعلم أن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون ، إلا أنه لم يرزق السعادة في كثير منهم ، بل بارزوه بالعداوة ، واجتهدوا في إيصال المكروه إليه .

أبو عبد الله ابن زمرك من أشهرهم الوزير الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك ، وارث مرتبته من بعده ، ومقتعد أريكة سعده ، وقد ألمع به في « الإحاطة » وكان إذ ذاك من جملة أتباعه ، إذ قال ما محصلة : محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زمرك .

أصله من شرقي الأندلس ، وسكن سلفه روض البيازين من غرناطة ، وبه ولد ونشأ ، وهو من مفاخره .

حاله هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس ، وأفراد مجتباتها ، مختصر<sup>(١)</sup> مقبول ، هش ، خلوب ، عذب الفكاهة ، حلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، شره المذاكرة ، فطن بالمعاريض ، حاضر الجواب ، شعلة من شعل الذكاء ، تكاد تخدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكاهة ، غزل مع حياء وحشمة ، جواد بما في يده ، مشارك لإخوانه ، نشأ عفا طاهراً ، كلفا بالقراءة ، عظيم الثوب ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، ظاهر النبل ، بعيد مدى الإدراك ، جيد الفهم ، فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشا خبره ، واضطلع بكثير من الأغراض ، وشارك

(١) كذا في ب و ط ، وفي الإحاطة « مختص » ولو قرأت « مختصر » لكان لها وجه ، ومعناه أن له مجلساً يحضره الناس ، وتكررت هذه اللفظة في ترجمته الآتية ( ص ٢٤ ) عن ابن الأحمر ، بمعنى صغير الحجم .

في كثير من الفنون ، وأصبح متلقف كرة البحث<sup>(١)</sup> ، وصار خ الحلقة ، ومظنة الكمال ،  
ثم ترقى في درجة المعرفة والاضطلاع ، وخاض لجة الحفاظ ، وركض قلم التقيد  
والتسويد والتعليق ، ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي المنصوب ، وفوق  
المخمل المجموع ، مستظهِراً بالفنون<sup>(٢)</sup> التي بُعِدَ فيها شأوه من العربية والبيان ،  
وما يقذف به في لج النقل من الأخبار والتفسير ، متشوقاً مع ذلك إلى السلوك ،  
لمصاحباً للصوفية ، أخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة ، ثم عانى الأدب ، فكان أملك  
به ، وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد ، فترقى إلى الكتابة عن ولد السلطان  
أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان  
ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف في باب الإجابة ، ولما جرت الحادثة على  
السلطان صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس له ، وانقطع إليه ،  
إليه ، وكر في صحبة ركا به إلى استرجاع حقه ، فلفظ منه محله ، وخصه بكتابة  
سره ، وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة ، فأقره على رسمه معروف  
الانقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مضطرباً بالخطبة خطأ وإنشاء ولنا وقداء ،  
فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته ، ووسع  
الناس نخلقه ، وأرضى للسلطان حمله ، وامتد في ميدان النظم والنثر بابه ، فصدر  
عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الإجابة ، وهو بحاله  
الموصوفة إلى هذا العهد ، أعانه الله تعالى وسدده !

شيوخه - قرأ العربية على الأستاذ رحلة إلى المغرب في فنها أبي عبد الله  
ابن الفخار ، ثم على القاضي الشريف إمام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد  
الحسني ، والفقهاء العربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن لب ، واختص بالقيمة

(١) كناية عن غلبته وسبقه

(٢) استظهر فلان بكذا : أي تقوى به

الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق . فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقى  
القاضي الحافظ أباعبد الله المقرئ عندما قدم من الأندلس ، وذاكره ، وقرأ الأصول  
الفقهية على أبي علي منصور الزواوي ، ويروى عن جماعة منهم القاضي أبو البركات  
ابن الحاج ، والمحدث أبو الحسين بن التلمساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي ،  
والمقرئ أبو عبد الله بن بيش ، وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على  
الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني ، واختص به اختصاصاً  
لم يخل فيه من استفادة مران وحنكة في الصنعة .

شعره - وشعره مترام إلى هدف الإجادة ، خفاجي النزعة<sup>(١)</sup> ، كلف بالمعاني  
البدعية والألفاظ الصقيلة ، غزير المادة ، فمن ذلك ما خاطبني به ، وهو من أول  
ما نظمته قصيدة مطلعها :

\* أما وانصداع النور من مطلع الفجر \*

وهي طويلة .

ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتها  
الزهد بأويس ، ولم يجل مجاريه ومباريه إلا بويح وويس ، قوله في إغذار الأمير  
ولد سلطانه ، المنوه بمكانه ، وهي من الكلام الذي عنيت الإجادة بتذهيبه  
وتهذيبه ، وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه :

مُعَاذُ الْمَوَى أَنْ أَصْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا	وَأَنْ يَشْغَلَ اللَّوْثَ بِالْعَذْلِ نَالِيَا
دَعَانِي أَعْطِ الْحُبَّ فَضْلَ مَقَادِي	وَيَقْضِ عَلَيَّ الْوَجْدَ مَا كَانَ قَاضِيَا
وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَاضِلُ صَبُوءَا	رَمَتْ بِي فِي شِعْبِ الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
وَقَلْبَ إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْضَى مَوْهِنَا	قَدَحَتْ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشُّوقِ وَارِيَا <sup>(٢)</sup>

(١) نسبة إلى « ابن خفاجة » شاعر الطبيعة الأندلسي

(٢) الموهن : القطعة من الليل

خليلى إني يوم طارقة النوى  
وبالخيف يوم نفر يا أم مالك  
وذى أثر عذب الثنايا مخصر  
أحوم عليه مادجا الليل ساهرا  
يضى ظلام الليل ما بين أضلعي  
أجبرتني بالرمل والرمل منزل  
ولم أر ربعا منه أقضى لبانة  
سقت طله العر النوادي ونظمت  
أشكم أنى على النأى حافظ  
أناشدكم والحر أوفى بعهده  
هل الود إلا ما نحماه كاشح  
تأوبنى والليل يذكي عيونه  
وقد مثلت زهر النجوم بأفقه  
خيال على بعد المزار ألم بي  
عجبت له كيف أهتدى نحو مضجعي  
رفعت له نار الصبابة فاهتدى  
ومما أجدّ الوجد سرب على النقا  
نزعن عن الأحاظ كل مسدد  
ولما تراءى السرب قلت لصاحبي  
حذارك من سقم الجفون فإنه

شقيت بمن لو شاء أنعم باليا  
تخلفت قلبي في حبالك عانيا<sup>(١)</sup>  
يسقى به ماء النعيم الأفاحيا  
وأصبح دون الورد ظمان صاديا<sup>(٢)</sup>  
إذا البارق النجدى وهنا بداليا  
مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا  
وأشجى حمامات وأحلى مجانيا  
من الطر في جيد الغصون لآليا  
ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا  
ولن يعدم الإحسان والخير جازيا  
وأخفق في مسعاه من جاء واشيا  
ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا<sup>(٣)</sup>  
حبابا على سهر الجرة طافيا  
فأذكرني من لم أكن عنه ساليا  
ولم يبق منى السقم والشوق باقيا  
وخاض لها عرض الدجنة ساريا  
سوانح يصقلن الطلا والتراقيا  
فغادرن أفلاذ القلوب دواميا  
وأيقنت أن الحب ماعشت دائيا  
سيعدى بما يعي الطبيب مداويا

(١) تخلفت ، هنا : أي تركته خلفي

(٢) الصادى : العطشان

(٣) الدجنة - بضم الدال والجيم وتشديد النون مفتوحة - شدة الظلام

وإن أمير المسـلمين محمداً  
 تضىء النجوم الزاهراتِ خلاله  
 معالٍ إذا ما النجم صوب طالباً  
 يسابق غُلويَّ الرياح إلى الندى  
 ويفضى عن العواء إغضاء قادر  
 حمام يروع الأسد في حومة الوغى  
 مناقب تسمو للفخار كأنما  
 إذا استبق الأملاك يوماً لغاية  
 بهرت فأخفيت الملوك وذكرها  
 جلوت ظلام الظلم من كل معتد  
 هديت سبيل الله من ضل رشده  
 أفدت وحيَّ الملك بما أفدته  
 وقد عرفت منها مَرَيْنٌ سوابقا  
 وكان أبو زيان جيداً معطلا  
 لك الخير لم تقصد بما قد أفدته  
 فما تكبر الأملاك غيرك آمرا  
 ولا تشتكى الأيام من داء فتنة  
 وأندلس أوليت ما أنت أهله  
 تلافيت هذا الثغر وهو على شفى  
 ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها

ليعدى نداء الساريات الهواميا<sup>(١)</sup>  
 وينفث في روع الزمان المعاليا  
 مبالغها في العز حَلَقَ وانيسا  
 ويفضح جدوى راحتيه الغوايا  
 ويرجح في الحلم الجبال الرواسيا  
 كما راعت الأسد الظباء الجوازيا<sup>(٢)</sup>  
 تجارى إلى المجد النجوم الجوازيا  
 أبيت وذاك المجد إلا التناهيا  
 ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا  
 ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا  
 فلا زلت مهدياً إليه وهاديا  
 وطوّقت أشراف الملوك الأياديا<sup>(٣)</sup>  
 تقر لها بالفضل أخرى اللياليا  
 فزيفته حتى اغتدى بك حاليا  
 جزاء ولكن همة هى ماهيا  
 ولا ترهب الأشراف غيرك ناهيا  
 فقد عرفت منك الطيب المداويا  
 وأوردتها وردا من الأمن صافيا  
 وأصبحت من داء الحوادث شافيا  
 وحاموا على ورد الأمانى صواويا

(١) السوارى : جمع سارية ، وأراد السحائب ، والهوامى : أى الممطرة

(٢) الجوازيا : جمع جازية ، وأصلها الهمزة ، وهو الوحش بأسره ، ووقع في

ب د الحوارياء تحريف (٣) وحي الملك : سريعه

فما يأملون العيش إلا تغللا  
عظفت على الأيام عطفة راحم  
فَأَنْسَ من تلقائك الملكُ رشده  
وقفت على الإسلام نفسا كريمة  
فرأى كما انشق الصباح ، وعزيمة  
وكانت رماح الخط خصا ذوابلا  
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا  
لك العزم تستجلي الخطوب بهديه  
إذا أنت لم تفخر بما أنت أهله  
ويهنئك دون العيد عيد شرعته  
أقت به من فطرة الدين سنة  
صنيع تولى الله تشييد فخره  
تود النجوم الزهر لومثلت به  
وما زال وجه اليوم بالشمس مشرقا  
على مثله فليمقد الفخر تاجه  
به تغمر الأنواء كل مفوه  
ويوسف فيه بالجمال مقنع  
وأقبل ما شاب الحياء مهابة  
وأقدم لاهيابة الحفل واجما  
شماثل فيه من أيه وجده

ولا يعرفون الأمن إلا أمانيا  
وألبتها ثوب امتنانك ضافيا<sup>(١)</sup>  
ونال بك الإسلام ما كان راجيا  
تصد عدوا عن حماه وعاديا  
كما صقل القين الحسام اليمانيا<sup>(٢)</sup>  
فأنهلت منها في الدماء صواديا  
فأصدرته في الروع أحمر قانيا  
ويُلقي إذا تنبو الصوارم ماضيا  
فما الصبح وضاح المشرق عاليا  
نبث به في الخافقين التهانيا  
وجددت من رسم الهداية عافيا  
وكان لما أوليت فيه مجازيا  
وقصت من الزلثني إليك الأمانيا  
سرورا به والليل بالشهب حاليا  
ويسمو به فوق النجوم مراقيبا  
ويحدوه من كان بالقفر ساريا  
كأن له من كل قلب مناجيا  
يقلب وجه البدر أزهر باهيا  
ولا قاصرا فيه الخطأ متوانيا  
تري العز فيها مستكنا وباديا

(١) ضفا يصفو : سبغ

(٢) القين - بالفتح - الحداد ، وصانع السيوف

فبنا علقا أشجى القلوب لو أننا  
 جريت فأجريت الدموع تعطفنا  
 وكم من ولى دون بابك مخلص  
 وصيّد من الحيين أبناء قيّة  
 بهاليل غر إن أعدوا لغارة  
 فوالله لولا أن توخيت سنة  
 لكان بها للأعوجيّات جولة  
 وترك أوصال الوشيج مقصّدا  
 ولما قضى من سنة الله ما قضى  
 أفضنا نهى منك أكرم منعم  
 فيهنى صفاح الهند والبأس والندى  
 ويهنى البنود الخافقات فإنها  
 كآنى به قد توجّج الملك يافعا  
 وقضى حقوق الفخر فى ميعّة الصّبّا  
 وما هو إلى السعد إن رمت مطلعا  
 فلا زلت يا فخر الخلافة كافلا  
 ودُمّت قرير العين منه بغبطة  
 نظمت له حر الكلام تملأ  
 لآل بها تبسأى الملوك نفاسة  
 أرى المال يرميه الجديدان باليلي

فدينك بالأعلاق ما كنت غالبا  
 وأطلعت فيها للسرور فواشيا  
 يُفدّيه بالنفس النفيسة واقيا  
 تكف الأعداى أو تنيد الأعدايا<sup>(١)</sup>  
 أعادوا صباح الحى أظلم داجيا  
 رضيت بها أن كان ربك راضيا  
 تشيب من الغلب الشباب النواصيا  
 ويبيض الظبا حمر المتون دواميا  
 وقد حسدت منه النجوم المساعيا  
 أبى لعميم الجود إلا تواليا  
 ومُمرّ العوالى والعقاق المذاكيا  
 سيعقدها فى ذمة النصر غازيا  
 وجمّع أشتات المكارم ناشيا  
 وأحسن من دين الكمال التقاضيا<sup>(٢)</sup>  
 وسدّدت سهما كان ربك راميا  
 ولا زلت ياخير الأئمة كافيا  
 وكان له رب البرية واقيا  
 جعلت مكان الدر فيها القوافيا  
 وجأت لعمري أن تكون لآليا  
 وما إن أرى إلا المحامد باقيا

(١) أبناء قيلة - بفتح القاف وسكون الياء - الأنصار

(٢) فى ب « منعة الصبا » تحريف

وورد على السلطان أبي سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وَفَدَّ الأحايش  
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى « بالزرافة » فأمر من  
يُعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض ، فقال وهي من بدائعہ :

لولا تَأَلَّقَ بَارِقُ التَّذْكَارِ	ما صاب واكفُ دمعِي المِدرارِ
لكنه مهما تعرض خافقا	قدحت يد الأشواق زند أوارِي <sup>(١)</sup>
وعلى المَشُوقِ إذا تذكر معهدا	أن يُقَرِّيَ الأجفانَ باستِمْبارِ
أذكرى غرناطة حات بها	أيدي السحاب أزرة النُورِ
كيف التخلص للحديث وبيننا	عرض الفلاة وطافح الزَّخارِ <sup>(٢)</sup>
هذا على أن التغرب مركب	وتولج الفيج الفساح شعاري <sup>(٣)</sup>
فلكم أفت غداة زُمْتُ عيسهم	أبغى القرار ولات حين قرار
وظفقت أستقرى المنازل بعدهم	يمحو البكاء مواقع الآثار
إنَّا بنى الآمال نخدعنا المنى	فنخدع الآمال بالتسيار
نتجشم الأهوال في طلب العلا	وزرع سِرْبَ النوم بالآفكار
لا يحرز المجد الخطير سوى امرئ	يعطى العزائم صهوة الأخطار
إما يُفَاخِرْ بالعقاد فقخره	بالمشرفة والقنا الخطار
مستبصر مرعى العواقب واصل	في حمله الإيراد بالإصدار
فأشد ما قاد الجهول إلى الردى	عمه البصائر لاعمى الأبصار
ولربَّ مربد الجوانح مزيد	سبح الهلال بلجّه الزخار
ففت كأم جنحه عن أئجج	سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطئ الحجر رجسا	تصطف منه على خليج جارى

(١) الأوار - بضم الهمزة ، بزنة غراب - حرقه الباطن

(٢) في ب « وطافح زخار » وعليه يكون في البيت الإقواء

(٣) الفيج : جمع فيحاء ، وهي الواسعة ، وأراد الصحراء

وكأنما بدر التمام بجنحه  
وكأنما خمس الثريا راحة  
أمرجت من عزمي مصاييحها  
وارتاع من بازى الصباح غرابه

ومنها :

وغريبة قطعت إليك على الونى  
تنسيه طيِّتُهُ التي قد أمها  
يقتادها من كل مشتمل الدجى  
أشدو بحمد المستعين خداتها  
إن مسهم لفح الهجير أبلَّهم  
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت  
سلمت بسعدك من غوائل مثلها  
وأنتك يا ملك الزمان غريبة  
مَوْشِيَة الأعطاف رائقة الحلى  
راق العيون أديمها فكأنه  
ما بين مبيض وأصفر فاقع  
يحكى خدائق نرجس في شاهق  
تحدو قوائم كالجدوع وفوقها  
وسمت بجيد مثل جذع مائل  
تستشرف الجدرات منه ترابا

(١) بيدًا تبيد بها هموم السارى  
(٢) والركب فيها ميت الأخبار  
وكأنما عيناه جذوة نار  
يتعللون به على الأكوار  
منه نسيم ثنائك المعطار  
منها خلوص البدر بعد سراز  
وكفى بسعدك حاميا لذمار  
قيد النواظر نزهة الأبصار  
رقت بدائعها يدُ الأقدار  
روض تفتح عن شقيق بهار  
سال اللجين به خلال نُضار  
تنساب فيه أراقم الأنهار  
جبل أشم بنوره متوار  
سهل التعطف لين خوار  
فكأنما هو قائم بمنار

(١) اليد : جمع يباء ، وهى الصحراء ، وتبيد : تهلك .

(٢) الطية — بكسر الطاء — النية والوجهة .

نَاءَتْ بِكَلْكَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا      وَمَشَى بِهَا الْإِعْجَابُ مَشَى وَقَارٌ<sup>(١)</sup>  
 خَرَجُوا لَهَا الْجَمُّ الْفَقِيرُ ، وَكُلُّهُمْ      مُتَعَجِبٌ مِنْ لُطْفِ صَنْعِ الْبَارِي  
 كُلُّ يَقُولُ لِصَحْبِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا      كَيْفَ الْجِبَالُ تَقَادُ بِالْأَسْيَارِ  
 أَلْقَتْ بِيَابِكِ رَحْلَهَا وَاطْلُمَا      أَلْقَى الْغَرِيبُ بِهِ عَصَا التَّسْيَارِ  
 عَلِمَتْ مَلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا      فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِي مَضَارِ  
 يَقْبُوءُونَ بِهِ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى      مِنْ جَاهِكَ الْأَعْلَى أَعَزَّ جَوَارِ  
 قَارِفَعٍ لَوَاءِ الْفَخْرِ غَيْرِ مَدَافِعِ      وَاسْحَبْ ذِيُولَ الْعَسْكَرِ الْجَرَارِ  
 وَاهْنًا بِأَعْيَادِ الْفَتْوحِ مَحْوَلَا      مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ  
 وَإِلَيْكُمَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةٌ      شَفِ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الْأَزْهَارِ  
 فِي فَصْلِ مَنْطِقِهَا وَرَائِقِ رَسْمِهَا      مُسْتَمْتِعِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ  
 وَتَعْمِلُ مِنْ أَصْنَى لَهَا فَكَأَنِّي      عَاطِيَتُهُ مِنْهَا كُؤُسَ عُقَارِ  
 وَأُنْشِدُ السُّلْطَانَ فِي لَيْلَةِ مِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَبَ مَا فَرَّغَ مِنَ  
 الْبِنْيَةِ الشَّهِيرَةِ بِيَابِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

تَأَمَّلْ أَطْلَالَ الْهُوَى فَتَأَلَّمَا      وَسَيَا الْجَوَى وَالسَّقَمَ مِنْهَا تَعَلَّمَا  
 أَخُو زُفْرَةٍ هَاجَتْ لَهُ مِنْهُ ذِكْرَةٌ      فَانْجَدَ فِي شَعْبِ الْغَرَامِ وَأَتَمَّمَا  
 وَسَرَدَ لِسَانُ الدِّينِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِطَوْلِهَا ، وَهِيَ تَقَارِبُ التَّسْعِينَ بَيْتًا ، ثُمَّ قَالَ  
 مَا نَصَبَهُ : وَأُنْشِدُ السُّلْطَانَ فِي وَجْهَةٍ لِلصَّيْدِ أَعْمَلَهَا ، وَأُطْلِقُ أَعْنَةَ الْجِيَادِ فِي مِيَادِينِ  
 ذَلِكَ الطَّرَادِ وَأَرْسِلُهَا ، قَوْلُهُ :

حَيَّاكَ يَا دَارَ الْهُوَى مِنْ دَارِ      نَوَى السَّمَاءِ بِدِيمَةٍ مِذْرَارِ  
 وَأَعَادَ وَجْهَ رَبَّاكَ طَلْقًا مَشْرِقًا      مِتْضَاحًا بِمَاسِ النَّوَارِ

(١) فِي ب « تَاهَتْ بِكَلْكَلِهَا » تَحْرِيفٌ ، وَأَصْلُ هَذَا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :  
 قَفَلْتُ لَهُ لَمَّا تَحْمَلَى بِصَلْبِهِ وَأُرْدَفَ أَعْجَازًا وَتَاهَ بِكَلْكَلِ

أمدكرى دار الصباية والهوى  
عاطيتنى عنها الحديث كأنما  
إيه وإن أذكيت نار صبايتى  
يا زاجر الأظعان وهى مَشَوقة  
حنت إلى نجد وليست دارها  
شاقت به برق الحمى واعتادها  
هل تبلغ الحاجات إن حملتها  
عرض بذكرى فى الخيام وقل إذا  
عار بقومك يا ابنة الحيين أن  
أمنعت ميسور الكلام أخا الهوى  
وأبان جارى الدمع عذر هيامه  
هذا وقومك ما علمت خلاهم  
الله فى نفس شَمَاع كلما  
بالله يا لمياء ما منع الصَّابِيا  
يا بنت من تشدو الحداة بذكره  
ما ضر نسمة حاجر لو أنها  
هل بانه من بعدنا متأود  
وهل الظباء الأنسات كمهدنا  
يفتكن من قاماتها ولحاظها  
أشعرت قلبى جهن صباية

حيث الشباب يروث غصن نضار  
عاطيتنى عنها كئوس عَقَار<sup>(١)</sup>  
وقَدَحَتْ زند الشوق بالتذكار<sup>(٢)</sup>  
أشبهتها فى زفرة وأوار  
وصَبَتْ إلى هندیهِ والغار  
طيف الكرى بمزارها المزوار  
إن الوفاء سجيّة الأحرار  
جئت العقيق مُبَنَّغ الأوطار  
تلوى الديون وأنت ذاتُ يسار  
وبخلت حتى بالخيال السارى ؟  
لكن أضعت له حقوق الجار  
أوفى الكرام بذمة وجوار  
هب النسيم تطير كل مطار  
أن لا تهب بعرفك المعطار  
متعللين به على الأكوار<sup>(٣)</sup>  
أهدت لنا خيراً من الأخبار ؟  
متجاوب من ترنم الأطيّار ؟<sup>(٤)</sup>  
بصرعن أسد الغاب وهى ضوَار ؟  
بالشرفية والقننا الخطار  
فرميتنى من لوعتى بحمار

(١) العقار — بالضم ، بزة غراب — الحجر .

(٢) « إيه » اسم فعل معناه زدنى من حديثك .

(٣) تشدو : تغنى ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل .

(٤) البان : ضرب من الشجر ، ومتأود : متثن .

وعلى الكتيب سوانح حمر الحلى  
أدنى الحجيج جواهر ثلاثة  
لكن يوم نفر جُذُنَ لنا بما  
يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا  
وتنوب عن صوب الغمام أ كفه  
من آل سعد رافعي علم الهدى  
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم  
وجه كما حَسَرَ الصباحُ نقابه  
جذدت دون الدين عزمة أروع  
حُطَّت البلاد ومن حوته تغورها  
لله رحلتك التي نلنا بها  
أوردتنا فيها لجودك مورداً  
وأفضت فينا من نَدَاك مواهباً  
أضحكت ثغر الثغر لما جثته  
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها  
وسرت عقاب الجوتهديك الذي  
نوالأرض تعلم أنك الغوث الذي  
ولرب متمد الأباطح موحش  
همل المسارح لا يراع قنيصه  
سرحت عنان الريح فيه وربما

بيض الوجوه يَصْدُنَ بالأفكار<sup>(١)</sup>  
بمى لَوَأْنِ منى بدار قرار  
عوَدْنَا من جفوة ونفار  
وتمموا بطيب أرومة وبجار  
وتنوب أوجههم عن الأقمار  
والمصطفين لنصرة المختار  
ومشرف الأعصار والأمصار  
ويد تمد أناملا ببحار  
جذدت منها سنة الأنصار  
وكفى بسعدك حاميا لذار  
أجر الجهاد وزهرة الأبصار  
مستعذب الإيراد والإصدار  
حسنت مواقفها على التكرار  
وخصصته بخصائص الإيثار  
سنن القرى بثلاثة الأنوار  
تصطاد من وحش ومن أطياف  
تُضْفِي عليها وافي الأستار  
على الربا متباعد الأقطار  
إلا لنبأة فارس مغوار  
ألقت بساحته عصا التسيار

(١) الكتيب : ما اجتمع وتراكم من الرمل ، و « يصدن » - بالبناء للمجهول - وأراد أنه لاسيل إليهن ، وإنما يخطرهن العاشق بخياله وفكره .

بأكرته والأفق قد خلع الدجى  
 وجرى به نهر النهار كمثل ما  
 عرضت به المستنفرات كأنها  
 أتبعها غمر الجياد كواكبا  
 والهاديات يؤمها عبلُ الشوى  
 أزجيتها شقراء رائقة الحلى  
 أثبت فيه الرمح ثم تركته  
 حامت عليه الذابلات كأنها  
 طفقت أرائبه غداة أترتها  
 هل ينفع الباع الطويل وقد غدت  
 من كل منحفر بلحة بارق  
 وجوارح سبقت إليه طلابها  
 سود وبيض في الطراد تتابع  
 ترى بها وهى الحنايا ضمرا  
 ظنت بأن ينجوها ، كلا ! ولو  
 وبكل فتمتخأ الجناح إذا ارتمت  
 زجل الجناح مصفق كمن الردى  
 أجلى الطريد من الوحوش وإن رى  
 وأرئنا الكسب الذى أعداده  
 يبيض وصفوخلت مطرح سرحها  
 مسحاً ليلبس حلة الإسفار  
 سكب القديم سلاقةً من قار  
 خيل عراب جئن فى مضار  
 تنقض رنجا فى سماء غبار  
 متدفق كتدفق التيار  
 فرميتة منها بشعلة نار  
 خضب الجوانح بالدم الموار  
 طير أوت منه إلى أوكار<sup>(١)</sup>  
 تبغى القرار ولات حين فرار  
 يوم الطراد قصيرة الأعمار  
 فأتت خطاه مدارك الأبصار  
 فكأنما طالبته بالثار  
 كالليل طارده بياض نهار  
 مثل السهام نزعن عن أوتار  
 ولو أغرقت به أرباب الأقمار  
 فكأنها نجم السماء السارى  
 فى مقلب منه وفى منقار<sup>(٢)</sup>  
 طيراً أذاك به على مقدار  
 ملأت جمالا أعين النظر  
 روضاً تفتح عن شقيق بهار

(١) الذابلات : أراد بها الزماح ، والأوكار : جمع وكر - بالفتح - وهو عش الطائر

(٢) زجل الجناح : أراد أن لجناحه خفيها وصوتا .

من كل مؤشئ الأديم مُقَوِّف  
خلط البياض بصفرة في لونه  
أو أشعل راق العيون كأنه  
سرحت بمخضر الجوانب يانع  
قد أرضعته الساريات لبانها  
أخذت سعودك حذرهما فلحكمة  
لما أرتك الشمس صفرة حاسد  
نفثت عليك السحب نفثة معوذا  
فارفع لواء الفخر غير مدافع  
واهناً بمقدمك السعيد مُحَوِّلاً  
قد جئت دارك محسناً ومؤملاً  
وإليكها من روض فكري نفحة  
ومن شعره في غير المطولات قوله :

لقد زادني وجدا وأغرى بي الجوى  
تسير وراء الليل منه بنانة  
تلوح سنانا حين لا تنفج الصبا  
قطعت به ليلا يطارحنى الجوى  
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه  
إلى أن أفاق الصبح من غمر الدجى  
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتي

ذَبَّالٌ بِأَذْيَالِ الظلام قد التفأ<sup>(١)</sup>  
مُخَضَّبَةٌ والليل قد حجب الكفا  
وتُبْدَى سواراً حين تَدْنَى له العطفاء  
وآوَنَة ييـدو وآوَنَة يخفى  
وإن قلت لا يخفى الضياء به كفا  
وأهدى نسيم الروض من طيبه عَرَفَا  
وقد شفاها من لوعة الحب ما شفا

(١) الوجد — بالفتح — شدة العشق ، وأغراه به : حرضهم عليه ،  
والذبال — بالضم ، بزة الغراب — أراد به المصباح .

ومما ثبت له صدر رسالة :

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى  
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى  
فياليت شعري والأمانى تَعَلُّ  
وهل جيتى الأولى كما قد عهدتهم

وأذهب من أيدي النسيم رسائلها  
يبادره دمعى مجيبا ورسائلها  
أرعى لى الحى الكرام الوسائلها  
يؤالون بالإحسان مَنْ جاء سائلها

ومن أبياته الغراميات :

قيادى قد تملكه الغرام  
ودمعى دونه صَوَّبَ الفوادى  
إذا ما الوجد لم يبرح فؤادى

ووجدى لا يطاق ولا يرام  
وشجوى فوق ما يشكو الحام  
على الدنيا وساكنها السلام

وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومشتمل بالحسن أخوى مُهْتَف  
فأبصرت أشباه الرياض محاسنا  
فقلت لجلاسى خذوا الحذر إنما  
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه  
تخيّل للعينين جرحا وإنما

قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر<sup>(١)</sup>  
وفى خده جرح بدا منه لى أثر  
به وَصَّبَ من أسهم القَنَاجِ والخور  
ومن شأنها تَدَمَّى من الملح بالبصر  
بدا كَلَفٌ منه على صفحة القمر

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق :

الأئمة فى الجود والجود شيمة  
ذرينى فلو أننى أَخْلَدُ بالغنى

جُبِلْتُ على إثارها يوم مولدى  
لكنت ضنينا بالذى ملكت يدى

وقال :

لقد علم الله أنى امرئ أجور ذيل العفاف القشيب

(١) الأخوى : الوصف من الحوى - بالفتح مقصورا - وهو من كانت به الحوة - بضم الحاء وتشديد الواو - وهى سمرة إلى الخضرة ، وقيل : حمرة إلى السواد ، وهى أيضا سمرة الشفة ، والأثنى حواء ، والجمع حو

فكم غَمَّصَ الدهرُ أجفانه وفازت قِدَاحِي بوصل الحبيب  
وقيل رقيبك في غفلة قفلت أخاف الإلهَ الرقيب  
وفي مدح كتاب « الشفاء » طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عند ما شرع  
في شرحه :

ومسرى ركاب للصبا قد وُنتَ به	نجايب سحب للتراب نزوعها
تسلُّ سيوف البرق أيدى حُدَاتِها	فتنهلُّ خَوْفاً من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرِسا	قفلت لها مراكش ورِبعها
لتسقى أجداثا بها وضرائحا	عِياضٌ إلى يوم المعاد ضجيعُها <sup>(١)</sup>
وأجدر من تبكى عليه رِاعة	بصفحة طرس والمداد نجيعها <sup>(٢)</sup>
فكم من يد في الدين قد سلفت له	يُرْصَى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه	فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جَلَّتْها يد النهى	فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد ينجيها	وأسرار غَيبٍ والبراع تديعها
لقد حُزَّتْ فضلا يا أبا الفضل شاملا	فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله ممن قد تصدى لشرحه	قلباه من غر المعاني مُطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة	إذا كنتم الإدماج منه تشييعها
محاسنُ والإحسان يبدو خلالها	كما افترَّ عن زهر البطاح ربيعها
إذا ما أجتَّ العين فيها تخالها	نجوماً بأفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذي صرى	وألفاظه در يروى نصييعها
رياض سقاها الفكر صَوْبَ ذكائه	فأخضب للوراد منها سرييعها

(١) أراد القاضي عياض بن موسى اليحصي مؤلف كتاب « الشفاء » ، بالتعريف بحقوق المصطفى «

(٢) النجيع ، في الأصل : الدم

تفجر عن عين اليقين زلالها      فَلَذَّ لأرباب الخلوص شروعا  
ألا يا ابن جار الله يا ابن وليه      لأنت إذا عُدَّ الكرام رفيها  
إذا ما أصول المرء طابت أرومة      فلا عجب أن أشبهتها فروعها<sup>(١)</sup>  
بقيت لأعلام الزمان تنيلها      هدى ، ولأحداث الخطوب تروعها

مولده رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعائة ، انتهى كلام لسان الدين في الإحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرك .

قلت : ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين - رحمهما الله تعالى - على هامش هذه الترجمة من « الإحاطة » كلاما في حق ابن زمرك رأيت أن أذكره بحملته الآن ، وإن تقدم بعضه في هذا الكتاب .

فمن ذلك أنه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته : اتبه الله تعالى خزيا ! وعامله بما يستحقه ! فهذا ترجمة والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه ، ولم يقتله أحد غيره ، كفانا الله تعالى شر من أحسنا إليه ! انتهى .

وكتب على قوله « نشأ عفا طاهراً إلى آخره » ما نصه : هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ، ابن حداد بالبيازين ، قتل أباه بيده ، أوجعه ضرباً فمات من ذلك ، وهو أخس عباد الله تربية ، وأحقهم صورة ، وأخلمهم شكلاً ، استعمله أبي في الكتابة السلطانية ، فجنينا أيام تحولنا عن الأندلس منه كل شر ، وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه ، حسباً هو معروف ، وكفانا الله تعالى شر من أحسنا إليه وأساء إلينا ! انتهى

وكتب على قول والده « فترقى إلى الكتابة إلى آخره » ما صورته : على يد سيدي أبي عبد الله بن مرزوق . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اه .

(١) الأرومة - بضم الهمزة وفتحها - أصل الشجرة ، ويستعار للحسب

وكتب على قوله « معاذ الهوى أن أحسب القلب ساليا - إلى آخره » مانصه : هذه القصيدة نظم له مولاي الوالد تغمده الله تعالى برحمته منها النسيب كله ، وهكذا جرت عادته معه في الأمداح السلطانية حضرة الملك ، والله المطلع على ذلك ، قاله ابن المصنف على ابن الخطيب ، انتهى .

وكتب على قوله « لولا تأق بارقي التذكار - إلى آخره » مصورته : هذا الرجس الشيطان كثيراً ما ينظم في هذا الوزن « ويتبع حمارة هذه الرائ ، حتى لا يتركها جملة ، إذ الرجل ابن حمار مكارى حداد ، فالنفس تميل بالطبع ، انتهى .

وكتب على قوله « حياك يا دار الهوى من دار - إلى آخره » ما صورته : انظر إلى كثرة تحريكه لحمارة هذه الرائ ، علقت له بها ما خلوليا ، انتهى .

وكتب على قوله « وجوارح سبقت إليه طلابها - إلى آخره » مصورته : سرق طردية إبراهيم بن خفاجة <sup>(١)</sup> ، فانظرها تجده سرق المعاني والألفاظ ، مع أن والذي نظم له أكثرها على حسب عادته معه ، قاله على بن الخطيب ، انتهى

وكتب على قوله « يا مصباح » ما نصه : كان يحب صبيا اسمه مصباح ، وهو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة ، انتهى .

وكتب على قوله « الأئمة في الجود إلى آخره » ما صورته : كذبت يا نجس ، من أين الفخر لك ولبيتك ، لست والله من الجود في شيء ، نعم سخنته عين الجود وكتب على قوله « لقد علم الله أني امرؤ - إلى آخره » مامعناه : لا والله ، فأنت مشهور بكذا ، يا قرد ، فمن أين العفاف وأنت بالأندلس كذا وكذا ؟ إلى أن قال : وأنحسهم بيتا ، قاله مولاك الذي ربيت في نعمته ونعمة الله على بن الخطيب بالقاهرة ، انتهى .

(١) يشير إلى هذا قول لسان الدين عنه في أول ترجمته « خفاجي النزعة » وقد

نهنا هناك على هذه النسبة

وقد نسبته إلى ما لا يليق ، فالله أعلم بحقيقة الأمر .

وكتب غيره على قول ابن زمرك « أزور بقلبي - الأبيات المتقدمة » عند قوله « سائلاً » في موضعين : هما من السؤال ، فحصل على الإيطاء المذموم ، انتهى .

قلت : أما ما ذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله أعلم كان في ابتداء أمره ، وإلا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التي لا تنكر ، كما سند كره ، وأما كونه سعى في قتل لسان الدين مع إحسانه إليه فقد جوزى من جنس عمله ، وقتل برأى من أهله ومسمع ، وأزهقت معه روح ابنه ، حسبما نذكره . وهذا قصاص الدنيا ، وعفو الله تعالى في الآخرة منتظر للجميع .

ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر في مجلد ضخمة  
ابن زمرك رأيت بالمغرب جميع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته ، وعرف به في أوله ، إذ قال  
عن ابن الأحمر ما نصه : أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى في كل حال ، وشكره على ما أولى  
ويسر من صلاح الأحوال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء  
ومسيد الأرسال ، والرضا عن له من صحب وأنصار وآل ، فإن من المعلوم أن  
الأدب له بالنفس علاقة تؤديه إلى الاستحسان ، وتؤثر من اشتهر به من الملاحظة  
بلحظ الحظ مع تعاقب الأحيان ، ولا خفاء أن أيام مولانا الجدل المقدس الغني بالله  
- تولاها الله تعالى برضوانه - كانت غرراً في وجوه الأيام ، ومواسم تجمع الطم والرم (١)  
من الرؤساء الأعلام ، الآخذين بأعنة الكلام ، السابقين في حلبة الفناء والنظام ،  
وأن الفقيه الرئيس المدرك الناظم النائر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك  
- عفا الله تعالى عنه! - وحسبك بمن ارتضاء مولانا الجدل رحمه الله تعالى لكتابتها ،

(١) يقولون « جاء فلان بالطم والرم » بكسر أولهما ، أما الطم فيريدون به البحر ، وأما الروم فيريدون به الثرى والتراب ، وكأنهم قالوا : جاء بالثرى وبالماء

وصرفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وحجابه ، وكان بذلك خليقا ، لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا ، وإدراكا ونبلا وفقها وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا ، وبينا وتفسيرا ونظما وترسيلا ، لما كان قد أخفت الأيام سنَى صبحه ، وخابت وسائل نصحه ، وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه ، وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أى ذخر فقدوا ، ولا أى مطلق عن تصريفاته الجميلة قيدوا ، مستبصرين بالجهل فى دِيَاجى غيهم ، معجبين بما ارتكبوه من جساد بغيهم ، جميعهم يلحظه بمقل دامية ، وأفاظ حامية ، يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد ، وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد

فخر على الآلاء لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل

فيا لله من أشلاء هنالك ضائعة ، وأعلاق غير مصونة ، ووسائل مخفورة ، وأدِمة قطعت أرحامها ، ولم يرع ذمامها ، وعانت الأيدى الفاتكة حينئذ على بنيها ، وارتكبوها شتاء فى أهله وذويه :

هل كان إلّا حَيًّا تحيا العبادُ به      هل كان إلّا قَدَى فى عين ذى عور<sup>(١)</sup>  
 إن قال قولا ترى الأبصار خاشعة      لما يخبر من وحى ومن أثر  
 يالHF قلبى لو قد كنت حاضره      غداة جرّعه أدهى من الصبر  
 لما تركت له شـلوا بمضِيعه      ولا تولى صريع الناب والظفر  
 (وكان ما كان مما لست أذكره      فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر)

وإن سأل سائل عن الخبر الذى ألعنا بذكره ، وضما هذا البيت رزأ من فظيحه أمره ، فذلك عند ما نسب صاحب الأمر إليه ما راب ، وتله<sup>(٢)</sup> وابنيه للجبين مّعقرين بالتراب ، وصدمه فى جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ،

(١) الحيا — بالفتح مقصورا — المطر ، والقذى : ما يقع فى العين من غمص ونحوه

(٢) تله للجبين : أوقعه على وجهه .

ويتشفع بعظيم بركاته ، فأخذته السيوف ، وتعاورته الختوف <sup>(١)</sup> ، وأذهبه سليبا قتيلا ، مصيراً مصراع منزله كشيئا مهيبا ، وكنا على بعد من هذه الآزفة التي أورثت القلوب شجناً طويلا ، وذكرنا بعناية مولانا الجد الغنى بالله لجانبه أعظم ذكرا ، فأغرينا برثائه خلدًا وفكرا ، وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الأبيات إشارة مقنعة وكفاية في السلوان مُطْمَعة ، وأرضينا بالشفقة أودَّاه . وأرغمنا بتأيينه أعداءه ، ولما تبلى الصبح لدى عيني ، وتلقينا راية الفرج بالراحتين ، عطفتنا على أبنائه عواطف الشفقة ، وأطلقناهم ماعانت الأيدي عليه صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمة ، وأخفر عهود تخذمه لمن سلف من الأئمة ، وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا ، وجعلنا ضم ما نثرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعمالنا ، وكان تعلق بمحفوظنا جملة وافرة من كلامه ، مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه ، فأضفنا ذلك إلى ما وقع عليه اجتهدنا من رقاعه <sup>(٢)</sup> الحائلة المتبهة بأيدي النوائب ، الدائرة المستلبة بتعدى النواصب ، فخلص من الجملة قلائد عقيان ، وعقود در ومرجان ، ترناح النفوس النفيسة لإنشادها ، وتحضر الأبصار والأسماع عند إيرادها ، إلى ما يتخللها من تخليد مآثر سلفنا ، والإشارة بعظيم ملكنا ، فشرعنا في تقييد أو ابداءها الشاردة ، وإحياء رسومها البائدة ، كلنا بالأدب لوضوح فضله ، وتأدية لما يجب من رعاية أهله ، ولتبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ، ونظهر ما كنا نضمره من الميل إليه ، في كل ماله أو عليه ، فنقول :

هو الفقيه الكاتب ، الفذ الأوحد ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحي ، ويعرف بابن زَمْرَك .

أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة ، وبها ولد ،

(١) تعاورته : تداولته ، والختوف : جمع حتف ، وهو الموت والهلاك .

(٢) الرقاع : الصحف التي كتب فيها ، والحائلة : المتغيرة .

فنشأ ضئيلاً كالشهاب يتوقد ، مختصر الجرم <sup>(١)</sup> والأعين بإطالة فواضله تشهد ،  
ومكتب الفئة القرآنية يؤثره بالجناب المهد ، فاشتغل أول نشأته بطلب العلم والدؤب  
على القراءة ، وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ، ولم يبلغ حد وجوب  
المفترضات إلا هو متحمل الرواية ، وملتزم لقرائد <sup>(٢)</sup> الدراية ، ومُصاحج كل يوم  
أعلام العلوم ، ومستمد بمصاييح الحدود العلمية والرسوم ، فافتتح أبواب الكتب  
النحوية بالإمام أبي عبد الله بن الفخار الآية الكبرى في فنّ العربية ، وتردد  
الأعوام العديدة إلى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فأحسن الإصغاء ، وبذل النحاة  
البلغاء <sup>(٣)</sup> ، بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التي أوتها :

\* أغرى سرّاة الحى بالإطراق \*

واهتدى في طريق الخطبة ومناهج الصوفية بالخطيب العظيم أبي عبد الله بن  
مرزوق الوافد على مولانا الجد أبي الحجاج رضى الله تعالى عنه في عام ثلاثة وخمسين  
وسبعمائة ، وإليه جنح <sup>(٤)</sup> ، وإياه قصد عند تقربه إلى المغرب في دولة السلطان أبي  
سالم ، فتوجه بالعمامة التي ارتجل بين يديه فيها :

توجتني بعمامة توجت تاج الكرامه  
فروض حمدك يرّهى منى بسجع الحماه

وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبي على منصور الزواوى ، وبرع في الأدب ،  
أثناء الانقطاع وأول الطلب لأبي عبد الله بن الخطيب ، ولكن لم يحمدا بينهما  
المال ، واقتدى في العلوم العقلية بالشريف أبي عبد الله التلمسانى قدوة الزمان ،  
وحصلت له الإجازة والتحديث بقاضى الجماعة وشيخ الجلة أبي البركات بن الحاج ،  
وبالخطيب البليغ أبي عبد الله اللوشى ، وبالخطيب الورع أبي عبد الله بن يبش

(١) انظر ص ٤ من هذا الجزء (٢) فى ب « لفوائد الدراية »

(٣) بذ النحاة : فاقهم . (٤) جنح : مال .

العبدري ، رضى الله تعالى عنه وعن جميعهم ، وبواجب محافظتنا على عهودهم ،  
إذ نحن وردنا بالإجازة التامة عَذَبَ ورودهم ، وصل سبينا بهم الكثير من شيوخنا  
مثل الإمام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى ، ومعلمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله  
الشريشى ، والقاضى الإمام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق ، وغيرهم ، رحمة  
الله تعالى عليهم ! لذلك صار صدرا فى نوادى طلبية الأندلس وأفراد نجبائها ، فما  
شاهه المحاضر يمجده فى خضله ، ويتلقاه من باهر فضله ، فكاهه ومجالسه أنيقة ممتعة  
ومحادثة أريضة مزهرة ، وجواباً شافياً للمعضل ، وذهناً سابقاً لإيضاح المشكل ،  
مع انقياد الطبع ، وإرسال الدفعة فى سبيل الخشوع والرفقة ، وشرح الجبين<sup>(١)</sup> عند  
تلقى الموعظة ، وصور الوجه بجلباب الحياء ، ومقابلة الناظر إليه بالاحتشام ،  
والمبادرة للاستدعاء ، على طهارة وبذل وسع وكرم نفس ، لم يعهد أجمل مشاركة  
منه لإخوانه ، ولا أمتع منه بجاهه ، إلى مبالغة فى الهشة والمبرة والإيثار بما منح ،  
وجنوح إلى حب الصالحين ، وذلك بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية الولى  
أبى جعفر بن الزيات ، وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدى ، قدس الله تعالى  
مغناه ! وسواهما من أهل الأندلس والعدوة ، وحمله أشد الحمل على كل ملبس  
كأبى زكريا البرغواطى وسواه .

ومن تنديراته - زعموا - على أبى الحسن المحروق لميله عنه :

ولد الفقر والرباط ولكن نَفْسُهُ للسلوك ذات افتقار

وخطب الأدب يافعاً وكهلاً<sup>(٢)</sup> ، وحاز علمه إدراكاً ونبلاً ، ولما كانت الحادثة على  
مولانا الجد - رحمه الله تعالى ! - واجتاز إلى المغرب كما تقرر فى غير هذا ، كلف به ،

(١) شرح جبينه : أراد أنه يعرق .

(٢) يريد أنه لم يترك طلبه حياته كلها .

وأنس إليه ، خلاوة منطق ورفع استيحاش ومراوضة خلق ، ثم كر في محبة ركا به فعلت منزلته ، ولطف محله .

وقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ، ويقول : خدمته سبعا وثلاثين سنة : ثلاثة بالمغرب ، وباقيها بالأندلس ، أنشدته فيها ستا وستين قصيدة في ستة وستين عيدا ، وكل مافي منازل السعيدة من القصر والرياض والشار والسبيكة من نظم رائق ، ومدح فائق ، في القباب والطافات والطرز وغير ذلك ، فهو لى ، وكنت أواكله وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج ، وها كبيرا ملوك أهل الأرض ، وهناته بكذا وكذا قصيدة ، وفوض لى في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين ، وصلح النصرارى عقدته تسع مرات ، ألخسة فوض إلى ذلك ؟

قلنا : صدق في جميع ما ذكره ، والعقود بذلك شاهدة له ، وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره ، واستعمله بعد أعوام في السفارة بينه وبين ملوك عصره ، فحمد منابه <sup>(١)</sup> ، ونمت أحواله ورغد جنابه ، وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده ، وتوى بما احتقبه <sup>(٢)</sup> من سوء مقاصده وما صرفه من قبيح أغراضه ، وهاجت الفتنة ، فكانت سفارته أعظم أسبابها .

وعند الأشد من عمره عرضت لأفكاره تقلبات ، وأعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات ، وأشعرته حدة ذهنه أن يتخبط في أشراك وقعات ، فقعد بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسي فنونا جمة ، وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والنجلة ، فاحاز إلى مادة أمم بمالقة طما منهم البحر و تراءى لأبصارهم وبصائرهم الفخر ، وكان التفسير أغلب عليه لقرط ذكائه ، وما كان قيده وحصله أيام قراءته وإقرائه ، فما شئت من بيان ، وإعجاز قرآن ، وآيات توحيد

(١) منابه : مصدر ميمي فعله « ناب عنه ينوب »

(٢) احتقب فلان إثما : ارتكبه ، وحرقته أنه جعله في حقيقته .

وإخلاص، ومناهج صوفية تؤذن بالإخلاص ، يوم الأخذ بالنواص<sup>(١)</sup> ، ومرارغة سمع ما يليق به وليُّ الأمر ، وياشدة البلوى التي أدّاه مرّها ، وأعطاه إلى طيّبة الملاك ظهَرها ، ويا قرب ما كان القوت ، والحسام الصلّت ، من متباعد هذا القرب التي ألفت .

قلنا : لقد جمع جواد القلم فأطلقنا ونحن نشير إلى هذا الرئيس وتبدل طباعه ، بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعهم ، وإحراز شيم أدّت إلى علو مقداره ، واستقامة مداره ، فآل عمر مولانا جدنا إلى النفاد ، ورمّت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد ، فظهر الخفي ، وسقط به الليل على سرّ حان ، وقد طالما جرب الوفي والصوفي ، وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الأمر من حُجّاب الدولة ، والاسترسال في الرد عليهم بالطبع والجبلّة ، مع الاستغراق في غمار الفتن أندلسا وغربا ، ومراعاة حظوظ نفسه استيلاء وغصبا ، أما الجراءة فانتضى سيوفها ، وأما إكفاء السماء على الأرض فقواصم نوع صنوفها ، وأما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض صفوفها ، وأما الجمالة فنسكر معروفها ، أدّاه هذا النبا العظيم إلى سكنى المعتقل بقصبة المرية ، وعلى الأثر كان الفرج قريبا ، وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا ، ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغني بالله ، وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة ، لأسباب يطول شرحها أظهرها شراسة في لسانه ، واغترار بمكانه ، وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه ، فكبا لليدين والفم ، إلى أن من الله تعالى بسراحه ، وأعادته إلى الحضرة في أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعمائة ، فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى ! وقيام أخينا محمد مقامه بالأمر ، فاستمر الحال أياما قلائل ، وقدم للكتابة الفقية

(١) يوم يؤخذ بالنواصي : يوم القيامة ، وهذا من تعبيرات القرآن الكريم ، والنواصي : جمع ناصية وهي هنا الرأس

ابن عاصم لمدة من عام ، ثم أعاد المذكور إلى خطته وقد دَمِثَتْ بعضُ أخلاقه ،  
 وخذت شرسته وحلا بعض مذاقه ، فما كان إلا كلاً وليت<sup>(١)</sup> وإذا به قد ساء<sup>(٢)</sup>  
 مشهداً وغَيِّياً ، وأوسع الضمائر شكاً ورَبِّياً ، وغلبت الإِحنُ عليه ، وغلت مراجلها  
 لديه ، فصار يتقلب على جمر الغَضَى ، ويتبرَّم بالقضا ، ويظهر النصيح وفي طيه  
 التشفُّي ، ويسمُّ نفسه بالصلاح ، ويعلم بالخشوع ، ويشير بأنه الناصح الأمين ،  
 ويتلو قوله تعالى (ولكن لا تحبون الناصحين) ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم  
 ذنباً لم يقترفوها ، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها ، وأنهم احتجوا  
 الأموال ، وأسأوا الأعمال والأقوال ، فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ، ولا حَصَلَ  
 على تفاوت أعداده على حاصل ، هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ،  
 وعدم اضطلاع بالأمور الجبائية ، فمن نفس يروِّع سِرُّها ، ويكدر بالامتحان  
 والامتحان شربها ، ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت ، وطولبت بغير  
 ما اكتسبت ، وتعدت الأيدي إلى أقوام حلة سعدوا بشقائه ، وامْتَحِنُوا وهم المبرِّون  
 من تزويره واعتدائه ، وسيستلون يوم لا يغنى مال ولا بنون ، وصار يصرف  
 أغراضه ، ويظهر أحقادَه ، بين إفصاح بما كان الإجماع خيراً من إلقائه ، وإن  
 عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقاءه ، إلى مجاهرة عهد منه أيام شببته  
 نقيضها ، وانعكس في شاخته تصرُّيحها المنعص وتعريضها ، لا يريح نفسه من  
 جَهْد ، ولا يقف من اللجلجة عند حد ، وقد كان ثقل سمعه فساءت إجابته<sup>(٣)</sup> ،  
 وطغت أخلاقه فسئمت وساطته ، ور بما استحلَّ فلم يكن بين اللازمة واللازمة  
 إلا الحنث عن قصد وغير قصد ، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعْد ، وأن يقبض  
 الله له<sup>(٤)</sup> ولهم قاتل عمد ، فسبحان القاهر فوق عباده ، الرحيم بهذا الشخص وبالأموال

(١) المشهور أن يقال عند إرادة السرعة « كلا ولا »

(٢) هذا من مثل ، يقولون : « أساء سمعا فأساء إجابة » و « أساء سمعا فأساء

جابهة ■ بغير همزة في « جابهة » مثل طاعة من أطاع .

(٣) قبض الله ذلك الأمر : قضاء وهياً أسبابه ومكن منه .

من شيعته وأولاده ، فاستمرّ على ذلك إلى إحدى الليالي ، فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدمه ، تلقاه زعموا عند الدخول عليه ، وهو بالمصحف رافع يديه ، فجذّلت له السيوف ، وتناولته الحتوف ، فقضى عليه ، وعلى من وجد من خدامه وابنيه ، كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته ، ولم يتقوا الله فيه حقّ نُقَاتِهِ ، فكانت أنكى الفجائع ، وأفظع الوقائع ، وساءت القالة ، وعظم المصائب ، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب ، انتهى كلام ابن الأحرر في مقدمة كتابه .

وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك ، وقتله على الوجه الذي يعلم منه أن ثار لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك ، بل قتلته أفضع من قتلة لسان الدين ، لأن هذا قتل بين عياله وأهله ، وقتل معه أبناءه ومن وجد من خدمه ، ولسان الدين رحمه الله تعالى خنق بمفرده ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو العفو النفور .

وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وسبعين وسبعمائة ، ولم أقف من أمره على غير ما تقدم .

ولا بأس أن نلم شيء من نظمه البارع مما كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الأحرر المذكور ، وأوردت كثيرا منه في « أزهار الرياض »

فمن ذلك قوله في ذكر غرّ ناطة العلية ، وتهنئة سلطانه الغنى بالله ببعض المواسم

العيدية ، ووصف كرائم جياده ، وآثار ملكه وجهاده :

يا من يحن إلى نجد وناديها غرناطة قد ثوت<sup>(١)</sup> بنجد<sup>(٢)</sup> بواديها<sup>(٣)</sup>

قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها عقيلة والكثير الفرد جالها

تقلدت بوشاح النهر وابتسمت أزهارها وهى حلى في ترافها<sup>(٤)</sup>

لابن زمرك  
في التهنئة بالعيد

(١) ثوت : أقامت .

(٢) التراقى : جمع رقة ، وهو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ، وأراد

هنا النحر ؛ إذ هو موضع الحلى .

وأعين النرجس المطلول يانعة  
وأفترّ ثغر أفاح من أزاهرها  
كأنما الزهر في حافاتها سحرا  
وانظر إلى الدّوح والأنهار تكتنفها  
كم حولها من بدور تجتنى زهرا  
حصبائها لؤلؤ قد شف جوهرها  
نهر المنجم والزهر المطيف به  
يزيد حسنا على نهر الحجرة قد  
يدعى المنجم رائيه وناظره  
إن الحجاز مقانيه بأندلس  
فتلك نجد سقاها كل منسجم  
وبارق وعذيب كل مبتسم  
وإن أردت ترى وادي العقيق فرد  
وللسبيكة تاج فوق مفرقها  
فإن حمراءها والله يكلؤها  
إن البدور لتيجان مكحلة  
لكنها حسدت تاج السبيكة إذ  
بروجها لبروج الأفق مخجلة  
تلك القصور التي راقّت مظاهرها  
لله عينا من رأى سحرا

ترقرق الطل دمعاً في مآقيها<sup>(١)</sup>  
مقبلاً خدّ ورد من نواحيها  
دراهم والنسيم اللّذّن يحببها<sup>(٢)</sup>  
مثل الندامى سواقيها سواقيها<sup>(٣)</sup>  
فتحسب الزهر قد قبلن أيديها  
والنهل قد سال دُوباً من لآليها  
زهر النجوم إذا ما شئت تشبيها  
أغنائه در حَبَاب عن دراريها  
مسميات أباتها أساميها  
ألفاظها طابقت منها معانيها  
من الغمام يحببها فيحببها  
من الثّغور يحلبها يحلبها  
دموع عشاقها حمرا جواربها  
تود در الداراي لو تحلبها  
ياقوتة فوق ذاك التاج يعلبها  
جواهر الشهب في أبهى مجاليها  
رأت أزاهره زهرا يحلبها  
فشهبها في جمال لا تضاهيها  
تهوى النجوم قصورا عن معاليها  
تلك المنارة قد رقت حواشيها

(١) المطلول : الذي أصابه الطل وهو خفيف المطر .

(٢) النسيم اللذّن : أراد الهواء الرطب الذي لا حر فيه

(٣) الدوح : الأشجار العظيمة ، والأنهار تكتنفها : تحيط بها .

والصبح في الشرق قد لاحت بشاره  
تهوى إلى الغرب لما غالها سحر  
وساجع العود في كف النديم إذا  
يبدي أفانين سحر في ترنمه  
يجسه ناعم الأطراف تحسبها  
مقاتل بلحظ قوس حاجبها  
فباكر الروض والأغصان مائلة  
لم يرقص الدوح بالأكام من طرب  
وأسمعتها فنون السحر مبدعة  
غرناطة آنس الرحمن ساكنها  
أعدى نسيهم لطف نفوسهم  
فخلد الله أيام السرور بها  
وروض المحل منها كل منبجس  
يحكي الخليفة كفا كلما وكفت  
تغنى العفأة وقد أمت مكارمه  
لها بنان فلا غيث يساجلها  
فان تصب سحبه بالماء حين همت  
يأياها الغيث أنت الغوث في زمن  
إن الرايا جزاك الله صالحة  
إن الخلائق في الأفطار أجمعها

والشهب تستن سباق في مجاريها<sup>(١)</sup>  
وعمض الفجر من أجفان واشيها  
ما استوقف الطير يديها ويقريها  
يصبي العقول بها حسنا ويسبها  
لآلئها وهى نور في تلاليمها  
ترى القلوب بها عمدا فتضميها<sup>(٢)</sup>  
يثنى النفوس لها شوقا تمنئها  
حتى شدا من قيان الطير شاديها  
ورق الحمام وغناها مغنيها  
باحث بسر معانيها أغانيها  
فرقة الطبع طبع منه يعديها  
صقرا عشياتها يبضا لياليها  
إذا اشتكت بغليل الجذب يرويها  
بالجود فوق موات الأرض يحييها  
عن السؤال وبالإحسان يغنيها  
جودا ولا سحبه يوما تدانيها  
بعسجد ولجين صاب هاميا  
ملوكه تلفت لولا تلافيهما  
ملكك شرقا وغربا من يراعيها  
سوائم أنت في التحقيق راعيها

(١) « تستن » أصله أن يقال في الفرس إذا عدا من النشاط

(٢) رماه فأصاه: أى أصاب منه مقتلا.

فكل مصلحة للخلق تحكمها وكل صالحة في الدين تنويها  
إذا تيممت أرضا وهي مجدية فرحة الله بالسقيا تحيها  
يارحمة بثت الرحى بأندلس لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها  
في فضل جودك قد عاشت مشيختها في ظل أمنك قد نامت ذراريها  
في طول عمرك يرجو الله آمها بنصر ملكك يدعو الله داعيها  
عوائد الله قد عودت أفضلها لتبلغ الخلق ما شاءت أمانها  
سُلّ السعود وخل البيض مُغمدة واضرب بها فرية التثليث تفريها<sup>(١)</sup>  
الله أيامك الغر التي أطردت فيها السعود بما ترضى ويرضيها  
الله دوائك الغراء إن لها لكافلا من إله العرش يكفيها  
هيئات أن تبلغ الأعداء مأربة في جريها وجنود الله تحميها  
هذي سيوفك في الأجفان نائمة والمشركون سيوفُ الله تفنيها  
سريرة لك في الإخلاص قد عرفت حسنى عواقبها حتى أعادها  
لم يحجب الصبح شهب الأفق عن بصر إلا وهديك للأبصار يديها  
يا ابن الملوك وأبناء الملوك إذا تدعو الملوك إلى طوع تلبها  
أبناء نصر ملوك عز نصرهم وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها  
هم المصابيح نور الله موقدها تضيء للدين والدنيا مشاكها<sup>(٢)</sup>  
هم النجوم وأفق الهدى مطلعها فوزا لمهديها عزا لهاديها  
هم البدر كمال ما يفارقها هم الشمس ظلام لا يوارها  
قضت قواضها أن لا انقضاء لها وأمضت الحكم في الأعدا مواضها  
وخلدت في صفاح الهند سيرتها وأسندت عن عواليها معاليها

(١) الفرية — بكسر الفاء وسكون الراء — الكذب ، وتفريها : مضارع «فري الشيء يفريه فريا» — مثل رمى — إذا قطعه وشقه .

(٢) المشاكى : جمع مشكاة ، وهى الكوة غير النافذة ، وهى أيضا الأنوبة فى وسط القنديل ، وفى القرآن الكريم ( مثل نوره كمشكاة فيها مصباح )

وأورثتك جهادا أنت ناصره  
 كم موقف تهرب الأعداء موقعه  
 نارت عجاجته واليوم محتجب  
 وللأسنة شهب كلما غربت  
 وللسيوف بروق كلما لمعت  
 أطلعت وجهاتريك الشمس غرته  
 من أين للشمس نطق كله حكم  
 لك الجياد إذا تجرى سوابقها  
 إذا انبرت يوم سبق في أعنتها  
 من أشهب قد بدا صبحا تراع له  
 إلا التي في لجام منه قيدها  
 أو أشقر مرعب شقر البروق وقد  
 أو أحمر جمره في الحرب متقد  
 لون العقيق وقد سال العقيق دما  
 أو أدهم ملء صدر الليل تنعله  
 إن حارت الشهب ليلاني مُقلده  
 أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحا  
 مموه بنضار تاه من عجب  
 ورب نهر حسام رق رائقه  
 تجرى الرؤس حبابا فوق صفحته  
 والأجر منك يُرضيها ويُخطيها  
 والخيل تزدى ووقع السيف يُرديها  
 والنقع يؤثر غيا من دياجيتها<sup>(١)</sup>  
 في الدارعين تجلت من عواليها  
 تزجي الدماء وريح النصر يُزجيتها<sup>(٢)</sup>  
 تبارك الله ما شمس تسامها  
 يفيدها كل حين منك مبيدها  
 فللرياح جياذ ما تجاريها  
 ترى البروق طلحا لا تباريها  
 شهب السماء فإن الصبح يخفيها  
 فإنه سامها عزا وتنوينا  
 أبقى لها شققا في الجو تنبها  
 يعلو لها شرر من بأس مذكها  
 بعطفه من كمة كاد يدميها  
 أهلة فوق وجه الأرض يبيدها  
 فصبيح غرته بالنور يهديها  
 وعرفه بتادى الليل ينبها  
 فليس يعدم تنوينا ولا تها  
 متى ترده نفوس الكفر يريها  
 وما جرى غير أن البأس يجريها

(١) العجاجة — بالفتح كسحابة — الغبار ، والنقع : ما ثار من التراب من أثر  
 حوافر الخيل ، والدياجي : الظلم ، واحدها ديجاة  
 (٢) يزجها : يسوقها ويدفعها

وذابل من دم الكفار مَشْرَبه  
 وكم هلالٍ لقوسٍ كلما نبضت  
 أئمة الكفر ما يمت ساحتها  
 يا دولة النصر هل من مبلغ دولا  
 أو مبلغ سالف الأنصار مَأْلَكَة  
 إن الخلافة أعلى الله مظهرها  
 يا ابن الذين لهم في كل مكرمة  
 أنصار خير الورى مختار هجرته  
 ستمهم الملة السمحاء تكرمه  
 ففي حُنين وفي بَدْر وفي أُحُد  
 ولتسأل السير المرفوع مُسْنَدُها  
 ماثر خَلَدَ الرحمن أثرتها  
 ماذا يجيّد بليغ أو ينمقه  
 له الجهاد به تسرى الرياح إلى  
 تُحْدَى الركاب إلى البيت العتيق به  
 بشائر تسمع الدنيا وساكنها  
 كفى خلافتك الغراء منقبة  
 وقد أفاد بنيه الدهرُ تجربة  
 إذا رميت سهام العزم صائبة  
 شكرا لمن عظمت منا مواهبه  
 يحنى الفتوح وكف النصر تجنيها  
 ترى النجوم رجوماً في مراميها  
 إلا وقد زُلْزِلت قسراً صياصيها<sup>(١)</sup>  
 مَصْنُين أنك تحيها وتنسيها  
 والله بالخلد في الفردوس يجزيها<sup>(٢)</sup>  
 أبقت لنا شرفاً والله يبقها  
 مفاخر ولسان الدهر يملها  
 جيران روضته، أكرم بأهلها  
 أنصارها، وبهم عزت أوالها  
 تلقى مفاخرهم مشهورة تها  
 فعن مواقفهم تروى مغازيها  
 ينصّها من كتاب الله قاريها  
 من الكلام ووحى الله تاليها  
 ممالك الأرض من شتى أفاصيها  
 فسكة عمرت منه نواديها  
 إذا دعا باسمك الأعلى مناديها  
 أن الإله يوالى من يواليها  
 أن السعود تعادى من يعاديها  
 فما رميت، بل التوفيق راميا  
 وإن تُعَدّ فليس العد يحصيها

(١) يمت : قصدت ، والصياصي : الحصون ، واحدها صيصة أو صيصية

(٢) مَأْلَكَة : رسالة

عما قريب ترى الأعياد مقبلة  
 وتبلغ الغاية القصوى بشاؤها  
 فأهناً بما شئت من صنع تسربه  
 مولاي خذها كما شئت بلاغتها  
 أرسلتها حيثما الأرواح مرسلة  
 جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة  
 البشر في وجهها ، واليمن في يدها ،  
 لو رضع البدر منها تاج مفرقه  
 فإن تكن بنت فكري وهو أوجدها  
 في روض جودك قد طوقتني منناً  
 ولو أعرت لسان الدهر يشكرها  
 بقيت للدين والدنيا إمام هدى  
 والسعد يجري لغايات تؤملها  
 من الفتوح ووفد النصر حاديها  
 فقد أظلت بما ترصني مباديها  
 وأتو الأمانى فالأقدار تدنيها  
 ولو تباع لكان الحسن يشريها  
 نوادرا تنشر البشري أماليها  
 بحسنها ولسان الصدق يطريها  
 والسحر في لفظها ، والدفق فيها  
 لم يرض در الدراري أن تحليها  
 نعاك في حجره كانت تريها  
 طوق الحمام فما سجي مؤقيها  
 لكان يقصر عن شكر يوفيها  
 مبلغ النفس ما ترجو أمانيتها  
 مادامت الشهب تجري في مجاريها

لابن زمرك وقال رحمه الله تعالى شاكرًا لنعم وصلته من المذكور في عاشوراء :  
 في الشكر

مولاي يا ابن السابقين إلى العلا  
 إن لوحظوا في المعلوات فإنهم  
 أو فوخروا في المكرمات فإنهم  
 أبناء أنصار النبي وصحبه  
 والمؤثرين ، وربنا أننى بها  
 فاضت علينا من نذاك غمام  
 والرافعين لواءها المنشورا  
 طلعوا بأفاق المعلاء بدورا<sup>(١)</sup>  
 نظموا بأسلاك الفخار شذورا  
 في الذكر أصبح فخرهم مذكورا  
 في الحشر خلد وصفهم مسطورا  
 وتفجرت من راحتك بحورا

(١) المعلوات : المعالي ، واحدها معلاة ، وكان القياس أن يقال « المعليات »

لأن الألف الرابعة تقلب في التثنية وجمع السلامة ياء

من كف شفاف الضياء تحاله      لصيفاء جوهره تجسدتورا  
نعم منوعة تعدد وفرها      أعجزت عنها شكرى الموفورا  
فى موسم للدين قد جددته      وأقت فينا عيمده المشهورا  
أضعاف ما أهديتنا من منة      تهدي إليك ثوابها عاشورا  
وعلى الطريق بشائر محمودة      ألقاك جذلانا بها مسرورا

وقال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح ، وقد وقع له السلطان  
الغنى بالله المذكور بذلك ، فارتجل قطعا منها :

لابن زمرك  
يصف زهر  
القرنفل

أتوى بنوار يروق نضارة      كحدّ الذى أهوى وطيب تنفّسه  
وجاؤا به من شاق متمنّع      تمنع ذاك الطيب فى ظل مكْنِسه<sup>(١)</sup>  
رعى الله منى عاشقا متقنعا      بزهر حكى فى الحسن خدمؤنه  
وإن هب خفاق النسيم بنفحة      حكّت عرْفَه طيبا قضى بتأنسه  
ومنها :

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل      حكى عرْفَ من أهوى وإشراق خده  
ومَنْبِته فى شاق متمنّع      كما امتنع المحبوب فى تيه صده<sup>(١)</sup>  
أميل إذا الأغصان مالت بروضة      أعانق منها القضب شوقا لقده  
وأهفو لخفاق النسيم إذا سرى      وأهوى أريج الطيب من عرْفَ نده  
ومنها :

أقر بعينى أن أرى الزهر يانعا      وقد نازع المحبوب فى الحسن وصفه  
وما أبصرت عيني كزهر قرْنُفْلٍ      حكى خد من يسبى القواد وعرفه  
تمنع فى أعلى الهضاب للجنّ      تمنعه منى إذا رمت إلهه

(١) الشاق : أراد به الجبل العالى الشديد الارتفاع ، والكس ، ومثله الكناس

بزنة الكتاب - مسكن الظباء

وفي جبل الفتح اجتنوه تهاؤلا      بفتح لباب الوصل يمنح عطفه<sup>(١)</sup>  
وما ضر ذلك الفصن وهو مرنح      إذا مائتي نحو المقيم عطفه<sup>(٢)</sup>

قال ابن الأحرر في الكتاب المذكور فيما مر : ومن قصائده التي يود الصبح سناها ،  
والنسيم اللدن رقة معناها ، يهنئ مولانا الجدرضى الله تعالى عنه عند وصول  
خالصة مقامه ، وكبير خدامه ، القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهدية ،  
وتجديد المقاصد الوُدِّيَّة ، ووافق استئناف راحة من الذات العلية ، ومن بعض فروع  
دَوَحَتِها الزكية :

أدراها ثلاثا من لحاظك واحبس	فقد غال منها السكر أبناء مجلس
إذا ما نهاني الشيب عن أكوس الطلا	تدير على الخمر منها بأكوس
عذيري من لحظ ضعيف وقد غدا	يحكم منا في جسوم وأنفس
وروض شباب ماس غصن قوامه	وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس
وما زال ورد الخلد وهو مضعف	يعير أفاق الثغر طيب تنفس
وكم جال طرف الطرف في روض حسنه	يقيده فيه العذار بسندس
أما وليالى الوصل في روضة الصبا	ومألف أحيائي وعهد تأنسى
لئن نسيته تلك العهد أحبتى	فقلبي عهد العاصرية ما نسى
وحاشى لنفسى بعدما افتتر فودها	من الشيب عن صبح به متنفس
وألبسها ثوب الوقار خليفة	به لبس الإسلام أشرف ملابس
وجدد للفتح المبين مواسمها	أقام بها الإيمان أفراس معرس
وأورثه العلياء كل خليفة	نماه إلى الأنصار كل مقدس
فيا زاجر الأظعان وهى ضوامر	بغير الفلا والوحش لم تقاوس

لابن زمرك  
يعدح ويهنئ

(١) العطف — بالفتح هنا — الميل

(٢) العطف — بالكسر هنا — الجانب

إذا جئت من دار الغنى بربه  
فإن شئت من بحر السباحة فاغترق  
أمولاي إن السعد منك لآية  
إذا شئت أن ترمى القصي من المنى  
فترمى بسهم من سعودك صائب  
أهنيك بالإبلال بمن شفاؤه  
ودعني أريد يملك فهي غمامة  
أقبل منها راحة إثر راحة  
ومن نسب الفتح المبين ولادة  
فيا أيها المولى الذى بكاله  
لأمنت موسى من عوادي سميته  
بعثت بيمينون النقيبة في أسمه  
فجاءك بالمال العريض هدية  
وشفعها بالصافنات كأنها  
تنص من الإشراف جيد غزاة  
لك الخير موسى مثل موسى ، كلاهما  
فلا زلت في ظل النعيم وكل من  
عليك سلام مثل حمدك عاطر  
وقال في مولد عام سبعة وستين وسبعائة وألم في أخرياتهما بوصف المشور الأسنى ،  
الرفيع المبني :

- (١) عقل دابته : ربطها . وعرس فلان : نزل ليلا ليستريح  
(٢) القصي : البعيد المنال ، والمني : جمع منية — بالضم — وهو ما يمتناه الإنسان

تهنئة  
لابن زمرك  
في المولد النبوي

زار الخيال بأيمن الزوراء      فجلال سناه غياهب الظلماء<sup>(١)</sup>  
وسرى مع السمات يسحب ذيله      فأتت تم بعنبر وكناء<sup>(٢)</sup>  
هذا وما شيء ألد من المنى      إلا زيارته مع الإغفاء  
بتفاح خيالين التحفناً بالضي      والسقم ما نخشى من الرقباء  
حتى أفاق الصبح من غمراته      وتجادبت أيدي النسيم رداً  
يا سائلي عن سر من أحببته      السر عندي ميت الأحياء  
تالله لا أشكو الصباة والهوى      لسوى الأجابة أو أموت بدائ  
يا دين قلبي لست أبرح عانيا      أرضى بسقى في الهوى وعنائ  
أبكي وما غير النجيع مدامع      أذكي ، ولا ضرم سوى أحشائي  
أهفو إذا تهفو البروق ، وأنثى      لسرى النواسم من رباً تيماء  
بالله يانفس الحى رققا بمن      أغريته بتنفس الضعفاء  
عجباله يندى على كبدى وقد      أذكى بقلبي جمرة البرحاء<sup>(٣)</sup>  
يا ساكنى البطحاء أى إانة      لى عنديكم يا ساكنى البطحاء  
أرى النوى يوماً تحيب قداحها      ويفوز قدحى منكم بقاء  
فى حيكم قمر فؤادى أفقه      تفديه نفسى من قريب نائى  
لم تنسى الأيام يوم وداعه      والركب قد أوفى على الزوراء  
أبكى وييسم والمحاسن تجتلى      فعلقت بين تبسم وبكاء  
يا نظرة جادت بها أيدي النوى      حتى استهلت أدمعى بدماء  
من لى بثانية تنادى بالأسى      (قدك انتد أسرفت فى الغلواء)  
ولرب ليل بالوصال قطعه      أجلو دجاء بأوجهِ الندماء

(١) السنا : الضوء

(٢) الكباء — بكسر الكاف ، بزنة الكتاب — ضرب من عود البخور

(٣) البرحاء — بضم ففتح — شدة الأذى ، والمشقة

أنسيت فيه القلبَ عادةً حلمه  
 جاريت في طلق التصابي جاحها  
 أطوى شباني للمشيب مراحلا  
 ياليت شعري هل أرى أطوى إلى  
 فتطيب في تلك الربوع مدائحي  
 حيث النبوة نورها متألّق  
 حيث الرسالة في ثنية قدسها  
 حيث الضريح ضريح أكرم مرسل  
 المصطفى والمرضى والمجتبي  
 خير البرية محتباها ذخرها  
 تاج الرسالة ختمها وقوامها  
 لولاه الأفلاك ما لاحت بها  
 ذو المعجزات الغر والآي الألى  
 وكفأك رد الشمس بعد مغيبها  
 والبدر شقّ له وكم من آية  
 وبليلة الميلاد كم من رحمة  
 قد بشرّ الرسل الكرام ببعثه  
 أكرم بها بشرى على قدم سرت  
 أمسى بها الإسلام يُشرق نوره  
 هو آية الله التي أنوارها —

وحثت فيه أكوّس السراء <sup>(١)</sup>  
 لا أنثى لمقادة النصحاء <sup>(٢)</sup>  
 برواحل الإصباح والإمساء  
 قبر الرسول صحائف البيداء  
 ويطول في ذاك المقام ثوائى <sup>(٣)</sup>  
 كالشمس تزهى في سنى وسنّاء  
 رفعت لهدى الخلق خير لواء  
 فخر الوجود وشافع الشفاء  
 والمتقى من عنصر العلياء  
 ظلّ الإله الوارف الأفياء <sup>(٤)</sup>  
 وعمّادها السامى على النظراء  
 شهب تنير دياجى الظلماء  
 أكبرن عن عدّ وعن إحصاء  
 وكفأك ما قد جاء في الإسراء  
 كأنامل جاءت بنبع الماء  
 نشر الإله بها ومن نعاء  
 وتقدم الكهان بالأنباء  
 في الكون كالأرواح في الأعضاء  
 والكفر أصبح فاحم الأرجاء  
 تجلو ظلام الشك أىّ جلاء

(١) حثت الكؤوس : أراد أدرتها  
 (٢) لا أنثى : لا أرجح  
 (٣) الثواء — بالفتح — الإقامة  
 (٤) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل

والشمس لا تخفى مزية فضلها إلا على ذى المقلة العمياء  
يا مصطفى والكون لم تعلق به من بعد أيدي الخلق والإنشاء  
يا مظهر الحق الجلى ومطلع النور السنى الساطع الأضواء  
يا ملجأ الخلق المشفع فيهم يا رحمة الأموات والأحياء  
يا آسى المرضى ومنتجع الرضا ومواسى الأيتام والضعفاء<sup>(١)</sup>  
أشكو إليك وأنت خير مؤمل داء الذنوب وفى يديك دوائى  
إنى مددت يدي إليك تضرعا حاشا وكلا أن يخيب رجائى  
إن كنت لم أخلص إليك فإنما خلصت إليك محبتي وندائى  
وبسعد مولاي الإمام محمد تعد الأمانى أن يتاح لقائى<sup>(٢)</sup>  
ظل الإله على البلاد وأهلها فخر الملوك السادة الخلفاء  
غيث العباد وليث مُستَجِر القنا بوم الطعان وفارج الغناء  
كالدهر فى سطواته وسماحه تجرى صباه بززع ورخاء<sup>(٣)</sup>  
رقت سجاياه وراقت محتلى كالنهر وسط الروضة الغناء  
كالزهر فى إراقه، والبدر فى إشراقه، والزهر فى لألاء<sup>(٤)</sup>  
يا ابن الألى إجمالهم وجمالهم فلق الصباح وواكف الأنواء  
أنصار دين الله حزب رسوله والسابقون بحلبه العلياء  
يا ابن الخلائف من بنى نصر ومن حاطوا ذمار الملة السمحاء  
من كل من تقف الملوك ببابه يستمطرون سحائب النعماء  
قوم إذا قادوا الجيوش إلى الوغى فالرعب رائدهم إلى الأعداء  
والعز مجلوب بكل كتيبة والنصر معقود بكل لواء

(١) الآسى : الطبيب والمعالج ، وجمعه أساة كقاض وقضاة

(٢) يتاح : يقدر وتنبأ أسبابه (٣) الززع : الريح الشديدة المهبوب

(٤) الزهر : النجوم ، والواحدة زهراء ، والألأاء : الضياء

يا وارثاً عنها مناقبها التي      تسمو مراقبها على الجوزاء<sup>(١)</sup>  
يا فخر أندلس وعِصْمَة أهلها      يحزبك عنها الله خير جزاء  
كم خضت طوع صلاحها من مَهْمَةٍ      لا تُهْتَدَى فِيهِ الْقَطَا الْمَاءُ<sup>(٢)</sup>  
تهدى بها حادى السرى بعزائم      تهدى نجوم الأفق فضل ضياء  
فارفع لواء الفخر غير مدافع      واستحب ذبول العزة القعساء  
واهناً بمنالك السعيد فإنه      كهف ليوم مشورة وعطاء  
لله منه هالة قد أصبحت      حرّم العفاة ومصرع الأعداء  
تنابها طير الرجاء فتجتني      تمر المنى من دَوْحَةِ الآلاء  
لله منـه قبة مرفوعة      دون السماء تفوت لحظ الرأى  
راقت بدائع وشيها فكأنها      وشى الربيع بمسقط الأنداء  
عظمت ميلاد النبی محمد      وشفعته بالليلة الغراء  
أحييت ليلك ساهراً فأفدتنا      قوت القلوب بذلك الإحياء  
يا أيها الملك الهمام المجتبي      فانت علّاك مدارك العقلاء  
من لى بأن أحصى مناقبك التي      ضاقت بهنّ مذاهب الفصحاء  
وإليك منى روضة مطولة      أَرَجَتْ أَزَاهِرَهَا بِطِيب ثَمَاء  
فأفسح لها أكناف صفحك إنها      بكر أنت تمشى على استحياء

قال ابن الأحمر: ومن إعاريات ابن زمرّك المحكمة نسقا ورعفاً، المتناهية في كل فن حسن تحلية غريبة ووصفاً، حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق بالخلق في دعواهم، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسواهم، تفننا في مكارم متعددة أيامها

(١) المناقب : المحامد ، واحدها منقبة ، والمراقى : جمع مراقبة ، وهى كل ما تصعد به إلى أعلي كالسلم ، والجوزاء : نجم .

(٢) القطا : طائر كالحمام ، وهو مضرب المثل في الاهتداء إلى مواضع الماء .

عن أصالة الجدة معربة ، وإغراء لهم الملك بما لتتميم الأنس من أوضاع مغربة ، ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر ، وتكاثراً من ممالك دولته بالعدد الوافر ، مما أجم الحسن الذكي عيا ، وغادر الإعذار الذنوبى منسياً ، كافأ الله سبحانه أبوته المولوية عنا وعن آبائنا ، وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما نصل له من خالص دعائنا ، إنه مُنعم جواد - قوله في الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه ! وذلك سنة أربع وستين وسبعائة .

\* معاذ الهوى أن أحجب القلب سالياً \*

القصيدة ، وقد تقدمت بتمامها فراجعها .

لابن زمرك من إعذار  
ثم قال : ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثانى الخصوص بعمينا السيدين  
الأميرين سعد ونصر رحمة الله تعالى عليهما ! وأجاد في وصف الجند والجرد والطلبة  
وغرائب الأوضاع :

أرسلته دمعاً تَصْرَجُ بالدم	ألمحة من بارق متبسم
يهفو فؤادك عن جوانح مغرم <sup>(١)</sup>	وللمحة تهفو بيسانات اللوى
خلق الهوى تعتاد كل متم	هى عادة عذرية من يوم أن
أدرى الهوى ، واليوم أعذل لوى	قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن
حذر الرقيب ومدمع لم يسجم	كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت
هيهات واشى السقم لما يكم	إن كان واشى الدمع قد كنم الهوى
قد كاد يَخْفَى عن خفى توم <sup>(٢)</sup>	ولقد أجد هوى رَسْمٍ دارس
فأطلت فيه ترددى وتلوى	وذكرت عهداً فى حماء قد انقضى
ورقاء تَنْفُثُ شجوها بترنم	ولربما أشجى فؤادى عنده

(١) البانات : جمع بانة ، وهى ضرب من الشجر ، وهفا فؤاده : تحرك .

(٢) الرسم : ما بقى من آثار الديار لاصقا بالأرض ، والدارس : المتغير .

لا أجذب الله الطلول فطالما  
يا زاجر الأظعان يحفرها الشرى  
لترى دموع العاشقين برسمها  
دمن عهدت بها الشبية والهوى  
وكتيبة للشوق قد جهزتها  
ورفعت فيها القلب بنداً خافقاً  
فأنا الذى شاب الحاسة بهوى  
فطعنت من قد القوام بأسم  
يا قاتل الله الجفون فإنها  
ظلمت قتيل الحب ثم تبينت  
ياظبية سنحت بأكناف الحمى  
ما ضر إذ أرسلت نظرة فاتك  
فرايت جسماً قد أصيب فؤاده  
ولقد خشيت بأن يقاد بحرحه  
كم خضت دونك من غمارمفازة  
والنجم يسرى من دجاء بأسمهم  
والبدر فى صفح السماء كأنه  
والزهر زهر والسماء حديقة  
والليل مرَبْدُ الجوايح قد بدا  
فكأنما فلق الصباح وقد بدا

أشجى الفصيح بها بكاء الأجم (١)  
قف بى عليها وقعة المتلوم (٢)  
حُمرًا كحاشية الرداء المُعلم  
سقيًا لها ولعهدا المتقدم  
أغزو بها السلوان غزو مُصم  
وأريت للعشاق فضل تهمنى  
لكن من أهواء ضايق مقدمى  
ورميت من غنج اللحاظ بأسمهم  
مهمارمت لم تخطِ شاكلة الرمى  
للسقم فيها فترة المتظلم  
سقى الحمى صوب الغمام المسجم  
أن لو عطفت بنظرة المترحم  
من مقلتيك وأنت لم تتأثم  
فوهبت لحظك ما أحلك من دمي  
لا تهتدى فيها الليوث للجم  
رخب المقلد بالثرىا ملجم  
مرآة هند وسط لُجج ترمى  
فتقت كإثم جنحها عن أجم  
فيه الصباح كفرة فى أدم  
مرأى ابن نصر لاح للمتوسم

(١) الجذب : القحط ، ولا أجذبها : دعاء لها بأن تبقى على الحصب ، وأشجاء :  
أثار شجاء وحزنه .  
(٢) الأظعان : أراد بها الإبل . وزاجرها : سائقها .

- ملك أفاض على البسيطة عدله  
هو منتهى آمال كل موفق  
لأحت منافقه كواكب أسعد  
ولقد تراءى بأسه وسماحه  
مثل الغمام وقد تضاحك برقه  
أنسى سماحة حاتم ، وكذلك في  
سير تسير النيرات بهديها  
قالبدر دونك في عُسلاً وإنارة  
ولك القباب المحر ترفع للندى  
يذكرى الكيأء بها كأن دخانه  
ولك العوالى السمر تشرع للعدا  
ولك الأيادى البيض قد طوقتها  
شيم يقر الحاسدون بفضلها  
ورث السماحة عن أبيه وجده  
نقلوا المعالى كابرأ عن كابر  
وتسمنوا رتب العلاء بحقها  
يا آل نصرأتم سُرُجُ الهدى  
القاتحون لكل صعب مقفل  
والباسمون إذا الكُمة عواس  
أبناء أنصار النبي وحزبه
- فالشاة لا تحشى اعتداء الضيفم<sup>(١)</sup>  
هو مؤرد الصادى وكنز المعدم<sup>(٢)</sup>  
فرأت ملامح نوره عينُ العمى  
فأتى الجلال من الجلال بتوأم  
فأفاد بين تجمهم وتبسم  
يوم اللقاء ربيعة بن مُكدم<sup>(٣)</sup>  
وتعير عرف الروض طيب تنسم  
والبحر دونك فى ندى وتكرم  
فترى العائم تحتها كالأنجم  
قطعُ السحاب بجوَّها المتغيم  
فتخر صرعى للدين وللهم  
صيد الملوك ذوى التلاد الأقدم  
والصبح ليس ضياؤه بمسكتم  
فالأكرم ابن الأكرم ابن الأكرم  
كالرمح مُطرِد الكعوب مقوم  
ما بين جد فى الخلافة وابنم  
فى كل خطب قد تجمهم مظلم  
والفارجون لسكل خطب مبهم  
والمقدمون على السواد الأعظم<sup>(٤)</sup>  
وذوى السوابق والجوار الأعصم

(١) الضيفم : الأسد وأراد كل مفترس من السباع ، وضرب ذلك مثلاً للأمن .

(٢) المورد : مكان ورود الماء ، والصادى : العطشان .

(٣) ربيعة بن مكدم : من أبطال العرب (٤) الكيأء : الشجعان ، واحدهم كى

سل عنهم أخطأً وبدراً تلقهم  
 وبفتح مكة كم لهم في يومه  
 أقسمت بالحرم الأمين ومكة  
 لولا مآثرهم وفضلُ علامُ  
 ماذا عسى أثنى وقد أثنت على  
 يا وارثاً عنها مآثرها التي  
 يا فخر اندلس لقد مُدَّتْ إلى  
 أما سعودك في الوغى فتكفلت  
 وافتت هذا الثغر وهو على شق  
 ورعيته سياسة دارت على  
 كم ليلة قد بتَّ فيها ساهرا  
 يا مظهر الألفاظ وهي خفية  
 لله دولتك التي آثارها  
 ما بعد يومك في المواسم بعد ما  
 وافتك أشرافُ البلاد ليومه  
 صرفوا إليك ركبهم وتيمموا  
 وتبوؤا منه بدار كرامة  
 ودت نجومُ الأفق لو مثلت به  
 والروض مختال بحلية سندس  
 ورياحه نسمت بنشر لطيمة

أهل الغناء بها وأهل المغنم<sup>(١)</sup>  
 بلواء خير الخلق من مُتقدِّم  
 والركن والبيت العتيق وزمزم  
 ما كان يُعزى الفضل للمتقدم<sup>(٢)</sup>  
 عليهم أي الكتاب الحكم  
 قد شيدت للفخر أشرف معلم  
 عليك كف اللائد المستعصم  
 بسلامة الإسلام فاخذ واسلم  
 فشفيت مُعضِل دائه المستحكم  
 مخطئه دَوْر السوار بمعصم  
 تهدي الأمان إلى العيون النور  
 ومُهَبَّ ربح النصر للمتقنم  
 سير الركاب لمنجد أو مُتَّهم<sup>(٣)</sup>  
 أتعبت عيد الفطر أكرم موسم  
 من كل نذب لأملا متسئم  
 من بابك المنتاب خير مُيَّهم  
 فالكل بين مقرب ومنعم  
 لتفوز فيه برتبة المستخدم  
 من كل مَوْشَى الرقوم منعم  
 وأقاحه بسمت بشعر مسلم

(١) الغناء — بالفتح — الكفاية والنفع ، وتقول « مافي فلان غناء » تريد

أنه لانفع عنده . (٢) يعزى — بالبناء للجهول — ينسب .

(٣) المنجد : الناهب إلى نجد ، والمتهم : الناهب إلى تهامة .

وأرئيتنا فيه عجائب جمّة  
أرسلت سرعان الجياد كأنها  
من كل منحفر بخطّفة بارق  
طرف يشك الطرف في استنباته  
ومسافر في الجوّ تحسب أنه  
رام استراق السمع وهو ممنع  
رجمته من شهب النصال حواصب  
ومدارة الأفلاك أعجز كنهها  
يمشى الرجال بجوفها وجميعهم  
ومنفوع الحركات قد ركب الهوا  
فإذا هوى من جوّه ثم استوى  
يمشى على فنّ الرشاء كأنه  
وإليك من صون العقول عقيلة  
ترجو قبولك وهو أكبر منحة  
طاردت فيها وصف كل غريبة  
ودعوت أرباب البيان أريهم  
ما ذاك إلا بعض أنعمك التي  
قد علمت أنّ كيف شكر المنعم  
(كم غادر الشعراء من متردم) (٢)

ثم قال : وأنشد من ذلك في الصنيع الخصوص بعنا الأمير أبي عبد الله - رحمه الله تعالى عليه ! - وأطنب في وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا رضى الله تعالى عنه :

(١) الأسراب : جمع سرب - بالكسر - وهو جماعة الطير ، والتنوفة - بفتح التاء - الصحراء ، وحوم : جمع حائمة ، وتقول « حامت حول الماء » دارت  
(٢) عجز هذا البيت صدر مطلع معلقة عنتره بن شداد العبسى ، وعجزه في كلام عنتره قوله \* أم هل عرفت الدار بعد توهم \*

سل الأفق بالزهر الكواكب حاليا  
 وَخَلَّتْ مَعْتَلَّ النسيم أمانة  
 قيا من رأى الأرواح وهى ضعيفة  
 وساوس كم جَدَّتْ وَجَدَّتْى الهوى  
 ومن يطع الألاحظ فى شِرْعة الهوى  
 عدلت بقلبي عن ولاية حكمه  
 وما الحب إلا نظرة تبعث الهوى  
 فيا عجبا للعين تمشى طليقة  
 ألافى سبيل الله نفس نفيسة  
 ويارب عهد للشباب قضيته  
 خلوت بمن أهواه من غير رِقْبة  
 ويوم بمستنّ الأطباء شهدته  
 ولم أضحُ من خمر اللحاظ وقدا  
 وجرد من غمد الغمامة صارما  
 تبسم فاستبكي جفونى غمرة  
 وأذ كرنى ثغرا ظمئت لورده  
 وراح خفوق القلب مثلى كأنما  
 وليلة بات البدر فيها مضاجعى  
 كرهت بها بين العذيب وبارق  
 رشفت به شهد الرضاب سلافة

فإنى قد أودعته شرح حاليا  
 قطعت بها عمر الزمان أمانيا  
 أحلها ما يستخف الرواسيا<sup>(١)</sup>  
 فَعَدَّ به القلب القلب هازيا  
 فلا بد أن يعصى نصيحها ولا حياء<sup>(٢)</sup>  
 غداة ارتضى من جأر اللحظ واليا  
 وتُعَقِّبُ ما يعنى الطبيب المداويا  
 ويصبح من جرأها القلب عانيا  
 يرخصُ منها الحب ما كان غاليا  
 وأحسن من دين الوصال التقاضيا  
 ولكن غفانى لم أكن عنه خاليا  
 أجد وصالا باليا فيه باليا<sup>(٣)</sup>  
 به الجوة وضاح الأسرة ضاحيا  
 من البرق مصقول الصفيحة صافيا  
 ملأت بدر الدمع منها رداثيا  
 ولا والهوى العذرى ما كنت ناسيا  
 ببرق الحمى من لوعة الحب مايبا  
 وباتت عيون الشهب نحوى رَوَانِيا  
 بمورد ثغريات بالدرِّ حاليا  
 وقبلت فى ماء النعيم الأفاحيا

(١) ما يستخف : يراها خفيفة ، والرواسى : أراد بها الجبال ، واحدها راس

(٢) اللامحى : اللأم .

(٣) مستنّ الأطباء : أراد به النفارات الشديداة العدو

فَيَا بَرْدَ ذَاكَ الْغَرَّ رَوَّيْتُ غَلَّتِي      وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَذْبَتُ فَوَادِيَا  
 وَرَوْضَةَ حَسَنِ الشَّبَابِ نَضِيرَةَ      بَصُرْتُ بَعْصَنَ الْيَانِ فِيهَا الْحَاجِنِيَا  
 وَبَتَ أَسْقَى وَرْدَةَ الْخَدِّ أَدْمَعِي      فَأَصْبَحَ فِيهَا نَرْجَسَ اللَّحْظِ ذَاوِيَا <sup>(١)</sup>  
 وَمَالَتْ بَقْلِي مَائِلَاتٌ قَدُودُهَا      فَمَا لِلْقَدُودِ الْمَائِلَاتِ وَمَالِيَا  
 جَزَى اللَّهُ ذَاكَ الْعَهْدَ عَوْدًا فَطَالَمَا      أَعَادَ عَلَى رُبْعِ الظُّلُمِ الْجَوَازِيَا  
 وَقُلْ لِلْيَالِ فِي الشَّبَابِ نَعْمَتَهَا      وَقَضَيْتَهَا أَنْسَا : سَقَيْتُ لِيَالِيَا  
 وَيَا وَادِيَا رَفَّتْ عَلَى ظِلَالِهِ      وَنَحْنُ نَذِيرُ الْوَصَلَ فَدَيْتُ وَادِيَا <sup>(٢)</sup>  
 رَمَتْنِي عَيُونَ السَّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا      رَمِينَ بَقْلِي فِي الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا  
 فَلَوْلَا اعْتَصَمَ امْرَأَتِي بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ      لَمَا كُنْتُ مِنْ فَتَاكِ الْوَاظِحِ نَاجِيَا  
 فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي عَلَى الْحَسَنِ شَعْرَهُ      عَلَيْهِ مَعَ الْإِحْسَانِ لَازَلْتُ بَانِيَا  
 فَكَمْ مِنْ شَكَاةٍ فِي الْهَوَى قَدْ رَفَاتَهَا      وَرَفَعْتُهَا بِالْمَدْحِ إِذَا جَاءَ تَالِيَا  
 وَكَمْ أَيْلَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ سَهَرَتْهَا      أَبَاهِي بَدْرَ النِّظْمِ فِيهِ الدَّرَارِيَا  
 وَلَاحَ عُمُودُ الصَّبْحِ مِثْلَ انْتِسَابِهِ      رَفَعْتُ عَلَيْهِ الْعَدِيحَ الْمَبَانِيَا  
 إِمَامَ أَفَادِ الْمَكْرَمَاتِ زَمَانِهِ      وَسَاكِنَهُ فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَالِيَا  
 وَجَاوَزَ قَدْرَ الْبَدْرِ نُورًا وَرَفَعَهُ      وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالسَّكَالِ مُوَالِيَا  
 هُوَ الشَّمْسُ بَثَّتْ فِي الْبَسِيطَةِ نَفْعَهَا      وَأَنْوَارَهَا أَهْدَتْ قَرِيبًا وَقَاصِيَا  
 هُوَ الْبَحْرُ بِالْإِحْسَانِ يَزْخُرُ مَوْجُهُ      وَلَكِنَّهُ عَذَبَ لِمَنْ جَاءَ عَافِيَا  
 هُوَ الْغَيْثُ يَهْمِي يَمْسُكُ الْغَيْثُ سَجْبَهُ      يَرْوِي بِسُخْبِ الْجُودِ مَنْ كَانَ صَادِيَا  
 شَمَائِلُ لَوْ أَنَّ الرِّيَاضَ بِحُسْنِهَا      لَمَا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا الْقَفْضُ ذَاوِيَا  
 فَيَا ابْنَ الْمُلُوكِ الصَّيِّدِ مَنْ آلَ خَزْرَجٍ      وَذَا نَسَبٍ كَالصَّبْحِ عَزَّ مُسَامِيَا

(١) نَرْجَسَ اللَّحْظُ : من إضافة المشبه به إلى المشبه ، وذَاوِيَا : ذَابِلَا  
 (٢) رَفَّتْ ظِلَالُهُ : أصله قولهم « رَفَّ النَّبَاتُ » إِذَا هَتَزَ وَاضْطَرَبَتْ أَغْصَانُهُ ،  
 وَقَالُوا « دَخَلْتُ عَلَى فُلَانٍ فَرَفَّ لِي » أَيْ هَشَّ وَاهْتَزَّ ، وَقَالُوا « رَفَّ فَوَادِي لِحْدَيْهِ »

أست الذي ترجو العفاة نواله  
أست الذي تحشى البغاة صياله  
وهذيك مهماضلت الشهب قصدها  
وعزمك أمضى من حسامك في الوغى  
فكم قادح في الدين يكفر ربه  
وما راعه إلا حسام وعزمة  
فلولاك يا شمس الخلافة لم يبن  
ولولاك لم ترفع سماء عجاكية  
ولولاك لم تهل غصون من القنا  
فأتمر فيها النصل نصرا مؤزرا  
ومهما غدا سقّاح سيفك عاريا  
قضى الله من فوق السموات أنه  
فكم معقل للكفر صبّحت أهله  
رقيت إليه والسيوف مشيخة  
ففتحت مرقاه المنع عنوة  
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا  
عجائب لم تخطر ببال وإنما  
فمنك استفاد الدهر كل عجيبة  
وعنك يروى الناس كل غريبة  
ولله مبناك الجيـل فإنه

فَتُخْجِلُ جَدَّوَاهُ السَّحَابِ الْغَوَايَا  
فَتُوجِلُ عَلَيْهِ الصَّعَابِ الْغَوَايَا  
تَوَلَّاهُ فِي جَنَحِ الدَّجَنَةِ هَادِيَا  
وَإِنْ كَانَ مَصْقُولَ الْغِرَارِ مِنْ مَاضِيَا<sup>(١)</sup>  
قَدَحَتْ لَهُ زَنْدَ الْخَفِيفَةِ وَارِيَا<sup>(٢)</sup>  
يُضِيَانِ فِي لَيْلِ الْخَطُوبِ الدَّوَاجِيَا  
سَبِيلَ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلِ خَافِيَا  
تَلَوَحَ بِهَا بَيْضُ النُّصُولِ دَرَارِيَا  
وَكَانَتْ إِلَى وَرْدِ الدِّمَاءِ صَوَادِيَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَجْنَى قَطَافِ الْفَتْحِ غُضَا وَدَانِيَا  
يَغَادِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْدمِ كَاسِيَا  
عَلَى مَنْ أَبِي الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ قَاضِيَا  
يُجِيشُ أَعَادَ الصَّبْحِ أَظْلَمَ دَاجِيَا  
وَقَدْ بَلَغَتْ فِيهِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَا  
وَبَاتَ بِهِ التَّوْحِيدُ يعلو مَنَادِيَا  
وَمَنْبَرُهُ بِالذِّكْرِ أَصْبَحَ حَالِيَا  
ظَفَرْنَا بِهَا عَنْ هِمَّةٍ هِيَ مَا هِيََا  
يُبَاهِي بِهَا الْأَمْلاكَ أُخْرَى لِيَالِيَا  
تَخْطُ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ الْأُمَالِيَا  
يَفُوقُ عَلَى حُكْمِ السَّعُودِ الْمَالِيَا

(١) غرار السيف — بكسر الغين بزنة الكتاب — حده

(٢) وري الزند يرى — من باب ورث ووعد — إذا أخرج عند القدح نارا

(٣) الصوادي : العطاش ، واحدها صاد

فكم فيه للأبصار من متزّه  
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به  
ولو مثلت في سابقه لسابت  
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا  
وكم حلة جلّلته بحليها  
وكم من قسى في ذراه ترفعت  
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها  
سوارى قد جاءت بكل غريبة  
به المرمر الجلو قد شف نوره  
إذا ما أضأت بالشعاع تحالها  
به البحر دقّاع العباب تحاله  
إذا ما جلّت أيدي الصبا من صفحه  
وراقصة في البحر طوع عنانها  
إذا ما علت في الجو ثم تحدرت  
يذوب لجين سال بين جواهر  
تشابه جارٍ للعيون بحامد  
فإن شئت تشبها له عن حقيقة  
فقل أرقصت منها البحيرة متها  
أرنا طباع الجود وهى وايدة  
سقت نغزهر الروض عذب برودها

تجدّ به نفس الحليم الأمانيا  
ولم تك فى أفق السماء جواريا  
إلى خدمة ترضيك منها الجواريا  
به القصر آفاق السماء مباحيا (١)  
من الوشى تنسى السابريّ اليمانيا (٢)  
على عمد بالنور باتت حواليا  
تظل عمود الصبح إذ بات باديها  
فطارت بها الأمثال تجرى سواريا  
فيجلو من الظلماء ما كان داجيا  
على عظم الأجرام منها لآليا  
إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا  
أرنا دروعا أكسبتنا الأياديا  
تراجع ألحان القيّمان الأغانيا  
تحلى بمرفض الجمّان النواحيا  
غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا  
فلم أدر أيّا منهما كان جاريا  
تصيب بها المرمى وبوركت راميا  
كما يرقص المولود من كان لاهيا  
ولم ترض فى الإحسان إلا تغاليا  
وقامت لكى تهدى إلى الدهر ساقيا

(١) البهو — بالفتح — البيت المقدم أمام البيوت ، وجمعه أبهاء وبهى وبهو —  
يتشديد الواو — وباهى فلان فلانا : فاجره فى الحسن

(٢) السابري : ضرب من الثياب ، وهو من أجودها ؛ قالوا : هو منسوب إلى  
سابور على غير قياس ، وقال الشاعر : \* وعيش كمن السابري رقيق \*

كَأَنَّ قَد رَأَتْ نَهْرَ الْحِجْرَةِ نَاضِبًا      وَقَامَتْ بَنَاتُ الدَّوْحِ فِيهِ مَوَاتِلًا  
 وَقَامَتْ فِي حِجْرِ الْغَرَامِ تَرَعْرَعَتْ      بِهَا كُلُّ مَلْتَفِ الْغَدَاثِ مَسْبِلًا  
 بِهَا كُلُّ مَلْتَفِ الْغَدَاثِ مَسْبِلًا      وَأَشْرَفَ جَيْدُ الْغَصْنِ فِيهَا مَعْطِلًا  
 إِذَا مَا تَحَلَّتْ دُرُّ زَهْرٍ غُرُوسُهُ      مَصَارِفَةُ النَّقْدِينَ فِيهَا بِمَثَلًا  
 فَإِنْ مَلَأَتْ كَفَّ النَّسِيمِ بِمَثَلُهَا      فَيَمْلَأُ حِجْرَ الرُّوضِ حَوْلَ غَصُونِهَا  
 تَعَوَّدَ فِي أَفْنَانِهَا الطَّيْرُ كُلُّهَا      تَرَاجَعُهَا سَجْعًا فَتَحْسِبُ أَنَّهَا  
 فَلَمْ تَدْرِ رَوْضًا مِنْهُ أَنْعَمَ نَضْرَةً      وَلَمْ تَرَ قَصْرًا مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِرًا  
 مَعَانِي مِنْ نَفْسِ الْكَمَالِ انْتَقِيَتْهَا      وَفَاتَحَتْ مَبْنَاهُ بِعَيْدِ شَرِيعَتِهِ  
 وَلَمَّا دَعَوْتَ النَّاسَ نَحْوَ صَنِيعِهِ      وَأَمْوُهُ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ تَقْرِبًا  
 وَأَذْكَرَتْ يَوْمَ الْعَرْضِ جُودًا وَمَنْعَةً      جَزِيَتْ بِهِ كَلًّا عَلَى حَالِ سَعِيهِ  
 وَأَطْلَعَتْ مِنْ جَزْلِ الْوُقُودِ هَوَادِجًا      قَامَتْ بَأَنَّ تَجْرَى إِلَيْهِ السَّوَاكِبُ (١)  
 فَرَادَى وَيَقْلُو بَعْضُهُنَّ مَثَانِيًا (٢)  
 وَشَبَّتْ فَشَبَّتْ حَبِيبًا فِي فَوَادِيَا (٣)  
 تَجِيلُ بِهِ أَيْدَى النَّسِيمِ مَذَارِيَا  
 قَقْلَدَتْ النُّوَارُ مِنْهُ التَّرَاقِيَا  
 بَيْتٌ لَهَا الْهَامُّ بِالطَّيْبِ وَاشِيَا  
 أَجَازَ بِهَا النَّقْدِينَ مِنْهَا كَاهِيَا  
 دَرَاهِمُ نُورِ ظِلِّ عَنْهَا مُكَافِيَا  
 دَنَانِيرُ شَمْسٍ تَتْرَكُ الرُّوضُ حَالِيَا  
 تَجَسُّ بِهَ أَيْدَى الْقِيَانِ الْمَلَاهِيَا  
 بِأَصْوَاتِهَا تُعْمَلِي عَلَيْهَا الْأَغَانِيَا  
 وَأَعْطَرَ أَرْجَاءَ وَأَحْلَى مَجَانِيَا  
 وَأَرْفَعَ آفَاقًا وَأَفْسَحَ نَادِيَا  
 وَزَيَّنَتْ مِنْهَا بِالْجَمَالِ الْمَغَانِيَا  
 تَبَثُّ بِهِ فِي الْخَافِقِينَ التَّهَانِيَا  
 أَجَابُوا لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْغُورِ دَاعِيَا  
 وَمَا زَالَ مِنْكَ السَّعْدُ يَدْنَى الْأَفَاصِيَا  
 بِمَوْقِفِ عَرْضِ كُنْتَ فِيهِ الْحَازِيَا  
 فَمَا غَرَسَتْ يَمْنَاهُ أَصْبَحَ جَانِيَا  
 تَذْكُرُ يَوْمَ الْغَفْرِ مَنْ كَانَ سَاهِيَا

(١) نضب الماء ينضب : غاض وغار في الأرض

(٢) بنات الدوح : أراد الحمام ، وذلك كتسمية أبي العلاء إياها بنات الهديل

(٣) شبت الأولى بمعنى كبرت وترعرعت ، وشبت الثانية بمعنى أوقدت ، تقول :

« شبت فلان النار يشبها » إذا أوقدها وأشعلها

(١) وحين غدا يذكي منائر للقرى  
وطامحة في الجوّ غير مطالة  
تمد لها الجوزاء كف مسارع  
ولا عجب أن فانت الشهب بالاعلا  
فبين يدَيّ مثواك قامت لخدمة  
وشاهدُ ذا أنى بيباك واقف  
وقد أرضعت ثدى الغمام قبلها  
فلما أبيت عن قرارة أصلها  
وعدت لقاء السحب عيداً وموسماً  
فأضحكت البرق الطروب خلاها  
رأت نفسها طالت فظنت بأنها  
فحقت إليها الزائلات كأنها  
حكّت شَبَّاً للنحل والنحلُ حوله  
فمن مثبت منها الرمية مدرك  
وحصن منيع في ذراها قد ارتقى  
كأن بروق الجوّ غارت وقد أرت  
فأنشأت برجا صاعداً متزلاً  
تطور حالات أنى في ضروبها  
فجبل برجليها وشاخٌ بخصرها  
وما هو إلا طير سعد بذروة

فلا غرو أن أجريت فيه المذاكيا<sup>(١)</sup>  
يرد مداها الطرف أحسّر عاريا  
ويدنو لها بدر السماء مناجيا  
وأن جاوزت منها المدى المتناهما  
ومنَ خُدم الأعلى استفاد المعاليا  
وقد حسدت زهر النجوم مكانيا  
بحجر رياض كن فيه نواشيا  
أرادت إلى مرقى الغمام تعاليا  
لذلك اغتدت بالزّمر تلهى الغواديا  
وبات لأ كواس الدراري مُعاطيا  
تفوت على رغم اللحاق المراميا  
طيور إلى وكر أطلنّ تهاويا  
عصى إلى مثواه تهوى عواليا  
ومن طائش في الجو حلق وانيا  
فأبعد في الجوّ الفضاء المراقيا  
بروج قصور شدّتهن سواميا  
يكون رسولا بينهن مداريا  
بأنواع حَلَى تستقز الغوانيا  
وتاج إلى ما حل منها الأعاليا  
غدا زاجرا من أمّتهب الصبح بازيا

(١) لا غرو : لاعجب ، ولذا كى : الحيل ، ويقال : « جرى المذكيات غلاء »  
أو « غلاب »

أمولاي يا فخر الملوك ومن به  
 سبيلغ دينُ الله ما كان راجيا  
 بنوك على حكم السعادة خمسة  
 وذا عدد للعين مازال واقيا  
 تبیت لهم كف الثريا معيزة  
 ويصبح معقل النسيم رواقيا  
 أسام عليها للسعادة ميسم  
 ترى العز فيها مستكنا وباديا<sup>(١)</sup>  
 جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم  
 وقد عرفت منك الفتوح التواليا  
 وحسبك سعد ثم نصر يليهم  
 محمد الأرضى ، فازلت راضيا  
 أقمت به من فطرة الدين سنة  
 وجددت من رسم الهداية عافيا  
 وجاءوا به ملء العيون وسامة  
 يقبل وجه الأرض أزهر باهيا  
 فيا عادلا ما كان أجرا مثله  
 فنلك لا يدمى الأسود الضواريا  
 وجاءتك من مصر التحايا كراما  
 فما فتت أيدي التجار الغواليا  
 ووافقتك من أرض الحجاز تيمية  
 تقم صنع الله لا زال باديا  
 وناداك بالتهويل سلطان طيبة  
 فيا طيب ما أهدى إليك مناديا  
 وقام وقد وافى ضريح محمد  
 سريرتك الرحى جزاك بسعيها  
 فوالله لولا ســــنة نبوية  
 وعذر من الأعذار قرر حكمه  
 لراعت بها للجزر أهوال موقف  
 تشيب بمبيض النصول العواليا  
 لك الحمد فيه من صنيع تعده  
 قتائله في الفخر عزز ثانيا  
 تشدله للجوزاء عقد نطاقيها  
 لتخدم فيه كي تنال المعاليا  
 وهنت بالأمداح فيه وقد غدا  
 وجودك فيه بالإجادة وافيا

(١) أين هذا من قول أبي الطيب المتنبي :

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

ودونك من بحر البيان جواهرها      كرم من فما يُشْرَيْنَ إلّا غواليها  
وطارذت فيها وصف كل غريبة      فأعجزت مَنْ يَأْتِي ومن كان ماضيها  
فياوارث الأنصار لا عن كلاله      تراث جلال يستخف الرواسيا<sup>(١)</sup>  
بأمداحه جاء الكتاب مفصلا      يرتلّه في الذّكر مَنْ كان تاليا  
لقد عرف الإسلام مما أفدته      مكارم أنصاريةً وأياديا  
عليك سلام الله فاسلم مخلدا      تجدد أعيادا وتبلى أعاديا  
ثم قال : ومن ذلك في الصنيع المختص بالأمراء الحِلَّة : أئخينا المعز لدولتنا  
أبي الحسن ، وأئخينا أبي العباس ، وابن عمنا أبي عبد الله ، وصَلَّ الله تعالى سعوذهم !  
ولقد أبدع في تشييده وتأسيسه ، وبسط يد الحسن من براعته وتخميسه ، وذلك  
على أثر عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبته لما عادت إلى ملكه :

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا  
ينظم من قطر الغمام جواهرها  
فيسم ثغر الروض عنه أزاهرا  
وصبح حكى وجه الخليفة باهرا  
شفانى معتل النسيم إذا انبرى  
وأسند عن دمعى الحديث الذى جرى  
وقد فتق الأرجاء مسكا وعنبرا  
كأن الغنى بالله فى الروض قد سرى  
فهبّت به الأرواح عاطرة الرّدا  
عذيرى من قلب إلى الحسن قد صبا  
تهيجه الذكرى ويصبو إلى الصّبا

(١) تقول : « ورث فلان المجد لا عن كلاله » ، تريد أنه لم يرثه من بعيد ، وإنما جاءه من آبائه ، والكلاله فى الميراث : كل من ليس من عمود النسب من أصل أو فرع .

وَيُجْرِي جِيَادَ اللّهُ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا (١)  
 وَلَوْلَا ابْنُ نَصْرٍ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا      رَأَى وَجْهَهُ صَبَحَ الْمَهْدَايَةَ فَاهْتَدَى  
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شَكَايَةَ  
 جَنَى الْحَسَنِ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جَنَايَةَ  
 وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْعِيُونَ نَكَايَةَ  
 وَأَطْلَعَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّمْعِ آيَةَ      مَحْيَا جَمِيلًا بِالصَّبَاحِ اقْدَرْتُ ارْتَدَى  
 بِهَدْيِكَ تُهْدَى النِّيرَاتِ وَتَهْتَدَى  
 وَأَنْوَأُهَا جَدْوَى يَمِينِكَ تَجْتَدَى  
 وَعَدْلِكَ لِلْأَمْلَاقِ أَوْضَحُ مُرْشَدِ  
 بَأَثَارِهِ فِي مُشْكَلِ الْأَمْرِ تَقْتَدَى      فَمَا بِالْسلطانِ الْجَمَالِ قَدْ اعْتَدَى  
 تَحْكُمُ مَنَا فِي نَفُوسٍ ضَعِيفَةٍ  
 وَسَلَّ سَيْوُفًا مِنْ جَفُونٍ نَحِيفَةٍ  
 أَلَمْ يَدْرَأْنَا فِي ظِلَالِ خَلِيفَةٍ  
 وَدَوْلَةِ أَمْنٍ لَا تُرَاعَ مُنِيفَةٍ      بِهَا قَدْ رَسَدَ دِينَ الْهَوَى وَتَعَدَّى  
 خَذُوا بِدَمِ الْمُشْتَاقِ لَحْظًا أَرَاقَهُ  
 وَبَرْقًا بِأَعْيُنٍ لَامِ الثَّانِيَةِ شَاقَهُ  
 وَإِنْ كَلَفُوهُ فَوْقَ مَا قَدْ أَطَاقَهُ  
 يَبِثُ حَدِيثًا مَا أَلَدَ مَسَاقَهُ      خَلِيفَتُنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدَا  
 تَقْلُدُ حَكْمَ الْعَدْلِ دِينًا وَمَذْهَبًا  
 وَجَوَرَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا

(١) الصبا

(١) أصل هذه الاستعارة قول زهير بن أبي سلمى المزني  
 صحا القلب عن ليلى وأقصر بأطله وعزى أفراس الصبا ووراحله

فيا عجبا للشوق أذكى وألها  
 وسلّ صباحا صارم البرق مذهبا      وقد بات في جفن الغامة مغمدا  
 يذكركني ثفرا لأسماء أشنبا<sup>(١)</sup>  
 إذا ابتسمت تجلو من الليل غيها  
 كعزم أمير المسلمين إذا اختبى  
 وأجرى به طرفا من الصبح أشنبا      وأصدر في زلت الإله وأوردا  
 فسبحان من أجرى الرياح بنصره  
 وعطر أنفاس الرياض بشكره  
 فبرد الصبا يطوى على طيب نشره  
 ومهما تجلى وجهه وسط قصره      ترى هالة بدر السماء بها بدا  
 إمام أفاد المَعْلَوَاتِ زمانه  
 فما لحقت زهر النجوم مكانه  
 ومد على شرق وغرب أمانه  
 ولا عيب فيه غير أن بنانه      تفرّق مستجديه في أبحر الندى  
 هو البحر مد العارض المتهللا  
 هو البدر لكن لا يزال مكلا  
 هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا  
 هو العلم الخفّاق في هضبة العلا      هو الصارم المشهور في نصره الهدى  
 أما والذي أعطى الوجود وجوده  
 وأوسع من فوق البسيطة جوده

(١) الأشنب : الوصف من الشنب — بفتح الشين والنون — وهو رقة وعدوبة  
 وبرد في الأسنان ، قال الراجز :

وا ، بأبي أنت وفوك الأشنب كأنما ذر عليه الزرنب

لقد أصحب النصر العزيز بَنُوْدَهُ (١)  
 ومد بأَملاك السماء جنوده وأنجز للإسلام بالنصر موعدا  
 أمولاي قد أنجحت رأيا وراية  
 ولم تبق في سبق المكارم غاية  
 قتهدي سجايا كابن رشد نهاية  
 وإن كان هذا السعد منك بداية سيقى على مر الزمان مخلدا  
 سعودك تُغْنِي عن قراع الكتائب  
 وجودك يُزْرِى بالنعام السواكب (٢)  
 وإن زاحمتها شهبها بالمناكب  
 ووجهك بدر المنتدى والمواكب وقد فسحت في الفخر أبنائك المدى  
 بنوك كأمثال الأنامل عِدَّة  
 أعدت لما يُخْشَى من الدهر عِدَّة  
 وزيد بهم بُرْدَ الخلافة جدة  
 أطال لهم في ظل ملكك مدة إله يطيل العمر منك مؤبدا  
 بدور بأوصاف الكمال استقلت  
 غمام بفياض النوال استهلّت  
 سيوف على الأعداء بالنصر سُلت  
 نجوم بأفاق العلاء تجلت ولاحت كإشاعات سعودك أسعدا  
 وإن أبا الحجاج سيفك منتضى  
 وبدر بأفاق الجمال تعرضا

(١) البنود: الأعلام، واحدها بند، بالفتح

(٢) يزرى: يعيب وينقص، يريد أن كرمه فوق السحاب النهمر

بنورك يا شمس الخلافة قد أضأ<sup>(١)</sup>  
 وراقت على أعطافه حُلل الرضا فحل محلا من علاك ممهدا  
 ملك له تعفو الملوك جلالة<sup>(٢)</sup>  
 يجرّر أذيال الفخار مطالة  
 وتفرّق أسد الغاب منه بسالة<sup>(٣)</sup>  
 وترضاه أنصار الرسول سلالة فابناؤه طابوا فروعا ومحمدا<sup>(٤)</sup>  
 أزاهر في روض الخلافة أينعت  
 زواهر في أفق العلاء تطلعت  
 جواهر أغيت في الجمال وأبدعت  
 وعن قيمة الأعلاق قدرا ترفعت يسر بها الإسلام غيبا ومشهدا  
 بعهد ولى العهد كرم عهده  
 وأنجز في تخليد ملكك وعده  
 تنظم منهم تحت شملك عقده  
 وأورثهم فخرا أبوه وجده فأعلى عليا حين أحد أحمدا  
 تحوط بهم ملكا عزيزا وملة  
 وتلحظ عين السعد منهم أهلة  
 ستبدو على أفق العلا مستقلة  
 وستجبا بفياض العلا مستقلة تفجر بجرا للساحة مزبدا  
 ونجلك نصر يقتفى نجل رسمه  
 أمير يزين العقل راجح حلمه

(١) أضأ : أراد « أضأ » بمعنى أثار ، فحذف الهمزة حين اضطر  
 (٢) تعفو : تخضع وتذل (٣) تفرق : تخاف (٤) المحتد : الأصل

أتاك بنجل يستضاء بنجمه  
 لحب رسول الله سماه باسمه وباسمك في هذى الموافقة اقتدى  
 أقمت بإعذار الإمارة سنة  
 وطوقت من حلى بفخرك منة  
 وأسكنتها فى ظل برك جنّة  
 وألحقتها برد امتنانك جنّة وعمرت منها بالتلاوة مسجدا  
 فله عينا من رآهم تظلموا  
 غصونا بروض الجود منك ترعرعوا  
 وفى دوحه العلياء منك تفرعوا  
 ملوك يجلباب الحياء تقنعوا أضاء بهم من أفق قصرك منتدى<sup>(١)</sup>  
 وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم  
 وأضفوا به فوق الحلى لبوسهم  
 وقد زينوا بالبشر فيه شمسهم  
 وعاطوا كؤس الأنس فيه جليسهم وأبدؤا على هول المقام تجلدا  
 شمائل فيهم من أيهم وجددم  
 تفصل آى الفخر فيها بمجدم  
 وتنسبها الأنصار قدما لسعدم<sup>(٢)</sup>  
 تضىء بها نورا مصابيح سعدم ولم لا ومن تحب الرسول توقدا  
 فوالله لولا سنة قد أمتها  
 وسيرة هدى للنبي علمها

(١) المنتدى ، والندى - بتشديد الياء - والنادى : المكان يجتمع فيه القوم

للسمر والمشورة

(٢) هو سعد بن عبادة سيد الأنصار

وأحكام عدل للجنود رسمتها  
 لجالت بها الأبطال تقصد تمتتها وتترك أوصال الوشيج مقصداً<sup>(١)</sup>  
 ويا عاذراً أبدى لنا الشرع عذره  
 طرقت حمى قد عظم الله قدره  
 وأجريت طيباً يحسد الطيب نشره  
 لقد جئت ما تستعظم الصيد أمره وتقديه إن يقبل خليقتها فدا  
 رعى الله منها دعوة مستجابة  
 أفادت نفوس المخلصين إناية  
 ولم تُلَف من دون القبول حجابية  
 وعاذرها لم يبد عذراً مهابة فأوجب عن نقص كالا تزيدا  
 فنقص كمال المال وفر نصابه  
 وما السيف إلا بعد مشق ذبابه  
 وما الزهر إلا بعد شق إهابه  
 بقطع يراع الخط حسن كتابه وبالقص يزداد الذبالب توقدا  
 ولما قضا من سنة الشرع واجبا  
 ولم نلق من دون الخلافة حاجبا  
 أفضنا نهى منك جدلاً نواهبا  
 أفاض علينا أنما ومواها تعود بذل الجود فيما تعودا  
 هنيئاً هنيئاً قد بلغت مؤملاً  
 وأطلعت نورا يبهير المتأملاً

(١) السم - بالفتح - الطريق والمحنة ، يقال « خذ في هذا السم »  
 ويستعار لهية أهل الخير فيقال « ما أحسن سم فلان »

وأحرزت أجر المنعمين مكملًا  
تبارك من أعطى جزيلًا وأجملاً وبلغ فيك الدين والملك مقصدا  
ألا في سبيل العز والفخر موسم  
يظل به تغرر المسرة ييسم  
وعرف الرضا من جـوه يتنسم  
وأرزاق أرباب السعادة تُقسَمُ ففي وصفه ذهن الذكي تبليدا  
وجللت في هذا الصنيع مصانعا<sup>(١)</sup>  
تمنى بدور التم منها مطالعا  
وأبدت فيها للجمال بدائعا  
وأجريت للإحسان فيها مشارعا يود بها نهر الحجرة موردا  
وأجريت فيها الخليل وهي سوابق  
وإن طلبت في الروع فهي لواحق  
نجوم وآفاق الطراد مشارق  
يفوت التماح الطرف منها بوارق إذا ما تجارى الشهب نستبق المدى  
وتطلع في ليل القتام كواكبا  
وقد وردت نهر النهار مشاربا  
تقود إلى الأعداء منها كواكبا  
فترسم من فوق التراب محاربا تخور رؤس الروم فيهن سجدا  
سوامج بالنصر العزيز سوامح  
وهن لأبواب الفتوح فوامح

(١) الصنيع : الطعام ، والإحسان ، والمصانع : جمع مصنع - بزنة مقعد - وهو كالخوض يجمع فيه ماء المطر ، والمصانع أيضا : القرى والمباني من القصور والحصون ، ويقال « فلان من أهل المصانع » يريدون أنه من أهل الحضر

تقود إليك النصر والله مانح  
 فما زلت باب الخير والله فاتح وما تم شيء قد عدا بعد ما بدا  
 رياح لها مشى البروق أعنة  
 ظباء قاب جن الظلام فجنة  
 تقيها من البدر المتم جنة  
 وتشرع من زهر النجوم أسنة فتقذف شهب الرجم في أنغر العدا  
 فأشهب من نسل الوجيه إذا انتفى (١)  
 جرى فشأى شهب الكواكب في السما  
 وخلف منها في المقلد أنجما  
 تردى جمالا بالصباح وربما يقول له الإصباح أنفى لك القدا  
 وأحمر قد أذكى به البأس جرة  
 وقد سلب الياقوت والورد حمرة  
 أدار به ساق من الحرب خرة  
 وأبدى حبابا فوقها الحسن غرة يزين بها خدا أسىلا مؤردا  
 وأشقر مهما شعشع الركض برقه  
 أعار جواد البرق في الأفق سبقه  
 بدا شققا قد جلل الحسن أفعه  
 ألم تر أن الله أبدع خلقه فسأل على أعطافه الحسن عسجدًا  
 وأصفر قد ود الأصيل جماله  
 وقد قد من برد العشى جلاله

(١) الوجيه - بفتح الواو وكسر الجيم - خيل من الخيول العربية المشهورة  
 كان لغنى بن أعصر بن سعد بن فيس بن عيلان ، وفيه وفي بقية خيلهم المذكورة  
 بالسبق يقول طفيل الغنوى :

بنات الغراب والوجيه ولاحق وأعوج ، تنمى نسبه المنتسب

إذا أَسْرَجُوا جُنَحَ الظَّلامِ ذِبَالَهُ <sup>(١)</sup>  
فَفَرَّتْهُ شَمْسٌ تَضِيءُ بِجَالِهِ وَفِي ذَيْلِهِ ذَيْلُ الظَّلامِ قَدْ ارْتَدَى  
وَأُدْهِمَ فِي مَسْحِ الدَّجَى مُتَجَرِّدٌ  
يُجِيشُ بِهَا بَحْرٌ مِنَ اللَّيْلِ مُزِيدٌ  
وَعَرْتَهُ نَجْمٌ بِهِ تَتَوَقَّـدُ  
لَهُ الْبَدْرُ سُرْجٌ وَالنَّجُومُ مَقْلَدٌ وَفِي فَلَقِ الصَّبْحِ الْمُبِينِ تَقِيدَا  
وَأَبْيَضَ كَالْقَرطَاسِ لَاحَ صَبَاحُهُ  
عَلَى الْحَسَنِ مَغْدَاهُ وَفِيهِ سَرَاحُهُ  
وَاللَّطَبَيَاتُ الْآنَسَاتُ مَرَااحُهُ  
تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَنَالَتُهُ رَاحُهُ وَتَحْسِبُهُ وَسْطَ الْجَمَالِ مَعْرِبِدَا  
وَذَاهِبَةً فِي الْجَوِّ مَلءَ عَنَانُهَا  
وَقَدْ لَفَعَتْهَا السَّحْبُ بُرْدَ عَنَانِهَا  
يَفُوتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لَمَحَ عَيَانِهَا  
وَحَتَمَتِ الْجُوزَاءُ سَبْطَ بَنَانِهَا وَصَاغَتْ لَهَا حَلَى النَّجُومِ مَقِيدَا  
أَرَاهَا عُمُودَ الصَّبْحِ عَلَوِ الْمَصَاعِدِ  
وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ الْمَدَى الْمُتَبَاعِدِ  
فَقَاتَتْهُ سَبَقًا فِي مَجَالِ الرَّوَاعِدِ  
وَأَتَمَحَفَتِ الْكَفَ الْخَضِيبُ بِسَاعِدِ فَطَوَّقَتِ الزَّهْرَ النَّجُومُ بِهَا يَدَا  
وَقَدْ قَذَفَتْهَا لِلْعَصَى حَوَاصِبٌ <sup>(٢)</sup>  
قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهَا ذَوَائِبُ

(١) أَسْرَجُوا : أَوْقَدُوا ، وَالدِّبَالَةُ — بَضْمُ الدِّبَالِ — الْمَصْبَاحُ  
(٢) حَوَاصِبُ : جَمْعُ حَاصِبٍ ، وَهُوَ وَصْفٌ مِنْ « حَصَبَتِ الرِّيحُ » إِذَا اشْتَدَّتْ  
وَرَمَتْ بِالْحَصْبَاءِ

تزاور منها في الفضاء حباب  
 فيبينها من قبل ذاك مناسبٌ لأنهما في الروض قبل تولدًا  
 بنات لأم قد حبين لروحها  
 دعاها الهوى من بعد كنم لبوحها  
 فأقلامها تهوى لخط بلوحها  
 فبالأمس كانت بعض أغصان دوحها فعادت إليها اليوم من بعد عودًا<sup>(١)</sup>  
 ويأرب حصن في ذراها قد اعطى  
 أنارت بروج الأفق في مظهر العلا  
 بروج قصور شدتها متطولا<sup>(٢)</sup>  
 فانشأت برجا صاعدا متنزلا يكون رسولا بينها مترددا  
 وهل هي إلا هالة حول بدرها  
 يصوغ لها حليا يليق بنحرها  
 تطور أنواعا تشيد بفخرها<sup>(٣)</sup>  
 فجعل برجليها وشاح بخصرها وتاج بأعلى رأسها قد تنضدا  
 أراد استراق السمع وهو ممنع  
 فقام بأذيال الدجى يتلفع  
 وأصغى لأخبار السما يتسمع  
 فأتبعه منها ذوابل شرع لتقذفه بالرعب مثنى وموحدًا  
 وما هو إلا قائم مد كفه  
 ليسأل من رب السموات لطفه

(١) عود : جمع عائدة من العيادة ، وهي الزيارة

(٢) شاد القصر يشيده : بناه

(٣) تشيد بفخرها : تتحدث عنه

لمولى تولاه وأحكم رصفه  
وكلف أرباب البلاغة وصفه وأكرم منه القانت المتهجدا  
ملاقى ركب من وفود النواسم  
مقبل ثغر للبروق البواسم  
مختم كف بالنجوم العواتم  
مبلغ قصد من حضور المواسم تجدده مهما صنيع تجددا  
ومضطرب في الجوّ أثبت قامة  
تقدم يمشى في الهواء كرامة  
تطلع في غصن الرشاء كرامة  
وتحسبه تحت الغمام غمامة يسيل على أعطافها عرق الندى  
هوى واستوى في حالة وتقلبا  
كخاطف برق قد تألق خلّبا  
وتحسبه قد دار في الأفق كوكبا  
ومهمامشى واستوقف العقل مُعجبا تقلب فيه العين لحظا مرددا  
لقد رام يرقى للسماء بسلم  
فيمشى على خط به متوهم  
أجل في الذى يبيده فكر توشم<sup>(١)</sup>  
ترى طائرا قد حلّ صورة آدمى وجنّا بمهواة الفضاء تمرّدا  
ومنتسب للخال سموه ملجأ  
له حكيات حكمها فاه ألجما

(١) أجل : أمر من « أجال طرفه ، ونحوه » أى أداره وحركه ، والتوسم : النظر في وجوه الناس ليعرف أحدهم

تَخَالَفَ جَنَسًا وَالِدَاهُ إِذَا انْتَمَى  
 كَمَا جَنَسَهُ أَيْضًا تَخَالَفَ عَنْهُمَا  
 ثَلَاثَتَهَا فِي الذَّكَرِ جَاءَتْ مَبِينَةٌ  
 مِنَ الْإِلَهِ سَمَّاها لَنَا اللَّهُ زِينَةً  
 وَأَنْزَلَ فِيهَا آيَةً مُسْتَبِينَةً  
 وَأَوْدَعَ فِيهَا لِلْجَهْلُولِ سَكِينَةً  
 كَسُوهُ مِنَ الْوُشْيِ الْيَمَانِي هُودَجًا  
 يَمُدُّ عَلَى مَا فَوْقَهُ الظَّلَّ سَجَسَجًا<sup>(٢)</sup>  
 وَكَمْ صُورَةٌ تَجَلَّى بِهِ تَبَهَّرَ الْحِجَا  
 وَجَزَلَ وَقُودَ نَارِهِ تَصْدَعُ الدَّجَى  
 وَقَلْبَ حَسُودٍ غَاضٍ مُذْ كَيْهِ مَوْقِدَا  
 وَمَا هِيَ إِلَّا مَظْهَرُ الْجُهَادِ  
 أَرْتَفَأَ بِهَا الْأَفْرَاحَ فَضَّلَ اجْتِهَادَهُ  
 مَلَأَ بِهَا هَزْتَ قَدُودٍ صِمَامَهُ  
 وَأَذْكَرَتْ الْأَبْطَالَ يَوْمَ طَرَادِهِ  
 الْأَجَدُّ الرَّحْمَنُ صَنَعَا حَضْرَتَهُ  
 وَدَوَّحَ الْأُمَامِي فِي ذِرَاهُ هَضْرَتَهُ  
 بِقَصْرِ طَوِيلِ الْوَصْفِ فِيهِ اخْتَصَرَتَهُ  
 يَقِيدُ طَرَفَ الطَّرَفِ مَهْمَا نَظَرْتَهُ  
 وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيدًا تَقِيدَا  
 دَعَا لَهَا الْأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ  
 فَجَاؤُوا بِأَمَالٍ لَهُمْ مُسْتَجْدَةٌ

(١) الآلاء : النعم ، واحدها إلى ، وبدد : فرق

(٢) ظن سَجَسَج : هو الذي لا حرفيه ولا برد ، والأصل أن يقال « يوم سَجَسَج »  
 أو « ليل سَجَسَج »

وخصوا بالطفاف لديه معدة  
 أياد بفياض الندى مستمدة فكلهم من فضله قد تزودا<sup>(١)</sup>  
 وجاءتك من آكل النبي عصاة  
 لها في مراعى المكرمات إصاة  
 أحبتك حبا ليس فيه استراة  
 ولبت دواعى الفوز منها إجابة وناداهم التخصيص فابتدروا النداء<sup>(٢)</sup>  
 أجازوا إليك البحر والبحر يزخر  
 لبحر سماح مده ليس يحرز  
 فرواهم من عذب جودك كوثر  
 وواليت من نعمائك ما ليس يحصر وعظمتهم ترجو النبي محمدا  
 عليه صلاة الله ثم سلامه  
 به طاب من هذا النظام اختتامه  
 وجاء بحمد الله حلو كلامه  
 يعز على أهل البيان مرأته وتمسى له زهر الكواكب حسدا  
 أبث به حادى الركاب مشرقا  
 حديث جهاد للنفوس مشوقا  
 رميت به من بالعراق مفوقا  
 وأرسلت منه بالبدیع مطوقا حماما على دوح الثناء مغردا  
 ركضت به خيل البيان إلى مدى  
 فأحرزت خصل السبق في حلبة الهدى

(١) أياد : جمع الأيدي التى هى جمع يد ، ومعناها النعم ، وفياض الندى : زائد  
 السكر والجود  
 (٢) ابتدروا النداء : أراد سارعوا إلى إجابته

ونظمت من نظم الدرارى مقامدا  
 وطوقت جيد الفخر عقداً منصداً <sup>(١)</sup> وقت به بين السماطين منشدا  
 نسقت من الإحسان فيه فرائدا  
 وأرسلت في روض المحاسن رائدا  
 وقلدت عطف الملك منه قلائدا  
 تعودت فيه للقبول عوائدا فلا زلت للفعل الجميل معودا  
 ولا زلت للصنع الجميل مجددا  
 ولا زلت للفخر العظيم مخددا  
 وعمرت عمرا لا يزال مجددا  
 وعمرت بالأبناء أوحداً أوحداً وقرت بهم عينك ما سائق حدا  
 وقال في عيد :

لابن زمرك  
تهنئة في عيد

بشرى كما وضع الزمان وأجل يُعشى سَـنَاها كل من يتهلل <sup>(١)</sup>  
 أبدى لها وجه النهار طلاقة وأفتر عن ثغر الأفاح مقبل  
 ومنابر الإسلام بالملك العلى بحلاك أو بحليها تتكلل  
 تجولنا الأكوان منك محاسنا تروى على مر الزمان وتنقل  
 فالشمس تأخذ من جبينك نورها والبشر منك بوجهها يتهلل  
 والروض ينفع من ثنائك طيبه والورق فيه بالمادح تهـلـل  
 والبرق سيف من سيوفك منتضى والسحب تهيم من يدك وتهمل  
 يا أيها الملك الذى أوصافه در على جيد الزمان يُفصل  
 الله أعطاك التى لا فوقها وحبك بالفضل الذى لا يجـهـل

(١) يُعشى : يصيب بالعتى ، وهو ضعف البصر ، ووقع في ب « يعشى » بالغين  
 معجمة — تحريف ، والسنا : الضوء ، ويتهلل ، هنا : ينظر ، والمستعمل أن يقال  
 « أهل الرجل » إذا نظر إلى الهلال

وجه كما حسر الصباح نقابه  
تلقاه في يوم السباحة والوغى  
كف أبت أن لا تكف عن الندى  
وشمائل كالروض باكره الحيا  
خلق ابن نصر في الجمال كخلق  
نور على نور بأبهى منظر  
فاق الملوك بسيفه وبسيبه  
وإذا تطاول للعميد عميدهم  
يا آية الله التي أنوارها  
قل للذي التبت معالم رشده  
قد ناصح الإسلام خير خليفة  
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى  
وعناية الله اشتملت رداها  
فالجود إلا من يديك مقتر  
والعمر إلا تحت ظلك ضائع  
حيث الجهاد غدا علت راياته  
حيث القباب الحجر ترفع للقرى  
يا حجة الله التي برهانها  
قل للذي ناواك يدفع نومه  
والله جل جلاله إن أمهلت  
يا ناصر الإسلام وهو فريسة

لضيائه تعشو الدور السكمل<sup>(١)</sup>  
والبشر في جنباته يتهلل<sup>(٢)</sup>  
أبدا فإن ضن الحيا تسترسل<sup>(٣)</sup>  
وسرت برياه الصبا والشمال  
ما بعده من غاية تكمّل  
في حسنه لمؤمل ما يامل  
فبعده وبفضله يتمل  
فله عليه تطاول وتطول<sup>(٤)</sup>  
يهدى بها قصد الرشاد الضل  
هيات قد وضح الطريق الأمثل  
وحى عزيز الملك أغلب أشمل  
ما بعده لذوى الخلافة مامل  
وعلقت منها عروة لا تفصل  
والغيث إلا من نذاك مبخل  
والعيش إلا في جنابك منجل  
حيث المغامم للمقامة تنفل  
قد عام في أرجائهن المنذل  
عز الحق به وذل المبطل  
فوراءه ملك يقول ويفعل  
أحكامه مستدرجا لا تهمل  
أسد الفلا من حولها تتسلل

(١) حسر : كشف ، والنقاب — بكسر النون بزنة الكتاب — غطاء الوجه

(٢) يتهلل ، هنا : يشرق ويتلألأ (٣) الحبا : المطر (٤) التطول : التفضل

يا فخر أندلس وعصمة أهلها      لك فيهمُ النعمى التى لا تبجل  
لا يهمل الله الذين رعيتمهم      فلأنت أ كفى والعناية أ كفل  
لا يبعد النصر العزيز فإنه      آوى إليك وأنت نعم الموئل <sup>(١)</sup>  
لولا نَدَاكَ لما لما نفع الندى      ولجف من ورد الصنائع متهل  
لولاك كان الدين يغمط حقه      وكان دين النصر فيه يعطل  
لكن جنيت الفتح من شجر القنا      وجنى الفتوح لمن عداك مؤمل  
فلطالما استفتحت كل مُنَمَّع      من دونه باب المطامع مُقَفَّلُ  
ومتى نزلت بمعدل متأشب      فالعُصْمُ من شُعفاته تستنزل  
وإذا غزوت فإن سعدك ضامن      أن لا تخيب وأن قصدك يكمل  
فن السعود أمام جيشك موكب      ومن الملائك دون جندك جَحَفَلُ <sup>(٢)</sup>  
وكتيبة أردقها بكتيبة      والخيال تترح فى الحديد وترفل  
من كل منحز كلمة بارق      بالبدر يُسَرَّجُ والأهلة يفعل  
أوفى بهادٍ كالظلم وخلفه      كَفَلَ كما ماج الكئيبُ الأهيل  
حى إذا ملك الكى عفانه      يهوى كما يهوى بجو أجْدَلُ  
حملت أسود كرية يوم الوغى      ما عابها إلا الوشيح الذَبَلُ  
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة      والسر قضب فوقها تهدل  
من كل معتدل القوام مُتَقَفٍ      لكنه دون الضريبة يعسل  
أذكيت فيه شعلة من نصله      يهدى بها إن ضل عنه المقتل  
ولربَّ لماع الصقال مشهر      ماض ، ولكن فعله مستقبل  
رَقَّتْ مضاربه وراق فرنده      فالحسن فيه مجل ومفصل

(١) آوى إليه يأوى — بوزن رى يرمى — لجأ ، والموئل : اللجأ

(٢) الجحفل — بزنة جعفر — الجيش الكثير العدد

فإذا الحروب تسعرت أجزالها      ينساب في يمناك منها جدول  
وإذا دجا ليل القتام رأيت      وكأنه فيه ذبَال مشعل<sup>(١)</sup>  
فأعجب لها من جذوة لا تنطفئ      في أبحر زخرت وهن الأمل  
هي سنة أحييتها وفريضة      أدبتها قرباتها تُتَقَبَّلُ  
فإذا الملوك تفاخرت بمجدودها      فلأنت أحق بالجهاد وأفضل  
يا ابن الذين جهلهم ونوالهم      شمس الضحى والعارض المتهلل<sup>(٢)</sup>  
يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإما      م ابن الإمام ، وقدرها لا يجهل  
آباؤك الأنصار تلك شعارهم      فلهيهم آوى النبي المرسل  
فهم الألى نصرُوا الهدى بعزائم      مصقولة وبصائر لا تحذل  
ماذا يحبر شاعر في مدحهم      وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل  
مولاي لا أحصى ما تركتني      بحديثها تُنْفِضِي المطيئ الذلل  
وإذا الحقائق ليس يدرك كنهها      سيات فيها مكثر ومقلل  
فإليك من شوال غرة وجهه      أهداكها يوم أغرَّ مُحَجَّل  
عذراء راق العيد رونق حسن      فعدا بنظم حلبيها يتجمل  
رضعت لبان العلم في حجر النهي      فوفت لها منه ضروع حُفْلُ  
سلك البيان بها سبيل إجابة      لولا صفاتك كان عنها يعدل  
جاءت تهنى العيد آمين قادم      وافى بشهر صيامه يتوسل  
وطوى الشهور مراحل معدودة      كما يرى بفناء جودك ينزل  
وأنى وقد شف النحول هلاله      ولشوقه للقاء وجهك ينحل  
عقدت بمرقبه العيون مسرة      فكبر لطلوعه ومهلل

(١) دجا : أظلم ، والقتام - بالفتح بزنة السحاب - الغبار الأسود ، ويقال « ارتفع القتام ، حتى خفيت الأعلام » ، والذبَال - بالضم - جمع ذبالة ، وهو المصباح  
(٢) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، ومتهلل ، هنا : بمطر

فأسلم لألف مثله في غبطة ظل المنى من فوقه يتهدّل

فإذا بقيت لنا فكل سعادة في الدين والدنيا بها تتكفل

وقال ابن الأحمر : ومن جياذ أناشيده المتميزة بالسبقية ، وبارقات تهانيه في المواسم العقيقة ، قوله يهنئه - رضوان الله تعالى عليه ! - بطولوع مولانا الوالد قدس الله

لابن زمرك تعالى روحه :  
تهنئة

طلع الهلال وأفقه متهلل فمكبر لطلوعه ومهلّل<sup>(١)</sup>

أوفى على وجه الصباح بغرة فعدا الصباح بنورها يتجمل

شمس الخلافة قد أمدّت نوره وبسعدا يرجو التمام ويكمل

لله منه هلال سمد طالع لضياته تعشو البدور الكمل

وألحت يا شمس الهداية كوكبا يُعشى سناه كل من يقامل<sup>(٢)</sup>

والتاج تاج البدر في أفق العلا مازال بالزُّهر النجوم يكل

ولئن حوى كل الجمال فإنه بالشهب أبهى ما يكون وأجل

أطلعت يا بدر السماح هلاله والملك أفق والخلافة منزل

يبدو بهالات السروج وإبه من نور وجهك في العلا يستكمل

قلدت عطف الملك منه صارما بغنائه ومضائه يتمثل

حليته بحلى الكمال وجوهر السخ خلق النفيس وكل خلق يحمل

يفزرو أمامك والسعود أمامه وملائك السبع العلا تنزل

من مبلغ الأنصار منه بشأنه غرر البشائر بعدها تسترسل

أحيا جهادهم وجدد فخرهم بعد اللّثين فلكهم يتأثّل

فيه إلى الأجر الجزيل توصلوا وبهم إلى رب السما يتوسل

(١) مكبر : قائل « الله أكبر » ومهلل : قائل « لا إله إلا الله »

(٢) وقع في ب « يعشى » بالعين معجمه - تحريف ، وانظر ص ٧٠ السابقة

من مبلغ الأذواء من يمن وهم  
 أن الخلافة من بينهم أطلعت  
 مَنْ مبلغ قحطان آساد الشرى  
 أن الخلافة وهو شبل ليوثهم  
 يهنى بنى الأنصار أن إمامهم  
 يهنى البنود فإنها ستظله  
 يهنى الجياد الصافنات فإنها  
 يهنى المذاكى والعوالى والطبا  
 يهنى المعالى والمفاخر أنه  
 سبقت مقدمة الفتوح قدمه  
 وبدت نجوم السعد قبل طلوعه  
 وروت أحاديث الفتوح غرائبها  
 ألفت إليك به السعد زمامها  
 فالفتح بين معجل ومؤجل  
 أو ليس فى شأن المشير دلالة  
 ناداهم داعى الضلال فأقبلوا  
 عصوا الرسول إياية وتحكمت  
 كانوا جبالا قد علت هضباتها  
 كانوا بحارا من حديد زاهر  
 ركبت أرجلها الأدهم كلما  
 قد توجوا وتملكوا وتقبلوا<sup>(١)</sup>  
 قرا به سعد الخليفة يكمل  
 ما غابها إلا الوشيح الذبل<sup>(٢)</sup>  
 قد حاط منها الدين ليث مشبل<sup>(٣)</sup>  
 قد بلغت سعوته ما يأمل  
 وجناح جبريل الأمين يظلل  
 بفتوحه تحت القوارس تهدل  
 فيها إلى نيل المنى يتوصل  
 فى مرتقى أوج العلا يتوقل  
 وأتاك وهو الوادع المتمهل  
 تجلو المطامع قبله وتوئل  
 والنصر يملى والبشائر تنقل  
 فالسعد يمضى ما تقول وتفعل  
 ينسبك ماضيه الذى يستقبل  
 أن المقاصد من طلابك تكمل  
 ودعاهم داعى المنون فجدلوا  
 فيهم سيوفك بعدها فاستمئلوا  
 نسفتهم ريح الجلال فزلزلوا  
 أذكهم نار الوغى فنبسألوا<sup>(٤)</sup>  
 يتحركون إلى قيام تصهل

(١) تقيلوا : صاروا أقيالا ، والأقيال : جمع قيل ، وهو فى الين : من كان يلى الملك ، سى بذلك لأنه يقول فلا يرد قوله ، وربما سموا الملك قيلا  
 (٢) أراد بالوشيح الذبل الرماح  
 (٣) مشبل : ذو أشبال ، والأشبال : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد الأسد  
 (٤) كذا فى خ وفى ب «فتبتلوا»

كان الحديد لباسهم وشعارهم  
الله أعطاك التي لافوقها  
جددت للأنصار حلى جهادها  
من يتحف البيت العتيق وزرما  
متسابقين إلى مثابة رحمة  
هيماً كأفواج القطا قد ساقها  
من كل مرفوع الأ كف ضراعة  
حتى إذا روت الحديث مسلسلا  
من فتحك الأسنى عن الجيش الذي  
أهدتهم السراء نصرة دينهم  
وتناقلوا عنك الحديث مسرة  
ودعوا بنصرك وهو أعظم مفخرا  
فأهنا بملكك واعتمد شكرا به  
شرفت منه باسم والدك الرضا  
أبدت من حسن الصنيع عجائبا  
خفقت به أعلامك الحر التي  
هدرت طبول العز تحت ظلالها  
ودعوت أشراف البلاد وكلهم  
وردوا وروى الهيم أجهدا الظما  
وأثرت فيه للطراد فوارسا

واليوم لم تلبسه إلا الأرجل<sup>(١)</sup>  
فتحّابه دين الهدى يتأثل  
فالدين والدنيا به تتجمل  
والوفد وفد الله فيه ينزل  
من كل ما حذب إليه تنسل<sup>(٢)</sup>  
ظماً شديد والمطاف المنهل  
والقلب يحقق والمدامع تهمل  
بيض الصوارم والرماح العسل  
بثباته أهل الوغى تتمثل  
واستبشروا بحديثها وتهللا  
بسماعه واهتز ذاك الحفل  
إن الحجيح بنصر ملكك يحفل  
لطف الإله وضئمه تتخول  
يحبي به منه الكريم المفضل  
تروى على مر الزمان وتُنقل  
بحقوقها النصر العزيز موكل  
عنوان فتح إثرها يستعجل  
يثنى الجميل وصنع جودك أجل  
فضفا لهم من ورد كفك منهل  
مثل الشמוש وجوههم تهلل

(١) يريد بقوله « لم تلبسه إلا الأرجل » أنه صار قيودا لهم

(٢) المثابة : المكان الذي يثوب الناس إليه : أي يرجعون ، ومن كل حذب : أى من كل صوب وناحية ، وهذه العبارة من قولهم تعالى: ( وهم من كل حذب ينسلون )

من كل وضاح الجبين كأنه  
يزد الطراد على أغر محجل  
قد عودوا فنص السكاة كأنما  
يستتبعون هوادجا مؤشية  
قد صورت منها غرائب جمّة  
وتضمنت جزل الوقود حمولها  
والعاديات إذا تلت فرسانها  
لله خيلك ؛ إنها لسوايح  
من كل برق بالثرثرا ملجّم  
أو في بهاد كالظلم وخلفه  
هّن البوارق غير أن جياها  
من أشهب كالصبح يعلو سرجه  
أو أدهم كالليل قد شبهه  
أو أشقر صال النضار بعطفه  
أو أحر كالجر أضر بأسه  
كالجر أترع كأسمها لندامها  
أو أصفر لبس العشيّ ملأه  
أجملت في هذا الصنيع عواندا  
أنشأت فيها من نذاك غمأما  
فجرت من كفيك عشرة أبجر

نجم وجنح النقع ليل مسبل<sup>(١)</sup>  
في سرجه بطل أغر محجل  
عقبائها ينقض منها أجدل  
من كل بدع فوق ما يتخيل  
تنسى عقول الناظرين وتذهل  
والنصر في التحقيق ما هي تحمل  
آى القتال صفوفها تترتل  
بحر القتام وموجه مهيل  
بالدبر يسرج والأهلة ينعل  
كفل كالأح الكتيب الأهيل  
عن سبق خيلك يا مؤيد تنكّل  
صبح به نجم الضلالة يأفل  
خاض الصباح فأثبتته الأرجل  
وكساه صبغة بهجة لا تنصل  
بالركض في يوم الحفيظة يشعل  
وبها حباية غرة تسيل  
وبذيله الليل ذيل مُسبّل  
الجود فيها مجل ومفصل  
بالفضل تنشأ والساحة تهمل  
ترجي سحاب الجود وهي الأمل

(١) جنح الليل — بالكسر والضم — القطعة منه ، وأراد هنا الظلام ، والنقع  
— بالفتح — الغبار ، والإضافه من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى الغبار الشائر فوق  
الرهوس الذى يشبه الظلام ، ومسبل : اسم الفاعل من « أسبل إزاره ونحوه » إذا  
أرخاه فتغطى به

من قاس كفك بالغمام فإنه  
 تسخو الغمام ووجهها متجههم  
 والسحب تسمح بالمياه وجوده  
 من قاس بالشمس المنيرة وجهه  
 من أين للشمس المنيرة منطق  
 من أين للشمس المنيرة راحة  
 مَنْ قاس بالبدر المنير كماله  
 من أين للبدر المنير شمائل  
 من أين للبدر المنير مناقب  
 يا من إذا نفحت نواسم حده  
 يامن إذا لحت محاسن وجهه  
 يا من إذا تليت مفاخر قومه  
 كفل الخلافة منك يا ملك العلا  
 مأمونها وأمينها ورشيدها  
 حسب الخلافة أن تكون وليها  
 حسب الزمان بأن تكون إمامه  
 حسب الملوك بأن تكون عميدها  
 حسب المعالي أن تكون إمامها  
 يا حجة الله التي برهانها  
 أنت الإمام ابن الإمام ابن الإما

جَهْلَ القياس ومثلها لا يجهل<sup>(١)</sup>  
 والوجه منه مع الندى يتهلل  
 ذهب به أهل الغنى تتمول  
 أقيته في حكمه لا يعدل  
 ببيان در الكلام يفصل  
 تسخو إذا بخل الزمان المحل  
 فالبدر ينقص والخليفة يكمل  
 تسرى برّياتها الصبا والشمائل  
 بجهادها تُنْقِى المطىّ الدّلل  
 فالمسك يعبق طيبه والمندل  
 تسو العيون ويهر المتأمل  
 آى الكتاب بذكرها تنزل  
 والله جل جلاله بك أكفل  
 منصورها مهديها المتوكل  
 ومجيرها من كل من يتخيل  
 فله بذلك عزة لا تهمل  
 ترجو الندى من راحتك وتكمل  
 فعليك أطناب المفاخر تسدل  
 عز الحق به وذل المبطل  
 م ابن الإمام وغرّها لا يعدل

(١) هذا من قول شاعر اليتيمة :

كنوال الأمير يوم عطاء  
 ونوال السحاب قطرة ماء

ما نوال الساء يوم سحاب  
 فنوال الأمير بكرة مال

علمت حتى لم تدع من جاهل      أعطيت حتى لم تدع من يسأل  
وعناية الله اشتملت رداها      وعلقت منها عروة لا تفصل  
ومنها :

أخذت قلوب الكافرين مهابة      فعقولهم من خوفها لا تعقل  
حسبوا البروق صوارما مسلولة      أرواحهم من بأسها تتسلل  
وترى النجوم مناصلا مرهوبة      فيفر منها الخائف المتفصل  
يا ابن الألى إجهلهم وجهلهم      شمس الضحى والعارض للتهلل  
مولاي لا أحصى مآثرك التي      بجهادها يتوصل المتوصل  
أصبحت في ظل امتداحك ساجعا      طلّ المنى من فوقه يتهدل  
طوقته طوق الحائم أنما      فعدا بشركك في الحافل يهدل  
فإليك من صوغ العقول عقيلة      أهداها صنّع أغر محجل  
عذراء راق الصنع رونق حسنها      فعدا بنظم حليها يتكلل  
خيرتها بين المنى فوجدتها      أقصى منهاها أنها تتقبل  
لا زلت شمسا في سماء خلافة      وهلاك الأسمى يتم ويكمل  
قال : ومن رقيق منازعه في بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطاني  
في شينيل قوله :

نفس الفداء لشادن مهما خطر      فالقلب من سهم الجفون على خطر<sup>(١)</sup>  
فضح الغزالة والأفاحة والقنا      مهما تننّى أو تبسم أو نظر<sup>(٢)</sup>  
عجبا لليل ذوائب من شعره      والوجه يسفر عن صباح قد سفر  
عجبا لعقد الثغر منه منظما      والعقد من دمعي عليه قد انتثر

(١) خطري الشطر الأول بمعنى مشى ، والخطر في قافية البيت الإشراف على الهلكة  
(٢) في هذا البيت لف ونشر ، فقوله « مهما تننّى » راجع إلى القنا ، وقوله  
« تبسم » راجع إلى الأفاحة ، وقوله « أو نظر » راجع إلى الغزالة ، وفيه تشبيهه ضمني  
لعيته بعين الطباء ، ولقده بالرماح ، ولثغره بالاقاق

ما رمتُ أن أجنى الأفاح بثغره  
 لم أنسه ليل ارتقاب هلاله  
 بتنا نراقبه بأول ليلة  
 طالعته في روضة كحلالة  
 وكلاهما يبدي محاسن جمّة  
 والكأس تطلع شمسها في خده  
 نورية كجبينه ، وكلاهما  
 هي نسخة للشيوخ فيها نسبة  
 أفرغت في جسم الزاجاة روحها  
 لا تسق غير الروض فضلة كأسها  
 ما هب خفاق النسيم مع السحر  
 ناجى القلوب الخافقات لمثله  
 وروى عن الضحاك عن زهر الربا  
 وتحملت عنه حديث صحيحه  
 يا قصر شينيل وربك أهل  
 لله بحرك والصبا قد سرّدت  
 والأس حَفَّ عذاره من حوله  
 قبل بشعر الزهر كف خائفة  
 وافرش خدود الورد تحت نعاله  
 وانظم غناء الطير فيه مدائحها  
 إلا وقد سل السيوف من الحور<sup>(١)</sup>  
 والقلب من شك الظهور على غرر<sup>(٢)</sup>  
 فإذا به قد لاح من نصف الشهر  
 والطيب من هذى وتلك قد اشتهر  
 ملء التنسم والمسامع والبصر  
 فتكاد تُعشى بالأشعة والنظر  
 يجلو ظلام الليل بالوجه الأغر  
 ما إن يزالا يرعشان من الكبر  
 فرأيت روح الأنس منها قد بهر  
 فالغصن في ذيل الأزاهر قد عثر  
 إلا وقد شاق النفوس وقد سحر  
 ووشى بما تخفى الكمام من الزهر  
 ما أسند الزهرى عنه عن مطر  
 رسل النسيم وصدق الخبر الخبر  
 والروض منك على الجمال قد اقتصر  
 منه دروعا تحت أعلام الشجر  
 عن كل من يهوى العذار قد اعتذر  
 يغنيك صوب الجود منه عن المطر  
 واجعل بها لون المضاعف عن خفر  
 وانثر من الزهر الدراهم والدرر

(١) رمت : طلبت ، وأجنى : أقطف ، والأفاحى : زهر تشبه به ثغور الحسان ،

والحور - بالتحريك - شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها

(٢) الغرر - بالتحريك - التعرض للهلاك

المنتقى من جوهر الشرف الذى  
 والمجتبى من عنصر النور الذى  
 ذو سطوة مهما كفى ، ذو رحمة  
 كم سائل للدهر أقسم قائلاً :  
 مولاي سعدك كالمهند فى الوغى  
 مولاي وجهك والصبح تشابها  
 إن الملوك كواكب أخفيها  
 فى كل يوم من زمانك موسم  
 فاستقبل الأيام يندى روضها  
 قد ذهبت منها العشايا ضعف ما  
 يا ابن الذين إذا تعدّ خلاهم  
 إن أوردوا هيم السيوف غدأرا  
 سائل بيدر عنهم بدر الهدى  
 واسأل موافقهم بكل مشهر  
 تجدد الثناء بياسهم وبجودهم  
 فبمثل هديك فلتنرشمس الضحى  
 ماذا أقول وكل وصف معجز  
 تلك المناقب كالثواب فى العلا  
 إن غاب عبدك عن حماك فإنه  
 فاذكر فإن الذكر منك سعادة

فى مدحه قد أنزلت آى السور  
 فى مطلع الهدى المقدس قد ظهر  
 مهما عفا ، ذو غفة مهما قدر  
 والله ما أيامه إلا غرر  
 لم يبق من رسم الضلال ولم يذر  
 وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر  
 وطلعت وحدك فى مظاهرها قرر<sup>(١)</sup>  
 فى طيه للخلق أغناء كبر  
 ويرف والنصر العزيز له ثمر  
 قد فضضت منها المحاسن فى السحر  
 نقد الحساب وأعجزت منها القدر  
 مصقولة فطلما حمدوا الصدر<sup>(٢)</sup>  
 فبهم على حزب الضلال قد انتصر  
 وافر المغازى فى الصحيح وفى السير  
 فى مصحف الوحي المنزل مستطر  
 وبمثل قومك فليفاخر من فخر  
 والقول فيك مع الإطالة مختصر  
 من رامها بالحصر أدركه الحصر  
 بالقلب فى تلك المشاهد قد حضر  
 وبها على كل الأنام قد افتخر

(١) أصل هذا المعنى قول النابغة الديبائى يدح النعمان بن المنذر :  
 فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب  
 (٢) الهيم : جمع أهيم ، وهو الشديد العطش .

ورضاك عنه غاية ما بعدها      إلا رضا الله الذي ابتدع البشر  
 فاشكر صنيع الله فيك فإنه      سبحانه ضمن المزيدين شكر  
 وعليك من رَوْحِ الإله تحية      تهفوا إليك مع الأصائل والبُكر  
 ثم قال : وفي أغراضه الوقتية استرسلا مع الطبع البديهي في الشكر عن ضروب  
 من التحف التي يقتضيها التحقُّق السلطاني بأولياء خدمته نبد متعددة فيما يظهر  
 لابن زمرك      فيها ، فمنها قوله :  
 في الشكر

ياخير من ملك الملوك بجوده      وبفضله قد أشبه      الأملاك<sup>(١)</sup>  
 والله ما عرف الزمان وأهله      أمنا ويُمنا دائما لولاكا  
 وافيت أهلي بالرياض عشية      في روض جاهك تحت ظل ذراكا  
 فوجدته قد طَلَّ صوبُ الندى      بسحائب تنهل من يمناكا  
 وسفائن مشحونة ألقى بها      بحر السماح يجيش من نعمكا  
 رطب من الطلع النصيد كأنها      قد نظمت من حسنها أسلاكا  
 من كل ما كان النبي يحبها      وأحبَّها الأنصار من أولكا  
 وبدايع التَّحَفِ التي قد أطلعت      مثل البذور أنارت الأحلاك<sup>(٢)</sup>  
 نَطَفَ من النور المبين تجسمت      حتى حسبنا أنهم هُداكا  
 يحلو على الأفواه طيب مذاقها      لولا التجسد خلتهم ثناكا  
 طافت بها النَّشأ الصغار كأنها      سِرْبُ القطا لما وردن نداكا  
 نجواهم مهما سمعت كلامهم      ونداؤهم : مولاي ، أو مولاكا  
 بلغت في الأبناء عبدك سؤله      لازلت تبلغ في بنيك مُناكا  
 يتدارسون من الدعاء صحافا      كيما يطيل الله في بقياكا

(١) الأملاك هنا : جمع ملك — بالتحريك — وهم الملائكة

(٢) الأحلاك : جمع حلك — بالتحريك — وهو الظلام الشديد

فبقيت شمساً في سماء خلافة وهمُّ البدور أمدَّهن سنا كما  
ومنها وقد أهداه نعمة الله أطباقاً من حَبِّ الملوك :

كتب الإله على العباد محبة      لك كان فرضُ كتابها موقوتاً  
وأنا الذي شرفته من بينهم      حتى جعلت له المحبة قوتاً  
ما زلت تتحفه بكل ذخيرة      حتى لقد أتحفته الياقوتاً  
وإلى الملوك قد اغتَزَى مِنْ عِزِّهِ      ففدا له يا قوتها ممقوتاً

ومنها في مثل ذلك :

يا خير من ملك الملوك      أهديتني حَبَّ الملوك  
فكأنَّما ياقوتُها      نظمت لنا نظم السلوك  
إِنَّ الملوك إذا لجَّؤا      ففياهم أَنْ أتلوك  
وكذا العفَّاء إذا شَكَّوْا      ففناهم أَنْ يسألوك  
فالله يقبل من دعا      لعلاك من أهل السلوك  
لا زلت تطلع غرَّة      كالشمس في وقت الدلوك

ومنها ، وقد أهداه صيدا مما صاده أولاده :

يا خير من ورث السماح عن الألى      نصرُوا الألى وتبوَّؤا الإيماناً  
في كل يوم منك تحفة منعم      وَالْي الجليل وأجزل الإحساناً  
قد أذكرت دار النعيم عبيده      وتضمنت من فضله رضواناً  
تهدى مَوَالِي الذين تفرَّعوا      عن دَوْرٍ فخرك في العلا أغصاناً<sup>(١)</sup>  
جلالك الأعلى قيصاً أتعبوا      في صيده الأرواح والأبداناً  
فتخصَّني منه بأوفر قسمة      فسحت لعبدك في الرضا ميداناً

(١) وقع في ب « تهدي من ... الدين » بنقص كلمة ، وقال مصححها « لعله  
تهدي سلالتك الذين تفرَّعوا » وأثبتنا ما في خ ، وهو أيضاً مما يلتزم مع البيت السابع  
من هذه القطعة في ألفاظه .

لله من مولى كريم بالذى  
تدعو بنى إلى الغنى بربه  
وعليك من قدس الإله تحية  
ومنها ، وقد أهداه أصنافا من الفواكه :

يا من له الوجه الجميل إذا بدا  
والمنتقى من جوهر الفخر الذى  
ما أبصرت عينى مثل هدية  
فيها من التفاح كل عجيبة  
بهدى لناهد الحبيب وخده  
وبها من الأترج شمس أطلعت  
وبخفها ورق يروق كأنه  
لون العشية ذهبت صفحاتها  
وبها من النقل الشهى مذكر  
لله منها حضرة من حضرة  
أذكرتنى العهد القديم ومعهدا  
فأردت تجديد العهود وإنما  
فأردت من ذكراك كأس مدامة  
فبقيت شمسا فى سماء خلافة

ومنها يوم عاشوراء :

يا أيها المولى الذى بركاته  
رفعت لواء للندى منشورا

(١) العبدان : أحد جموع عبد ، مثل العبيد

(٢) تذكيها : تطيب رائحتها ، والريا : الرائحة العنقة

لك راحة تزجى الغمام بأمل  
واليوم موسم قربة وعبادة  
راعت فيه سنة نبوية  
لازلت عامك كله في غبطة  
فَجَرَّتَ منها بالنوال بحورا<sup>(١)</sup>  
وغدا ظفرت بأجره عاشورا  
تروى الثقات حديثه المشهورا  
لقيت منها نَصْرَة وسرورا  
ومنها في بعض قطعة :

واليت ما أوليت يا بحر الفدى  
فإذا يهز لها اللسان حسامه  
عَلَّمَتْ فرسان الكلام نظامها  
والبحر تمتار السحاب ماءه  
ووجع جودك ما رأيت كهذه  
فصفات فخرك قد قضت بنفاذه  
كتعلم التلميذ من أستاذه  
فتجوده من غيثها بردآذه<sup>(٢)</sup>  
ومنها وقد أهداه با كورا :

يا وارث الأنصار وهى مزية  
أهديتنى الباكور وهى بشارة  
وولادة لـ لال تم طالع  
هو أول الأنوار فى أفق الهدى  
مولاي صِدْقُ القال قد جربته  
ومنها فى جفنة :

طعامك من دار النعيم بعثته  
بهضبة نعمى قد سمونا لأوجها  
وقوراء قد درنا بهالة بدرها  
وقد حملت فوق الرأس لأنها  
فشرفته من حيث أدرى ولا أدرى  
فصدنا بأعلاها الشهى من الطير  
كما دارت الزهر النجوم على البدر  
هدية مولى حل فى مفرق الفخر

(١) الراحة ، هنا : اليد ، وتزجى الغمام : تسوقه

(٢) هذا المعنى من قول أبى تمام :

كالبحر تَمْطره السحاب ، وماله فضل عليه لأنها من مائه

فما شئت من طعم زكى مُهِيناً      وما شئت من عَرَف ذكى ومن نَشَر<sup>(١)</sup>  
 فلو أنها قد قدمت خليفة      لأعظمها قدراً وبالغ في الشكر  
 وكم لك من نعمي على عميمة      يقل لأدناها الجميل من الذكر  
 فلا زلت يا مولى الملوك مبدِّفاً      أمانى ترجوها إلى سالف الدهر  
 ومنها شكراً عن كتاب :

مولاي يوم الجمعة	سعوده مجتمعه
فأنعم صباحاً واغتنم	أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل	أعلامه مرتفعه
وانتظر الفتح الذى	يأتيك بالنصر معه
ويبيضه وسمره	إلى العداة مُشرَّعه <sup>(٢)</sup>
واللطف مرجو فرد	بفضل ربى مُشرَّعه <sup>(٣)</sup>
فالتحتنى شرفتنى	برقعة مرفعه
بل روضة ممطورة	أزهارها منوعه
حديقة قد جذبتها	بصوب جود مُترَّعه
وراية منشورة	وآية مستبدعه
كم حكيم لطيفة	في طيها مستودعه
عقيلة صـورتها	من الجمال مبدعه
سقيتنى من فضلها	بفضل كأس مُترَّعه
قدم وأملك الورى	على علاك مجمعه

(١) العرف ، والنشر — بالفتح فيها — طيب الرائحة ، والذي : العبق الذائع الريح

(٢) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح ، ومشرعة : موجهة نحو صدور الأعداء ،

اسم مفعول من «أشرع الرمح بشرعه» (٣) المشرع — بزة المقعد — موضع ورود الماء

ومنها شكرا على خلّعه :

يا بدر تم في سماء خلافة      حفت نجوم السعد هالة قصره <sup>(١)</sup>  
ألّبت عبدك من ثيابك ملبسا      قد قصرت عنه مَدَارِكُ شكره  
ورضاك عنه خير ما ألّبسته      فلقد أشاد بجأه وبهره  
ألّبتني أركبني شرفتي      أهديني مالا أقوم بحصره  
نظري لوجهك وهو أجل نير      يزرى على شمس الزمان وبدره <sup>(٢)</sup>  
أعلى وأعظم منة لاسيا      وأنا المنعم في الحضور بيشره  
لا زلت مولى الملوكة مؤملا      وحلاك للاسلام مفخر دهره

ومنها ، وقد خلّع - رضوان الله تعالى عليه ! - على رسول من أرساله :

أبحر سماح مدّ عشرة أبحر      تفيض غمام الجود وهى الأنامل  
بكفك غيث للبلاد وأهلها      يروض محل الأرض والعام ماحل <sup>(٣)</sup>  
لك إن أصبحت بحر سماحة      يعم نداء فالقواهب ساحل  
خلعت على هذا الرسول ملاسا      بها تنسّى في علاك المآمل  
وبلغته آماله كيف شاءها      فبلغت يا مولاي ما أنت آمل

ومنها ، وقد مرض بعضُ أبناءه رحمة الله تعالى على الجميع ، قوله سائلا عن حاله :

أسائل بدر التم كيف هلاله      وأدعو له الرحمن جل جلاله  
وأسأله تعجيل راحته التي      وسيلتنا فيها النبي وآله  
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى      ويرضيك يا بدر الكمال كماله

وفي مثله :

أقول لبدر التم كيف هلالكا      نعمت صباحا بالسعود وآلكا

(١) حفته ، وحفت به : أحاطت ، والهالة : دائرة القمر

(٢) يزرى : يعيب ، وينتقص

(٣) المحل : الجذب والقحط

وَبُلِّغْتِ فِي النُّجْلِ الْكَرِيمِ سَعَادَةً      تَقْرِبُهَا عَيْنًا وَيَنْعَمُ بِالْكَافِ  
وَخَصَّصْتَ بِالْبَشَرَى مِنْ اللَّهِ رَبَّنَا      كَأَنَّ أَقْطَارَ الْبِلَادِ نَوَافِلَ  
وَمِنَ التَّوْرَةِ بِاسْمِ قَائِدٍ وَلَاهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَيَّامُهُ      تَهْمِي بِسَحْبِ الْجُودِ مِنْ آلَائِهِ (١)  
أُبَشِّرُ لِحِشَّتِكَ بِالسَّعَادَةِ كُلَّمَا      يَغْزُو وَنَصْرُ اللَّهِ تَحْتَ لَوَائِهِ  
وَأَنْشُدْهُ فِي مَلْبَسٍ اتَّخَذَهُ :

أَمْوَلَايَ يَا ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعَلَا      وَمَنْ نَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفِي أَوْلَا  
غَنِيَتْ بِنُورِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ زِينَةٍ      وَأَلْبَسْتَ مِنْ رِضْوَانِهِ أَشْرَفَ الْحُلَى  
وَقَارَكَ زَادَ الْمَلِكِ عِزًّا وَهَيْبَةً      وَسَوَّغَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْهَا  
وَيَا شَمْسَ هَدَى فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ      وَأَبْنَاؤُهُ الزَّهْرَ الْمُنِيرَةَ تَحْتَلِي  
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ      جَمِيلًا جَلِيلًا مُسْتَعَاذًا مُؤَمِّلًا  
فَتَخَجَّلَ مِنْكَ الشَّمْسُ شَمْسُ هِدَايَةٍ      وَيَحْسُدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْرًا مَكْمَلًا  
إِذَا أَنْتِ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ      مَلَابِسَ عِزٍّ لَيْسَ يَدْرِكُهَا الْبَلَى  
وَطَوَّقْتَ أَجْيَادَ الْمُلُوكِ أَيَادِيَا      وَتَوَجَّهْتَهُمْ بِالْفَخْرِ تَاجًا مَكْمَلًا  
فَأَشْتَتِ قَالِبِسَ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا      تَبَارَكَ مَا أَبْهَى وَأَسْنَى وَأَجْمَلًا  
أَلَّا كُلٌّ مِنْ صَلَاتِي وَضَحَى وَمِنْ دَعَا      وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعًا مَقْوَسَلًا  
وَجُودُكَ شَرْطٌ فِي حَصُولِ قَبُولِهِ      وَجُودُكَ أَثَرِي كَفُهُ فَتَنْفَعُ (٢)

وَقَالَ بِرْسَمٌ مَا يَرْسُمُ عَلَى ثَوْبٍ فِي بَعْضِ هَدَايَا مَوْلَانَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلسُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ :

أَهْدَى أَبَا الْعَبَّاسِ      مَلِكَ النَّدَى وَالْبَاسِ  
ثَوْبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ      بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ

(١) همى المطر بهمى — مثال رمى يرمى — أهل وانكسب ، والآلاء : النعم

(٢) تنفل هنا : أعطى النافلة ، وهي هنا ما زاد عن حاجته

فلق الصباح بوجهه عوذته بالناس<sup>(١)</sup>  
 يكسو إماما لم يزل بجلى المحامد كاسى  
 فياله من مرتد نوب التقى لبّاس  
 أذيله من حمده مسكية الأنفاس  
 وبطرزه مدح زرى بالمدح فى القرطاس  
 إن كنت فى لون السما بنسبة وقياس  
 فلأنت يا بدر العلا شرفنى بلباس  
 أنا منشد ( ما فى وقو فك ساعة من باس )<sup>(٢)</sup>  
 لترى رياضاً أطلعت زهرا على أجناس  
 أوراقها توريقها بقضيبها الميَّاس  
 ومن المديح مدامنى ومن المحابر كاسى  
 فالله يمتع لابسى بالبشر والإيناس

وقال فى مثل ذلك :

إن الإمام محمداً أهدى الخليفة أحدا  
 للباسه ثوبا ، وقد لبس المحامد وارتدى  
 وعمامة الشفق التى من فوقها شمس الهدى  
 يا حسنها إذ أرسلت من كفه غيث الندى  
 وكأن وثقى رقومها بالبرق طرز عسجدا  
 وبطرزه لون السما ووجهه قمر بدا  
 لله منه نير حل المنازل أسعدا

(١) بالناس : أراد بسورة الناس

(٢) ما بين المعقوفين صدر مطلع قصيدة لأبى تمام ، وعجزه قوله :

\* نقضى ذمام الأربع الأدراس \*

مستنصر أعلى له فوق المنازل أشعداً

ثم قال : وأنشده وهو على جواد أدهم :

على أدهم قد راق حسن أديمه  
مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

تَجَلَّى لَنَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ  
فَأَبْصَرْتُ صَبَاحَ فَوْقَ لَيْلٍ وَقَدْ حَكَى

وكتب له مع هدية زهر :

ولا ينكر الظمان شوقاً إلى البحر  
وشوقني من حيث أدري ولا أدري  
يقبلها عنى تغور من الزهر

أَمْوَلَايَ تَقْيِيْلِي لِيْمَنَّاكَ شَاقِي  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَاطِلَنِي بِهَا  
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِيَّ لَعَلَّهُ

وكتب إليه أيضاً متشوقاً :

وأجرى به بين الخيام السواقيا  
ولكنه قد خلد الفخر باقيا  
أرجى بفضل الله منه التلاقيا

كَتَبْتُ وَدَمْعِي بِلَالِ الرِّكْبِ قَطْرَهُ  
حَنِيفًا لِمَوْلَى أَتْلَفَ الْمَالَ جُودُهُ  
وَمَا عَشْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا لِأَنْتَى

وأنشده أيضاً وهو بحال تألم :

وعافى إمام المسلمين وقد شفا  
وخط على رسم الشفاء له «اكتفى»

كَأَنِّي بِلَاغُفِ اللَّهِ قَدْ عَمَّ خَلْقَهُ  
وَقَاضَى الْقَضَاءَ الْحَتْمَ سَجَّلَ خَتْمَهُ

وله في مثل ذلك :

عَقَدَتْ مَعَ الْأَيَّامِ فِي حِفْظِهَا صُلْحًا<sup>(١)</sup>  
تَجِدُّ لِلدِّينِ السَّعَادَةَ وَالنُّجْحَا  
وَجَوْ التَّهَانِي بَعْدَ مَا غَامَ قَدْ أَضْحَى

لَكَ الْخَيْرُ يَا مَوْلَايَ أَبْشِرْ بِعَصْمَةٍ  
وَعَافِيَةٍ فِي صَحَّةٍ مُسْتَجَدَّةٍ  
وَوَجْهِ التَّهَانِي مُشْرِقٍ مَتَهَلِّلٍ

(١) العصمة — بالكسر — المنع ، وهي في اصطلاح أهل الكلام : ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها

وفي مثل ذلك :

يا إماما قد نخذنا  
خَطُّ يَمْنَاكَ ينادى  
من الدهر مَلَاذًا  
صح هذا صح هذا

وقال مهنثا بالشفاء :

الحمد لله بَلَفْنَا المنى  
وفَزَتْ بالأجر وَكَبَّتِ العدا  
لما رأيناك ، وزال العنا  
فالحمد لله على مابه  
وفزت بالعز وطيب الثنا<sup>(١)</sup>  
من علينا من ظهور السنا

وقال أيضا في نحوه :

نعم قَرَرَتِ العينان وانشرح الصدر  
سرينا بليل التيه يكذب فجره  
وقد لاح من وجه الإمام لنا البدر  
أغر المحيا بالحياء مُقَنِّع  
فلما تجلَّى فجره صدق الفجر  
إمام الهدى قد خصه بخلافة  
زهاه الكلام الحر والنسب الحر  
إله له في خلقه النهى والأمر

وقال في مثله ، وقد ركب رحمه الله تعالى لمعاهد حضرته :

هنيئا هنيئا لانقَادَ لَعَدِهِ  
فقد لاح بدر التم في أفق العلا  
وبشرى لدين الله إنجاز وعده  
وطاف أمير المسلمين محمد  
وحل كما يرضى منازل سعدة  
ولاحت بها الأنوار من بشروجه  
بحضرة العلّيا مبلغ قصده  
وأبصرت الأبصار شمس هداية  
وفاح بها النوار من نشر حمده  
ولوحت الأعلام فيها بنصره  
وأشرقت الأرجاء من زهر رفده  
كما لوح الصبح المنير بينده  
وستهدى له الأيام كل مسرة  
ويحيى به الرحمن آثار جده

(١) كبت أعداءه يكتبهم — من باب ضرب يضرب — أخزاهم وصرعهم وأذلهم

وأهانهم وردهم بغيظهم

فَسُلَّ حَسَامُ السَّعْدِ وَاضْرَبَ بِهِ الْعَدَا      وَخَلَّ حَسَامُ الْهِنْدِ فِي كَنْزِ غَمْدِهِ  
فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَلْتَهُ      يَقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمٌ حُدُودَهُ  
وَقَالَ ، وَقَدْ عَادَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَعْضِ مَتَوَجِّهَاتِهِ الْجِهَادِيَّةِ لَجَبَلِ الشَّوَارِ :

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ      قَدِمْتُ مَعَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ  
وَقَدْ عُدَّتْ مِنْ جَبَلِ الشَّوَارِ لَتَجْتَلَى      عَقَائِلُ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ بِلَاعِدِ  
وَقَالَ مِمَّا رَسَمَ فِي طَيْقَانِ الْأَبْوَابِ بِالْمُبَانِي السَّعِيدَةِ الَّتِي ابْتَنَاهَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَنَا تَاجُ كِهْلَالٍ      أَنَا كَرِمْ جَمَالٍ  
يَنْجَلِي الْإِبْرِيْقُ فِيهِ      كَعُرُوسُ ذِي اخْتِيَالٍ  
جُودُ مَوْلَانَا ابْنِ نَصْرِ      قَدْ حَبَانِي بِالْكَامِلِ (١)

وَفِي مِثْلِهِ :

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا      قَدْ حَوَى الشُّكْرَ الْبَدِيعَا  
تَحْسَدُ الْأَفْلَاكُ مِنْهُ      قَوْسُهُ السَّهْلُ الْمُنِيعَا  
دَمْتُ رَبْعًا لِلتَّهَانِي      أَنْظُمِ الشَّمْلَ الْجَمِيعَا

وَفِيهِ :

لِلغَنِيِّ بِاللَّهِ قَصْرُ      لِلتَّهَانِي بِصُطْفِيهِ  
فِيهِ مَحْرَابُ صَلَاةٍ      يَقِفُ الْإِبْرِيْقُ فِيهِ  
تَالِيًا سُورَةَ حَسَنِ      وَالْمَعَالِي تَقْتَفِيهِ

وَفِيهِ :

أَيُّ قَوْسٍ ذِي جَمَالٍ      سَهْمُهُ سَهْمُ السَّعَادَةِ  
مَلِكُ الْإِبْرِيْقِ فِيهِ      عَوْدُ الْإِحْسَانِ عَادَهُ

ذو صلاة من صلّاتٍ كلها دأبا معاده  
وقال في المعنى مما كتب به لعننا الأمير « سعد » رحمة الله تعالى عليه :  
انظر لأفق جمال به الأباريق تصعد  
حُسنٌ بديع حَبّاه به الأمير المعجمد  
فخر الإمارة سعد به الخليفة يسعد  
وكيف لا وأبوه فخر الملوك محمد؟  
عليه حتّى رضاه في كل يوم يُجدد  
وقال فيه أيضاً :

رفعت قوس سمائي يزهى بتاج الهلال (١)  
قد قلده نقوشى دُرّ الدرارى العوالى  
ترى الأباريق فيه تهديك عذب الزلال  
قد زان قَصْرَى سعد بسعده المتوالى  
فدام يعمر رَبْعَى فى كلّ مولى الموالى (٢)

وفى الغرض :

ما ترى فى الرياض أشباهى يسحر العقل حسنى الزاهى  
زان روضى أميره سعد وهو نجل الغنى بالله  
دام منه بمرتقى عز أمر بالسعود أو ناهى

وقال فى غرض الشكر عن مغطى صنهاتى أهدها إياه :

لمن قبة حمراء مُدّ نُصارها تطابق منها أرضها وسماؤها  
وما أرضها إلا خزائن رحمة وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها

(١) يزهى : يتكبر ويتباهى ، وهو من الأفعال الملازمة للبناء للمجهول فى

أكثر استعماله

(٢) الكلء — بالفتح — مصدر كلاًه أى حفظه ورعاه

وقد شبه الرحمن خلقنا به  
ومعروشة الأرجاء معروشة بها  
ترى الطير في أجوافها قد تصفقت  
ونسبتها صنهاجة غير أنها  
حبنتي بها دون العبيد خلافة  
على الله في يوم الجزاء جزاؤها

وفي مثله :

ما للعالم جمعت في قبـة  
ما إن رأيت ولا سمعت كطائر  
إن لم تكن تلك الطيور تغردت  
صُفَّتْ عليها للفواكه كل ما  
لو شاهدت صنهاجة أوضاعه  
عودتني الصنع الجميل تفضلا  
وبسورة الأنعام كم من آية

وقال تذييلا لبيتى ابن المعتز :

سقتني في ليل شبه بشرها  
فأمسبت في ليلين للشعر والدجى  
إلى أن بدا الصبح المبين كأنه  
شماله مهما أدير كؤسها

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع :

هى فى أوجه الندامى عقيق  
وهى مثل النضار فى الأفداح

(١) شبهة خديها : أراد الحمر الضاربة إلى الحمرة كخديها ، وهو مفعول ثانى لسقتني .

(٢) لم يشن — بالبناء للمجهول — لم يصبه شين وهو القبح

كأبن نصر تراه في الحرب ليثا وهو بدر الفدى وغيث السماح<sup>(١)</sup>  
 ذكره قد ثنى قُدُودَ الندى وأعاد الحياة في الأرواح  
 وقال مما يرسم للغنى بالله :

لغنى بالله ملك بُرْده بالعز مُذْهَبٌ  
 دام في رفعة شان ماجلاً الإصباحُ غَيْهَبٌ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

يا ابن نصر لك ملك ليس تعدوه الفتوح  
 دمت رُوحًا المعالى ماسرى في الجسم روح

ومن مقطوعاته :

وابن نصر له محيا كصبح إن تجلى جَلالَنَا كل كرب  
 ذو حسام كأنه لمعُ برقٍ في بنان كأنها غيثٌ سُحْبِ

ومن أخرى :

وكان النجوم في غسقِ الليل جُماناً يلوح في آبنوس  
 وكان الصباح في الأفق يحلى بحلى النجوم مثل العروس  
 وكان الرياض تهدي ثناء لغنى بالله فوق الطروس

وقال من قصيدة أولها :

أضياء هدى أم ضياء نهار وشذا المحامد أم شذا الأزهار  
 قسماً بهديك في الضياء، وإنه شمس تمد الشهب بالأنوار

ومنها :

كم من لطائف للهدى أوضحتها خفيت لطائفها على الأفكار

(١) الليث : الأسد ، والسماح : الجود والعطاء

(٢) الغيب — كجعفر — أراد به الظلام

كم من جرائم قد غفرت عظيمها      مستنزلا من رحمة الغفار  
علمت ملوك الأرض أنك فخرها      فتسابقن لرضاك في مضمار  
ومنها يصف الجيش :

سالت به تحت العجاج سفينة      فحمت بريح العز من أنصار  
أرست بجودي الجود في يوم الندى      وجرت بيوم الحرب في تيار (١)  
ومنها :

ألقى بأيدي الريح فضل عنائه      فيكاد يسبق لمحمة الأبصار  
ومنها :

فهي العراب متى انبرت يوم الوغى      قد أعربت عن لطف صنع الباري (٢)  
ومنها :

إن خاض في ليل العجاج رأيت      يجلو دجنته بوجه نهار  
ومنها :

كم فيهم من قار ضيف طارق      وضحت شواهد فضله للقار  
ومنها :

يا أيها الملك الذي أيامه      غرر تلوح بأوجه الأعصار  
قد زارك العيد السعيد مبشرا      فاسمح لألف منهم بمزار  
لما ازدته عواطف أنطقها      عطف الإله عليك عطف سوار  
فأني يؤم منك هديا صالحا      كي يستمد النور بعد سرار  
وأناك يسحب ذيل سحب أغدقت      تغري جفون المزن باستعمار  
جادت بجاري الدمع يقطر بالندى      فرعى الربيع لها حقوق الجار

(١) جودي : أصله بتشديد الياء كما وقع في قوله تعالى : ( واستوت على الجودي )  
ولكنه خفف الياء هنا إقامة للوزن ، والجود — بالضم — الكرم ، والندى : العطاء .

(٢) العراب — بكسر العين = الخيل العربية الأصيلة

فَأَعَادَ وَجْهَ الْأَرْضِ طَلَقًا مَشْرِقًا      مَتَضَاحِكًا بِمِبَاسِمِ النُّوَارِ  
لَمَّا دَعَاكَ إِلَى الْقِيَامِ بِسَنَةٍ      حَكَّمْتَ دَاعِيَ الْجُودِ وَالْإِيثَارِ  
فَأَفْضَتْ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِبَا      حَسَنْتَ مَوَاقِعَهَا عَلَى التَّكْرَارِ  
فَاهِنًا بَعِيدَ عَادٍ يَشْتَمِلُ الرِّضَا      جَذْلَانِ يَرْفُلُ فِي حُلَى اسْتِبْشَارِ<sup>(١)</sup>

ومنها :

لَا عُذْرَ لِي إِنْ كُنْتُ فِيهِ مَقْصُرًا      سَدَتْ صِفَاتُكَ أَوْجَهَ الْأَعْذَارِ  
فَإِذَا نَظَّمْتُ مِنَ الْمُنَاقِبِ دُرَهَا      شَرَفْتَنِي مِنْهَا بِنَظْمٍ دَرَارِي  
فَلِذَاكَ أَنْظَمَهَا قَلَانِدٌ لَوْلُو      لِأَلَاؤِهَا قَدْ شَفَّ بِالْأَنْوَارِ  
وَأُنْشِدْ عَلَى لَحْدِهِ الْمَقْدَّسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

ضَرِيحَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ      يَخْصُصُكَ رَبِّي بِالسَّلَامِ الرَّدِّدِ  
وَحَيَّتِكَ مِنْ رُوحِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٍ      مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَرُوحَ وَتَقْتَدِي  
وَشَقَّتْ جَيُوبُ الزَّهْرِ فَيْكَ كَأَمٍّ      يَرْفُ بِهَا الرِّيحَانُ عَنْ خَضَلٍ نَدَى<sup>(٢)</sup>  
وَصَابَتْ مِنَ الرَّحْمَى عَلَيْكَ غَمَائِمٌ      تَرُوتِي تَرَى هَذَا الضَّرِيحَ الْمُنْجَدِ  
وَزَارَتْكَ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ أَوَانِسُ      نَوَاعِمٍ فِي كُلِّ النِّعَمِ الْمُخَلَّدِ  
وَجَاءَتْكَ بِالْبُشْرَى مَلَائِكَةُ الرِّضَا      كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمَجْدِ  
وَصَافَحَ مِنْكَ الرُّوضُ أَطْيَبَ تَرْبَةٍ      وَعَاهَدَ مِنْكَ الْمِزْنَ أَكْرَمَ مَعْدِ  
رِضَا اللَّهِ وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ وَعَفْوُهُ      يُؤَالِي عَلَى ذَاكَ الصَّفِيحِ الْمُنْضَدِ  
وَيَا صَدَفًا قَدْ فَازَ مِنْ جَوْهَرِ الْعِلَا      بِكُلِّ نَفِيسٍ بِالنَّفَاسَةِ مَفْرَدِ  
أَعْنَدُكَ أَنْ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْحِجَا      وَزَهْرَ الْحَلَى قَدْ أَدْرَجْتَ طَى مَلْحَدِ  
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَالَةٌ الْقَمَرِ الَّذِي      بِنُورِ هَدَاهِ الشَّهْبِ تَهْدِي وَتَهْتَدِي

(١) جذلان : وصف من الجذل - بالتحريك - وهو الفرح والسرور

(٢) رف التبت ونحوه : اهتز ، والحضل - بفتح فكسر - الذي ترشش وابتل

وياعجباً من ذلك الترب كيف لا  
لقد ضاقت الأكوان وهى رحيمية  
قدمت على الرحمن أكرم مقدم  
أقام بك المولى الإمام محمد  
فجاء كما ترضى وترضى به العلا  
ومد ظلال العدل فى كل وجهة  
وقام بمفروض الجهاد عن الورى  
قضى بعد ما قضى الخلافة حقها  
وفتح بالسيف الممالك عنوة  
وكسر تمثال الصليب وأخرست  
وطهر محراباً وجدد منبراً  
ودانت له الأملاك شرقاً ومغرباً  
وطبق معمور البسيطة ذكره  
وسافر عن دار الفناء ليجتلى  
وقام بأمر الله حق قيامه  
لئن سار للرحمن خير مودع  
فقد خلف المولى الخليفة يوسف  
سبيلك فى سبل المكارم يقتفى  
محمد جل الخطب من بعد يوسف  
ولو وجد الناس الفداء مسوغاً

يفيض ببحر السباحة مُزبِدٌ<sup>(١)</sup>  
بما حُزّت من فخر عظيم وسُودِدِ  
وزوّدت من رحماه خير مزود<sup>(٢)</sup>  
مؤمل فوز بالشفيع محمد  
وأنجز للأمال أكرم موعِدِ  
وكفأ كف البغى من كل معتد<sup>(٣)</sup>  
وعوّد دين الله خير معوّد  
وعامل وجه الله فى كل مقصد  
ومدت له أملاكها كف مجتد  
نواقيس كانت للضلال بمرصد  
وأعلن ذكر الله فى كل مسجد  
وكلهم ألقى له الملك باليّدِ  
وسارت به الركبان فى كل قدّيدِ  
بما قدم اليوم السعادة فى غد  
بعزيمة لا وإن ولا متردد  
وحلّ من الفردوس أشرف مقعد  
يعيد له عز المساعى ويتبدى  
وهديك يا خير الأئمة يقتدى  
ويوسف جلى الخطب بعد محمد  
فذاك يبذل النفس كلّ موحد

(١) أزيد البحر : رعى بالزبد ، وإنما يكون ذلك عند اضطرابه وجيشانه

(٢) مزود ، هنا : مصدر ميمى بمعنى التزود

(٣) كف : منع

ستبكيك أرض كنت غيث بلادها      وتبكيك حتى الشهب في كل مشهد  
وتبكي عليك السحب ملء جفونها      بدمع يروى غلة الجذب الصدى<sup>(١)</sup>  
وتلبس فيك النيرات ظلامها      حداداً ويذكى النجم جفن مسهد  
وما هي إلا أعين قد تسهدت      فكحلها نجم الظلام يأمد  
فلا زلت في ظل النعم مخلداً      ونجلك يحيا بالبقاء الخلد  
وأوردك الرحمن حوض نبيه      وأصدر من خلقت من خير مورد  
عليك سلام مثل حمدك عاطر      يفض ختام المسك عن ربك الندى  
وصلى على المختار من آل هاشم      صلاة بها نرجو الشفاعة في غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج :

بما قد حزت من كرم الخلال      بما أدركت من رتب الجلال  
بما حوّلت من دين ودنيا      بما قد حزت من شرف الجلال  
بما أوليت من صنع جميل      يطابق لفظه معنى الكمال  
تعمدني بفضلك واغفرها      ذنوباً في الفعال وفي المقال

وقال أيضاً :

أنعطش أولادى وأنت غمامة      نعم جميع الخلق بالنفع والسقيا؟  
وتظلم أوقاتي ووجهك نير      تفيض بها الأنوار للدين والدنيا  
وجدك قد سمّاك ربك باسمه      وأورثك الرحمن رتبته العليا  
وقد كان أعطاني الذي أنا سائل      وسوغي من غير شرط ولا ثنياً  
وشعري في غدير المصانع خالد      يحيه عنى في المات وفي الحيا  
ومازلت أهدى المدح مسكاً مفتقاً      فتحمله الأرواح عاطرة الريّا

(١) الغلة - بضم الغين وتشديد اللام - حرارة الباطن ، والمجذب : اسم فاعل  
من « أجذب المكان » إذا لم ينبت ، والصدى - بفتح فسكون - العطشان

وقد أكثر العبد التشكى وإنه  
وما الجود إلا ميت ، غير أنه  
فمن شاء أن يدعو لدين محمد  
وحقك يا فخر الملوك قد استحميا  
إذا نفخت يمنك في روحه يحيا  
فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة :

منزل اليمين والرضا والسعود  
كل يوم نزاهة إن تقضت  
جمع المسلمين وصف كال  
فأهنّ في غبطة وعزة ملك  
أنجزت فيه صادقات الوعود  
أنشدتها السعود: بالله عودي  
بين بأس عم الملوك وجود  
أنت والله فخر هذا الوجود

وقال أيضاً مشيراً لقولية العلامة :

لك غرة ودّ الصباح جملها  
وشمائل تحكى الرياض خللاها  
للمستمعين خلافة نصرية  
وأنا الذى قد نال منك معاليا  
تهديه ما قد نلته من بعضها  
في كل يوم منك منة منعم  
بلغمت آمال العبيد فبلّغت  
ومحاسن تهوى البدور كملها  
وأنا مل تزجى الأنام خللاها  
عرفت ملوك العالمين جلالها  
تهدى النجوم الزاهرات منالها  
فالفخر كل الفخر فيمن نالها  
لو طاولت سمك السما ما طالها<sup>(٢)</sup>  
فيك العبيد من البقا آمالها

وقال أيضاً وكتبها إليه مع خمسة أقلام :

أيام السكالم يبتد للعين حسنه  
لك الخير خذها كالأنامل خمسة  
فمن أبصرت عينك مرآه فليقل  
سوى ملك قد حل من عالم القدس  
تعود مرآك المثل بالخمس  
أعوذ برب الناس أو آية الكرسي

(١) البقيا - بالضم - البقاء

(٢) طاولتها : غالبها في الطول والفضل

ثم قال ابن الأحرر : وقال يخاطب مولانا الوالد رحمة الله تعالى عليه وقد مر معه بفحص ربة ، والتأج قد عم أنديته ، وبسط أرديته ، في وجهة توجهها مولانا الجحد تغمده الله تعالى إلى مائلة :

يا من به رتب الإمارة تعلى      ومعلم الفخر المشيدة تبغى  
 ازجر بهذا الثلج حالا إنه      ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى<sup>(١)</sup>  
 بسط البياض كرامة لقدمه      وافترّ ثغرا عن مسرة معقى  
 فالأرض جوهرة تلوح لمعتل      والدوح مزهرة نفوح لمجنى  
 سبحانه من أعطى الوجود وجوده      ليدل منه على الجواد المحسن  
 وبدائع الأكوان في إبتقانها      أثر يشير إلى البديع المتقن  
 ثم قال : ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب مادحا قوله :

\* أما وانصداع النور من مطلع الفجر \*

إلى آخره ، وقد تقدمت .

ثم قال : وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبي دلامة :

على الطائر الميمون والطالع السعد      أتقنى مع الصنع الجليل على وعد  
 وأحييت يا يحيى بها نفس مغرم      يحيل جياذ الدمع في ملمع السهد  
 نسيت وما أنسى وفأى وخلقى      وأقفر ربع القلب إلا من الوجد  
 وما الطل في ثغر من الزهر باسم      بأزكى وأصفى من ثنائى ومن ودى  
 فأصدقها من بحر فكرى جواهرها      تنظم من در الدرارى فى عقد  
 وكنت أطيل القول إلا ضرورة      دعبنى إلى الإيجاز فى سورة الحمد

(١) كان من عادة العرب أن يرمى أحدهم الطائر بحصاة أو يصيح به ليطير ؛ فإن ولاه ميامنه فى طيرانه تفاعل به ، وإن ولاه مياسره تشاءم منه ، فهذا هو التزجر وقالوا « زجر فلان » يريدون به معنى تكهن ، وأصله ما ذكرناه أولا

وأنشد السلطان أبا العباس المرسى في غرائب من إنشائه :

أإنسان عين الدهر جفئك قد غدا يحفك منه طائر اليمين والسعد

إذا ما هفا فوق الرأس شراعه أراك جناحا مد للجزر والمد

وأنشد فيه أيضاً :

لك الخير شأن الجفن يحرس عينه وهذا بعين الله يحرس دائماً

تبیت له خمس الثرىا معیذة تقلده زهر النجوم تماماً

فياجنن لا تنفك في الحفظ دائماً وإن كمت في لج من البحر عاماً

انتهى ما لخصته من كلام ابن الأحمر في حق ابن زمرك ، وذلك جملة من نظمه .

وقد رأيت أن أعزز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور مما انتقيته

من كلام ابن الأحمر .

فنها قوله متشوقاً إلى غرناطة ويمدح الغنى بالله :

بالله يا قامة القضيب ونجبل الشمس والقمر<sup>(١)</sup>

من ملك الحسن في القلوب وأيد اللحظ بالخور

من لم يكن طبعه رقيقاً لم يدر ما لذة الصبا

فرب حر غدا رقيقاً تملكه نفحة الصبا<sup>(٢)</sup>

نشوان لم يشرب الرحيقا لكن إلى الحسن قد صبا

فعدب القلب بالوجيب ونعم العين بالنظر<sup>(٣)</sup>

وبات والدمع في صليب يقدح من قلبه الشرر

عجبت من قلبي المعنى يهفو إذا هبت الرياح

موشحة  
لابن زمرك

(١) القضيب : العنصن ، وأراد أن قامته وقده كالقضيب اعتدالا وتمايلا

(٢) الصبا - بفتح الصاد - ربيع الشمال ، ونفحتها : هبوبها

(٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه

لو كان للصب ما تمنى	لطار شوقاً بلا جناح
وبلبل الدَّوْح إن تغنى	أَسْهَرُ ليلي إلى الصباح
عساك إن زرت يا طيبي	بالطَّيْفِ في رقدة السحر
أن تجعل النوم من نصيبي	والعين تحمى من السهر
كم شادنٍ قاد لي الختوفا	بمربع القلب قد سَكَنَ <sup>(١)</sup>
يَسْلُ من لحظه سيوفا	فالقلب بالروع ما سكن
خُلِقْتُ من عادتي أُلُوفًا	أحن للآلف والسكن <sup>(٢)</sup>
غرناطة منزل الحبيب	وقربها السؤال والوطر
تبهر بالمنظر العجيب	فلا عدا ربعتها المطر
عروسة تاجها السبيكة	وزهرها الحلى والحلل
لم ترض من عزها شريكه	بحسبها يُضْرَبُ المثل
أبدها الله من مليكه	تملكها أشرف الدول
بدولة المرتجى المهيب	الملك الظاهر الأغر
تختال من بردها القشيب	في حلة النور والزَّهْرُ
كرسيها جنة العريف	مرآتها صفحة القدير
وجوهر الطلّ عن شنوف	تحكمها صنعة القدير
والأنس فيها على صنوف	فمن هديل ومن هدير
كم خرق الزهر من جيوب	وكلل القُصْب بالدرر
فالعصن كالكاعب اللعوب	والطير تشدو بلا وتر
ولأنم النصر في احتفال	وفرح دين الهوى جديد

(١) الشادن : ولد الظبية إذا ترعرع ، والختوف : جمع ختف ، وهو الهلاك

(٢) الأصل في هذا المعنى قول أبي الطيب المتنبي :

خلقت ألوفا لورجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجه القلب با كيا

سلطانها مُعْمِلُ العوالى	محمد الظافر السعيد <sup>(١)</sup>
ومخجل البدر في السكال	سلطانها المجتبي الفريد
أَصْفَحُ مَوَّلَى عن الذنوب	أكرم عافٍ إذا قدر <sup>(٢)</sup>
وشمس هَدَى بلا مغيب	وبحر جود بلا حصر
مولاي يا عاقد البنود	تظلل الأوجُه الصُّباح
أَوْحَشَتْ يا نخبه الوجود	غرناطة هالة السباح
سافرت باليُمن والسعود	وعدت بالفتح والنجاح
يا ملهم القلب للغيوب	ومُطعمَ النصر والظفر
أسمعتك الله عن قريب	على السلامه من السفر

وقال أيضا من الموشحات الرائقة ، في مثل أغراض هذه السابقة ، وأشار إلى محاسن من وصف الرشاد :

موشحة أخرى  
لابن زمرك

نسيم غرناطة عليل	لكنه يبرىء العليل
وروضها زهره بليل	ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد رُبَا المصلى	مباكرا روضه الغمام
سقى بنجد ربا المصلى	تبسم الزهر في الحكام
والروض بالحسن قد تجلّى	وجرد النهر عن حسام
ودوحها ظلّه ظليل	يَحْسُنُ في ربه المقيّل
والبرق والجو مستطيل	يلعب بالصارم الصقيّل
عقيلة تاجها السبيكة	تطل بالمرقب المنيف

(١) العوالى ، هنا : الرماح ، وأصله جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ، فأطلق اسم الجزء وإرادة كله ، ومعناها : أراد أنه محارب

(٢) عاف : اسم فاعل من « عفا عن الذنب يعفو » إذا صفح

كأنها فوقه مليكه	ككرسيها جنة العريف
تطبع من عسجد سبيكه	شموسها كلما تطيف
أبدعك الخالق الجميل	يا منظرا كله جميل
قلبي إلى حسنه يميل	وقلبنا قد صَبَا جميل
وزاد للحسن فيك حسنا	محمد الحمْد والسماح
جدد للفخر فيك مَبْنَى	في طالع اليمن والنجاح
تدعى رشاداً وفيك معنى	يخصك الفال بافتتاح
فالنصر والسعد لا يزول	لأنه ثابت أصيل
سعد وأنصاره قبيل	آبأوه عترة الرسول <sup>(١)</sup>
أبدى به حكمة القدير	وتوَّج الروض بالقباب
ودرع الزهر بالقدير	وزين التهرر بالحباب
فمن هديل ومن هدير	ما أولع الحسن بالشباب
كبت على روضها القبول	وطرفها بالشرى كليل
فلم يزل بينها يَجُول	حتى تبسدت له حجول
للزهر في عطفها رُقُوم	تلوح للعين كالنجوم
وللندى بينها رسوم	عقد الندى فوقه نظم
وكل واد بها يهيم	ولم يزل حولها يحوم
شنيلها مد منه نيل	والشين ألف لمستنيل
وعين واد بها تسيل	من فوق خدله أسيل
كم من ظلال به ترفء	تصفو له فوقها سُتُور

(١) أراد سعد بن عبادة ، سيد الأنصار ، وهو الجد الأعلى للملوك من

ومن زجاج به يشف  
ومن شمس بها تصف  
مزاجها العذب سلسبيل  
وكيف والشيب لى عذول  
يا سَرَحَة فى الحمى ظليله  
روضك الله من خميله  
وبرقها صادق الخيله  
أنجز لى وعدك القبول  
يا سَرَحَة الحمى يامَطُول  
ومن ذلك ما كتب به إلى الغنى بالله :

أبلغ لفرناطة السلام  
فلو رعى طيفها ذمام  
كم بت فيها على اقتراح  
أدير فيها كؤوس راح  
أختال كالمر فى الجناح  
أضحك الزهر فى الكمام  
وأفصح الغصن فى القوام  
بيننا أنا والشباب ضآف  
ومورد الأنس فيه صاف  
وصِف لها عهدى السليم  
ما بت فى ليلة السليم  
أعلّ من خُرة الرضاب  
قد زانها الثغر بالحباب  
نشوان فى روضة الشباب  
مباها روضه الوسيم  
إن هب من جوّها النسيم  
وظلّه فوقنا مديد  
وبرده رائق جديد

(١) المنادى بحرف النداء «يا» محذوف، وكأنه قال : يا قوم ، هل إلى رشفها  
سبيل ؟ والمنادى يحذف كثيرا ويذكر حرف النداء إيماء إليه ، ومنه قوله تعالى :  
(يا ليت قومى يعلمون) وقول الشاعر :

ألا يا اسلى يا حرمى على البلى ولا زال منهلا بحرعاك القطر

إذ لاح في القود غير خاف      أصبح به نبه الوليد<sup>(١)</sup>  
 أيقظ مَنْ كان ذا منام      لما انجلي ليله البهيم  
 وأرسل الدمع كالغمام      في كل وادٍ به أهيم  
 يا جيرة عهدهم كريم      وفعلهم كله جميل  
 لا تعذلوا الصب إذ يهيم      فقلبه قد صبا جميل  
 القربُ من ربكم نعيم      وبعد كم خطبه جليل  
 كم من رياض به وسام      يزهي بها الرائض المسيم  
 غديرها أزرق الجمام      ونبتها كله جسيم  
 أعندكم أننى بفاس      أكابد الشوق والحنين  
 أذكر أهلى بها وناسى      واليوم فى الطول كالسنين  
 الله حسبي فكم أقاسى      من وحشة الصب والبنين  
 مطارحا ساجع الحسام      شوقا إلى الإلف والحميم  
 والدمع قد لج فى انسجام      وقد وهى عقده النظيم<sup>(٢)</sup>  
 يا ساكنى جنة العريف      أسكنتم جنة الخلود  
 كم ثم من منظر شريف      قد حف باليمن والسعود  
 ورب طود به منيف      أدواحه الخضر كالبنود  
 والنهر قد سلّ كالخسام      لراحة الشرّب مستديم  
 والزهر قد راق بابتسام      مقبلا راحة النديم  
 بلغ عبيد المقام محبى      لازاتمُ الدهر فى هنا  
 لقاكم بغيّة الحب      وقربكم غاية المني

(١) القود — بفتح الفاء وسكون الواو — جانب الرأس ، والصبح : أراد به

الشيب ، وهى استعارة يكثر الشعراء استعمالها

(٢) انسجام الدمع : انسكابه ، ووهى : ضعف

فعمدكم قد تركت قلبي فجدد الله عهدنا  
 ودارك الشمل بانتظام من يرتهب فضله العيم  
 في ظل سلطاننا الإمام الطاهر الظاهر الحميم  
 مؤمن العدوتين مما يخاف من سطوة العدا  
 وفارج الكرب أن أئماً ومذهب الخطب والردى<sup>(١)</sup>  
 قد راق حسنا وفاق حلما وما عدا غير ما بدا  
 مولاي يا نخبه الأنام وحائز الفخر في القديم<sup>(٢)</sup>  
 كم راقب البدر في التمام شوقا إلى وجهك الكريم

منها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التي أولها «ليل الهوى يقظان» وهي :

نواسم البستان تنثر سلك الزهر  
 والطل في الأغصان ينظمه بالجواهر  
 وراحة الإصباح أضاء منها المشرق  
 تنشرها الأرواح فلا تزال تحقق<sup>(٣)</sup>  
 والزهر زهر فاح لها عيون ترمق  
 فأيقظ القدمان يبصرن مالم يبصر  
 جواهر الشبان قد عرضت للمشتري  
 قدحت لى زندا يا أيها البارق  
 أذكرتني عهدا إذ الشباب رائق  
 فالشوق لا يهدا ولا القواد الخافق

(١) ألم : نزل ، والردى : الهلال

(٢) نخبة الأنام : المنتخب المختار منهم

(٣) الأرواح ، هنا : جمع ربح ، وتحقق : تتحرك وتهب

وكيف بالسـلوان	والقلب رهن الفكر
وسُحِبُّ الهجران	تجيب وجه القمر
لولا شمس الكاس	يديرها بين الدور
وأعرج الإيناس	منا على ربع الصدور
لكن لها وسواس	يفرى بربات الخدور
كم والهـ هيمان	بصبح وجه مسفر <sup>(١)</sup>
ضياؤه قد بان	من تحت ليل مقمر
يا مطلع الأنوار	كم فيك من مرأى جميل
ونزهة الأبصار	ماضر لو تشفى الغليل
يا روضة الأزهار	وعرفها يبرى الغليل
قضيبك الفتـان	يسقى بدمع همر
فلاعجج الأشجان	فيض الدموع يجري
هل فى الهوى ناصر	أو هل يحار الهائم
لو كان لى زائر	طيف الخيال الحائم
ما بت بالسـاهر	ودمع عيني ساجم
والحب ذو عدوان	يمهد فى ظلم البرى
وصارم الأجفان	مؤيد بالحـور
رحماك فى صب	أذكرته عهد الصبا
بواعث الحب	قادت إليه الوصبا
لم تهف بالقلب	ريح الصبا إلّا هبا

(١) الواله : الوصف من الوله - بالتحريك - وأراد به الذى حيره الحب ،

والهيمان : أصله الشديد العطش ، وأسفر وجهه : أضاء وأشرق

بَلِيَّةَ الْأُرْدَانِ	قَدْ ضُمَّخَتْ <sup>(١)</sup> بِالْعَنْبَرِ
يَشِيرُ غَصْنُ الْبَابِ	مِنْهَا بِفَضْلِ الْمُنْزَرِ <sup>(٢)</sup>
طَيْبَهَا حَمْدٌ	فَخَرَّ الْمُلُوكُ الْمُجْتَبَى
مَنْ يَرْجِحُ الطُّودَ	مَنْ حَلَمَهُ إِذَا احْتَبَى
قَدْ جَرَدَ السَّعْدَ	مِنْهُ حَسَامًا مَذْهَبًا
فَالْبَاسَ وَالْإِحْسَانَ	وَالْغَوْثَ الْمُسْتَنْصَرَ
تَحْمِلُهُ الرِّكْبَانُ	تَحْمِيَةً لِلْعَنْبَرِ
عَصَابَةُ الْكِتَابِ	حَقٌّ لَهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
تَحْتَالُ فِي أَثْوَابِ	حَقٌّ لَهَا الْفَخْرُ الْجَسِيمُ
فَحَسْبُهَا الْإِطْنَابُ	فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمِ
خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ	لَا زِلْتَ سَامِي الْمَظْهَرِ
يَا مُورِدَ الظُّلَمَانِ	وَرَأْسَ مَالِ الْمَعْسَرِ
خَذَهَا عَلَى دَعْوَى	تَزْرَى عَلَى الرُّوضِ الْوَسِيمِ
جَاءَتْ كَمَا تَهْوَى	أَرْقَ مِنْ لَدُنِ النَّسِيمِ
قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى	مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْيَمِ
أَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ	وَالْحُبُّ تَرْبُ السَّهْرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَانُ	وَالنُّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرَى

وله في الصبوحيات :

رِيحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ	خَضِرَاءُ بِالزَّهْرِ تَزْهَرُ
وَرَايَةُ الصَّبْحِ قَدْ أَظَلَّتْ	فِي مَرْقَبِ الشَّمْسِ تَنْشُرُ

(١) الْأُرْدَانُ : جمع رَدْن - بالضم - وهو أصل الكَمْ ، وضُمخَتْ - بالبناء للمجهول - ملطخة حتى كأن مالطخت به يقطر منها  
(٢) الْمُنْزَرُ - بَزَنَةُ النَّبْرِ - الْإِزَارُ ، وهو ما يلبس في أعلى الجسم .

فالشهب من غارة الصباح      تَرَعْدُ خَوْفًا وَتَحْقُقُ  
وأدهم الليل في جِراح      أَعْنَةُ البرق يطلق<sup>(١)</sup>  
والأفق في ملتقى الرياح      بأدمع الغيث يشرق  
والسحب بالجواهر استهلت      فالبرق سيف بجوهر  
صفاحه المذهبات حلت      في راحة الجوّ تشهر  
كم للصبا نَمَّ من مقيل      بطيبه الزهر يشهد  
والنهر كالصارم الصَّقيل      في حلية النور يغمد  
ورب قال به وقيل      للطير في حين تنشد  
فألْسُنُ الْوُرُقِ قد أملت      مدائحًا عنه تشكر<sup>(٢)</sup>  
ونسمة الصبح قد تجلت      في سندس الروض تعثر  
والكاس في راحة النديم      يجلو بها غيب المهوم  
أَقْبَسَتِ النَّارُ في القديم      من قبل أن تخلق الكروم  
والنهر في ملعب النسيم      للزهر في عِطْفِهِ رقوم  
خَلَبَتْهُ الْخَلَى قد تجلت      والطلُّ في الخلى جوهر  
وبهجة الكون قد تجلت      والروض بالحسن يهر  
يُذْكَرُنِي وَجَنَةُ الْحَبِيبِ      والآس في صفحة العذار  
وشارب الشارب العجيب      بين أقاح وجلنار  
يدير من ثغره الشنيب      سلافة دونها العقار  
حلت لأهل الهوى وجلت      بالذكر والوهم تسكر  
كم من نفوس بها تسَلَّتْ      فما لها الدهر منكسر

(١) الأعنة : جمع عنان ، وأصله ما تقاد به الدابة ، ويطلقها : يرسلها ، ومتى أطلقت الأعنة انفلت الزمام فجرت الدابة كما تريد

(٢) الورق - بالضم - جمع ورقاء ، وهى الحمامة ، وأملت - بتشديد اللام - ماض من الإملا ، ومعناه هنا الإملاء ، وفى التنزيل : ( فليملل الذى عليه الحق )

يا غصن بان يميل زهواً      ريّان في روضة الشباب  
 لو كنت تصغي لرفع شكوى      أطلت من قصة العقاب  
 ومن لمثلي يبتّ نجوى      للبدر في رفرف السحاب (١)  
 عزائم الصبر فيك خلّت      وعقدة الصبر تذخر  
 قدأ كثر منك ما استقلت      وليت لو كنت تشعر  
 كم ليلة بتها وبتّا      ضدين في السهد والرقاد  
 أسامر النجم فيك حتى      علّمت أجفانها السهاد (٢)  
 أرقب بدر الدجى ، وأتتا      قد لحّت في هالة الفؤاد  
 نفسي وليت ما تولت      دعها على الشوق تصبر  
 لو سُمّتها الهجر ما تولت      ولم تكن عنك تنفر (٣)  
 علمها الصبر في الحروب      سلطاننا عاقد البنود (٤)  
 مغفر الصيّد للجنوب      أعز من حف بالجنود (٥)  
 نصرت بالرعب في القلوب      والبيض لم تبرح الغمود  
 غناية الله فيه جلت      بسعده الدين ينصر  
 واخلق في عصره تملت      غنائماً ليس تحصر  
 مولاي يا نكته الزمان      دار بما ترّضى الفلك  
 جللت باليمن والأمان      كل مليك وما ملك  
 لم يدر وصفي ولا عياني      أمّلك أنت أم ملك  
 جنودك القلب حيث حلت      بالفتح والنصر تحمر  
 وعادة الله فيك دلّت      إنك بالكفر تظفر

(١) في ب « ومن لمثلي بيت نجوى » تحريف (٢) السهاد - بالضم - الأرق

(٣) سمّتها : كلفتها (٤) البنود : جمع بند ، وهو العلم

(٥) الصيد - بالكسر - جمع أصيد ، وهو الذي لا يميل رأسه كبرا

يا آية الله في الكمال      وَتُحْجَلُ البدر في التمام  
 قدمت بالعز والجلال      والدر في ثغره ابتسام  
 يختال في حلة الجلال      والبدر قد عاد في اختتام  
 ريحانة الفجر قد أطلَّتْ      خضراء بالزهر تزهر  
 ورأية الصبح قد أظلت      في مرقب الشرق تنشر

وقال ساعده الله تعالى :

قد طَلَعَتْ راية الصباح      وَأَذِنَ الليلُ بالرحيل  
 فباكِرِ الروضِ باصطباح      واشرب على زهره البليل  
 فالوُرُقُ هبت من السناث      لمنبر الدَّوْحِ تخطب  
 تسجع مفتنة اللغات      كل عن الشوق يعرب  
 والغصن بعد الزهاب يأتى      لأَكْوَسِ الطَّلِّ يشرب  
 وأدمع السحب في انسياح      في كل روض لها سبيل  
 والجوَّ مستبشر النواحي      يلعب بالصارم الصقييل  
 قم فاغنم بهجة النفوس      ما بين نَوْرٍ وبين نَوْرٍ  
 وشفع الصبح بالشموس      تديرها بيننا البدور  
 ونبه الشَّرْبَ للكؤوس      تمزج من ريقة الثغور<sup>(١)</sup>  
 ما أجمل الراح فوق راح      صفراء كالشمس في الأصيل<sup>(٢)</sup>  
 تغادر الصدر ذا انشراح      للأنس في طيه مقيل  
 ولا تَدَّرْ خمرة الجفون      فسكرها في الهوى جنون  
 ولتخس من أسهم العيون      فإنها رائد المنون

(١) الشرب - بفتح الشين وسكون الراء - جمع شارب ، ونظيره سفر. وسافر

(٢) الراح الأولى : الحمر ، والراح الثانية : اليد

عرضت منها إلى الفتون<sup>(١)</sup> وكل خطب لها يهون<sup>(٢)</sup>  
 أقيم بالعبادة الرِّدَّاح<sup>(٢)</sup> والجسم من حبها غليل  
 لو بت منها على اقتراح نَقَعْتُ من ريقها الغليل  
 أواعدُ الطَّيْفَ للمنام ومن لعينى بالمنام  
 أسهر في ليلة التمام وأنت يا بدر في التمام  
 وأثم الزهر في السِّكِّام عليه من ثغرك ابتسام  
 سفرت عن مبسم الأفاح وريقك العذب سلسبيل  
 قل لى يارَبَّةَ الوشاح هل لى إلى الوصل من سبيل  
 يا كعبة الحسن زدت حسنا وللهوى حولك المطاف  
 وغصن بان إذا تثنى لوحان من زهرك القطاف  
 ألا انعطاف على المعنى فاقصن زُهرى بالانعطاف  
 أصبحت تزهو على الملاح بذلك المنظر الجميل  
 ووجهك الشمس في اتضاح لو أنها لم تسكن تميل  
 ما الزهر إلا بنظم در تحسد فى حسنه العقود  
 للعلاك الظاهر الأغر أكرم من حُفَّ بالسعود  
 محمد الحمد وابن نصر وباسط العدل فى الوجود  
 مُسَاجِلُ السحب فى السماح بالغيث من رِفْدِهِ الجليل  
 ونحجل البدر فى اللَّيَّاح بغرة مالهـا مثيل  
 يامُشْرِيبَ الحبِّ فى القلوب وواهب الصفح للصفاح  
 نصرت بالرعب فى الحروب والرعب أجدى من السلاح

(١) الفتون : الفتنة ، وفى القرآن الكريم : ( وفتنالك فتونا ) ووقع فى ب  
 « إلى الفنون » بالنون - وهو تحريف  
 (٢) الرِّدَّاح - بفتح الراء والذال جميعا - المرأة الثقيلة الأوراك

قد حُتَّ من عالم الغُيُوب      لم تعدم الفوز والفلاح  
مراكش نهبه افتتاح      والصنع في فتحها جليل  
بشراك بالفتح والنجاح      والشكر من ذلك القبيل  
وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

راحَة الأرواح <sup>(١)</sup>	في كؤُس الثغر من ذاك اللَّعَسْ
عاطر الأرواح <sup>(٢)</sup>	وتعشى الروض مسكى النفس
يهر الشمس	وكسا الأدواح وشيا مذهبا
يهيج النفس	عسجد قد حل من فوق الربا
تلحق الأنسا	فاتخذ للهو فيه مركبا
ساجع الأدواح	منبر الغصن عليه قد جلس
عِظْفُهُ المرتاح	حُلَّ السندس خُضْرًا قد لبس
حسنه قد راق	قم ترى هذا الأصيل شاحبا
في حُلَى الأوراق	ولأذيال الغصون ساحبا
قول ذى إشفاق	ونديم قال لى مخاطبا
هات شمس الراح	عادة الشمس بغرب تحتلس
أوقد المصباح	إن أرانا الجو وجها قد عَبَسْ
كلما تجلّى	ووجوه الشَّرْبِ تغنى عن شمس
خمرها أحلى	بلحاظ أسكرتنا عن كؤُس
سُورًا تُتَلَّى	مظاهرات من خفايا فى النفوس
فاغنم يا صاح	ما زمان الأنس إلا مختلس

(١) اللعس — بفتح اللام والعين جميعا — سمرة الشفة ، والأرواح ، هنا :

جمع روح بالضم ، وهى ما به الحياة

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ربح

وعيون الشهب تذكى عن حرس	تخصم النصاح
ما ترى ثغر الوميض باسمها	يظهر البشرى
وثناء الروض هب ناسما	عاطراً نشرها
بث من أزهاره دراهما	قائلاً بشرى
ركب المولى مع الظهر الفرس	وسقى وارتاح
بجنود الله دأباً يحترس	إن غدا أورااح
وجب الشكر علينا والهناء	بعضنا بعضاً
فزمان السعد وضاح السنى	وجهه الأرضى
أثمرت فيه العوالى بالمنى	ثمراً غَضّاً <sup>(١)</sup>
يجتنى الإسلام منها ما اغترس	سيفه السفاح
فى ضمير النقع منها قد هجس	شهب تلتاح <sup>(٢)</sup>
يا إماماً بالحسام المنتضى	نَصَرَ الحقّا
ثغرك الوضاح مهما أومضا	أخجل البرقا
وديون السعد منه تقتضى	توسع الحقّا
لك وجه من صباح مقتبس	بشره وضاح
وجميل الصفح منه ملتبس	منعم صَفّاح
ها كما تمزج لطفاً بالنسيم	كلما هبّا
قد أنت بالبر والصنع الجسيم	تشكر الربا
أخجلت من قال فى الصبح الوسيم	مغرماً صبا
غرد الطير فنبه من نفس	يامدير الراح

(١) العوالى : جمع عالية ، واراد هنا الرماح ، والثر الغض : الطرى

(٢) الشهب : جمع شهاب — بزّه كتاب وكتب — وهى قطع النار ،

وتلتاح : تظهر مثل تلوح

وانجلي الإصباح

وتعري الفجر عن ثوب الغلس

وقال أيضا ساعده الله تعالى :

واستكملت راحة الإمام	قد أنعم الله بالشفاء
وليضحك الزهر في الكمام <sup>(١)</sup>	فلتنطق الطير بالهناء
وبرؤه راحة النفوس	ووجوده بهجة الوجود
واستبشرت أوجه الشمس	قد لاح في مرقب السعود
أكلامه غطت الرؤس	فالدوح توى إلى البنود
كالزهر قد راق بابتسام	والزهر في روضة السماء
والبدر مستقبل التمام	والصبح مستشرف اللواء
جمالها العقول يبهز	محاسن الكون قد تجلت
والطلل في الخلى جوهر	عرائس بالبهام تحلت
مدائحاً عنه تشكر	والسن الورق قد أملت
كأنها تحسن الكلام	تستوقف الخلق بالغناء
تقول سلمت يا سلام	تطلب لله في الثناء
تبسم إذ جاءها البشير <sup>(٢)</sup>	كم من ثغور لها ثغور
يشير منها له المشير	ومن خدور بها بدور
تبارك المنعم القدير	تقول إذ حفها السرور
في ظل مولى به اعتصام	قد أنعم الله بالبقاء
فالداء عنا له انقسام	قد صادف النجم في الذراء
بيرئك الدين والهوى	يهنيك مولاي بل يُهَيِّئَ

(١) الكمام — بكسر الكاف بزنة الكتاب — غلاف النور

(٢) الثغور الأول : جمع ثغر ، وهو الموضع يخاف منه هجوم العدو ، والثغور

الثاني : جمع ثغر ، وهو الفم

فالغرب والشرق منك يعنى  
والله لولاك ما تهنأ  
يا مورد الأنفس الظماء  
وقرة العين بالبهاء  
لو أبذل الروح فى البشارة  
فأنت يا نفس مستعاره  
لم أدر إذ سطر العبارة  
لازلت مولاي فى هناء  
ودمت للملك فى اعتلاء

وقال فى معلقة :

عليك يا رية السلام  
مذخل فى قصرك الإمام  
والدوح فى روضك الأنيق  
والنصن فى نهريه غريق  
والجو من وجهه الشريق  
وأعين الزهر لا تنام  
ينفث من تحتها التمام  
عروسة أنت يا عقيلة  
مدت لك الكف مستقيلة

ولا عدا ربك المطر<sup>(١)</sup>  
فقربك السؤل والوطر<sup>(٢)</sup>  
للشكر قد حطت الرؤس  
وفى حُلاه كما عروس<sup>(٣)</sup>  
تحسده أوجه الشمس  
تستعذب المسهد والسهر  
يرقيك من أعين الزهر  
تُجلى على مظهر السكال  
تمسح أعطافك الشمال

(١) عدا : جاوز وتخطى ، والربيع : المنزل

(٢) الوطر — بالتحريك — المقصد والمطلب

(٣) « ما » فى قوله « كما عروس » زائدة غير كافة للكاف عن عمل الجر ،  
مثلها فى قول زياد الأعجم :

وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجرم عليه وجارم

والبحر مرآتك الصقيلة	تشف عن ذلك الجمال
والخلي زهر له انتظام	يكلل القضب بالدرر <sup>(١)</sup>
قد راق من ثغره ابتسام	والورد في خدها خفر
إن قيل من بعلها المقدى	ومن له وصلها مباح
أقول أسنى الملوك رفدا	نخلد الفخر بالصفاح
محمد الحمد حين يهدى	نساؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام	والخير يغني عن الخير
فالسعد والرعب والحسام	والنصر آياته الكبر
ذو غرة تسحر البدورا	وطلعة تخبج الصباح
كم راية سامها ظهورا	تظلل الأوجه الصباح
وكم جهاد جلاه نورا	أظفر بالقوز والنجاح
الظاهر الظاهر الهام	أعز من صال وافتخر
لسيفه في العدا احتكام	جرى به سابق القدر
يامرسل الخير في الغواري	لو تطلب البحر تلحق
لك الجواري إذا تجارى	سوابق الشهب تسبق
تستن في لجة البحار	فالكفر منهن يفرق
فالدين وليقصر الكلام	بسيفك أعتز وأنتصر
كذاك أسلافك الكرام	هم نصروا سيد البشر

وقال من غير هذا البحر في الحديث بما لقة :

قد نظم الشمل أتم انتظام	واغتمم الأحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض تغور الغمام	عن مبسم الزهر البرود الشبيب

(١) يكلل : زين ، ويجعلها له كالإكليل ، والقضب : جمع قضيب ، وهو هنا العنق ، وأصل القضب بضم القاف والضاد جميعا ، ولكنه سكن الضاد هنا تخفيفا

وعم النَّوْرُ رُؤْسَ الرِّبَا      وجلل النَّوْرُ صدور البطاح  
 وصافح القضب نسيم الصبا      فالزهر يرنو عن عيون وَقَّاح<sup>(١)</sup>  
 وعاود النهر زمان الصبا      فقلد الزهر مكان الوشاح  
 وأطلق القصر برود التمام      في طالع الفتح القريب الغريب  
 خدودها قامت مقام الغمام      فلا أشتكى من بعدها بالمغيب  
 أصبحت يارية مجلى النفوس      جمالك العين بها يبهر  
 والبشر يسرى في جميع الشموس      وراية الأنس بها تشهر  
 والدوح للشكر تحط الرؤس      وأنجم الزهر بها تزهر  
 وراجع النهر غناء الحمام      وقد شدت تسجع سجع الخطيب  
 بمنبر الغصن الرشيق القوام      لما انثنى يهفو بقدر طيب  
 يا حبيذا مبناك فخر القصور      برؤجه طالت بروج السما  
 ما مثله في سالفات العصور      ولا الذى شاد ابن ماء السما  
 كم فيه من رأى بهيج ونور      فى مرتقى الجو به قد سما  
 خليفة الله ونعم الإمام      آتخفك الدهر بصنع عجيب  
 يهنيك شمل قد غدا فى التمام      ممهدا فى ظل عيش خصيب  
 نواسم الوادى بمسك تفوح      ونفحة الندى به تعبيق  
 وبهجة السكان فيه تلوح      وجوه من نورهم يشرق  
 وروضه بالسرم منه ييوح      بلابل عن وجده تنطق  
 لو أن من يفهم عنها الكلام      فهى تهنيك هناء الأديب  
 ونهره قد سل منه الحسام      يلحظه النرجس لحظ المريب

(١) يرنو : ينظر ، والوقاح — بفتح الواو — ذو الوقاحة ، ويقال للمذكر  
 والمؤنث بلفظ واحد ، يقال : رجل وقاح ، وامرأة وقاح

فأجل الأيام عصر الشباب وأجل الإجمال يوم اللقاء  
يادرة القصر وشمس القباب وهازم الأحزاب في الملتقى  
بَشْرَكَ الرب بحسن المآب متمك الله بطول البقا  
ولا يزال القصر قصر السلام يخال في برد الشباب القشيب<sup>(١)</sup>  
يتلو عليك الدهر في كل عام (نصر من الله وفتح قريب)

وقال من الخلع في الشفاء :

في طالع اليمن والسعود قد كملت راحة الإمام  
فأشرق النور في الوجود وابتسم الزهر في الكمام  
قد طلعت راية النجاح وانهمز البؤس والعنا  
وقال حَيَّ عَلَى الفلاح مؤذنُ القوم بالمني  
فالدهر ياتي بالاقتراح مستقبلا أوجه الهنا  
تحقق منشورة البرود والسعد يقدم من أمام  
والأنس مستجمع الوفود واللاطف مستعذب الجِمام<sup>(٢)</sup>  
وأكوس الطل مترعات بأعمل السوسن الندى  
والطير مفتنة اللغات تشدو بأصوات مَعْبَدِ  
والفصن يذهب ثم ياتي بالسندس الغض مرتدى  
والدوح يوى إلى السجود شكرا لذي الأنعم الجسم  
والريح خَفَاقَةُ البنود تباكر الروض بالغمام  
مظاهر للجمال تُجَلَّى قدهز أعطافها السرور  
وباهر الحسن قد تجلَّى ما بين نورٍ وبين نورٍ

(١) القشيب : الجديد

(٢) الجمام - بكسر الجيم - جمع جم ، وهو الماء مطلقا هنا ، وأصله معظم المأم خاصة

قد هنأت بالشفاء مولى  
ما بين بأس وبين جود  
فالدين ذو أعين رقود  
والكاس في راحة السقا  
يهديكما رائق السمات  
والشمس تذهب للبيات  
والزهر في اليانع المجود  
والروض من حلية الغمود  
مولاي يا أشرف الملوك  
أهديك من جوهر السلوك  
جعلت تنظيمه سلوكي  
تحية الواحد المجيد  
عليك من راحم ودود

وقال من الرمل المجزؤ :

وجه هذا اليوم باسم  
هاتها صاح كؤسا  
وارتقب منها شموسا  
ما ترى الروض عروسا  
وأنت رسل النواسم  
قد أهلت بالبشائر  
وشذا الأزهار ناسم  
جالبات للسور  
طالعات في حُبور  
في حُلَى نَوْرٍ ونُورٍ  
تجتلى هذى النواسم  
أضحكت ثغر الأزهار

(١) مهد الأرض : ذلها وسهلها ، وحرقيقته أنه صيرها كالمهد الذي ينام فيه الطفل

(٢) السمات : جمع سمة — بكسر السين — وهي العلامة

سَنَحَتْ فِي يُمْنٍ طَائِرٍ      وَنَظَمْنَ كَالْجَوَاهِرِ (١)  
فَانْشَرَوْهَا فِي الْعَشَائِرِ      إِنْ هَذَا الصَّنْعُ بَاهِرٌ  
وَأَشْبَعُوا فِي الْعَوَالِمِ      الْغَنَى بِاللَّهِ سَالِمٌ  
أَيُّ نُورٍ يَتَوَقَّدُ      أَيُّ بَدْرِ يَقْتُلَا (٢)  
أَيُّ فَخْرٍ يَتَخَلَّدُ      أَيُّ غَيْثٍ يَتَوَالِي  
إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدٌ      رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى  
كَفَهُ بَحْرُ الْمَقَاسِمِ      وَبِهَا حَبِجُ الْمَبَاسِمِ  
خَيْرُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ      مِنْ بَنَى سَعْدٍ وَنَصْرٍ  
مَا تَرَى أَنْ الشَّوَانِي      فِي صَعِيدِ الْبَرِّ تَجْرِي  
قَدْ أَطَارَتْهَا التَّهَانِي      دُونَ بَحْرِيٍّ وَبَحْرِ  
مَذْرَأَتْ بِحَرْ النِّعَامِ      كُلُّهَا جَارٍ وَعَاطِمِ  
فَهْنِيئًا بِالشِّفَا      يَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ  
وَلَنَا حَقُّ الْمُنَا      وَجَمِيعِ الْعَمَالِينَ  
إِنْ جَهَرْنَا بِالْذُّعَا      يَنْطِقُ الدَّهْرُ أَمِينِ  
دَمَتْ مَحْرُوسُ الْمَكَارِمِ      بَطْنًا الْبَيْضُ الصَّوَارِمِ

وقال يهني السلطان موسى ابن السلطان أبي عفان ، وقد وجه إليه الغنى بالله أمه  
وعياله عند تملكه المغرب من قبله :

قَدْ نَظَّمَ الشَّمْلَ أَتَمَّ انْتِظَامِ      وَلاَحَتِ الْأَقْمَارُ بَعْدَ الْمَغِيبِ  
وَأَضْحَكَ الرُّوضُ ثُغُورَ الْغَمَامِ      عَنْ مَبْسَمِ الزَّهْرِ الْبُرُودِ الشَّنِيبِ  
عَاوَدَ الْفَصْنَ زَمَانَ الصَّبَا      وَأَشْرَبَ الْأَنْسَ جَمِيعَ النُّفُوسِ

(١) سَنَحَتْ : عرضت ، وأصله في الطائر يمر من المياسر إلى الميامن ، ويقال له

حينئذ «سنيح» و «سائح»

(٢) يَتَلَا : أصله يَتَلَا — بهزتين — إلا أنه لما أراد إقامة القافية سهل

الهمزتين بقلب كل واحدة منهما ألفا

وعم النورُ رؤسَ الرُّبَا  
 وأطرب الغصن نسيم الصبا  
 واستقبل البدر ليالى التمام  
 وراجع الأطيار سجع الحمام  
 نواسم الوادى بمسك تفوح  
 وبهجة السكان فيه تلوح  
 وعرفه بالطيب منه يفوح  
 والنهر قد سل كمثل الحسام  
 وثره قد راق منه ابتسام  
 كواكب أبراجهن الخدور  
 جواهر أصدافهن القصور  
 يا حبذا والله ركب السرور  
 ابتهج الكون بموسى الإمام  
 وعادة يخدم مثل الغلام  
 أكرم به والله وفد الكريم  
 مرضاتها تحظى بدار النعيم  
 بشره النصر وفتح جسيم  
 لقاءها المبرور مسك الختام  
 وقصرك الميمون قصر السلام  
 مولاي يهنيك وحق الهنا  
 وجلل النور وجوه الشمس  
 فالدوح للشكر تحط الرؤس  
 وصافح الصبح بكف خضيب  
 بكل ذى لحن بديع غريب  
 ونفحة الندبه تعبق  
 وجوه من نوره يشرق  
 كأنه من عنبر يفتق  
 حبابه تطفو وطورا تغيب  
 يُهَيِّئُ الْحَبَّ بِقَرَبِ الْحَبِيبِ  
 يلوح منها كل بدر لياح<sup>(١)</sup>  
 نظمها السعد كنظم الوشاح  
 يبشر المولى بنيل اقتراح  
 واختال في برد الشباب القشيب  
 شبابه قد عاد بعد المشيب  
 مولى سنا الحرة فى مقدمه  
 وتوجب التوفيق من منعمه  
 وخيره أجمع فى مقدّمه  
 بشرك الله بصنع عجيب  
 خط يحفظ من سميع مجيب  
 قد نظم الشمل كنظم السعود

(١) الأبراج : جمع برج — بالضم — واحد بروج السماء ، ويجمع البرج أيضا  
 على بروج وأبرجة ، واللياح — بفتح اللام بزنة السحاب — الأبيض من كل شيء  
 وقال الشاعر :

\* يضىء كالقمر اللياح \*

قد فزت بألفخر ونيل المنى      وأنجز السعدُ جميعَ الوعود  
وقرت العين وزال العنا      وكلما مر صنيع يعود  
ولا يزل ملسكك حِلَفَ الدوام      يحوِّز في التخليد أوفى نصيب  
يتلو عليك الدهر بعد السلام      ( نصر من الله وفتح قريب )

وقال رحمه الله تعالى في وصف غرناطة والطرود وغيرها :

لله ما أبجلَ رَوْضَ الشباب      من قبل أن يفتح زهر المشيب  
في عهده أدرت كأس الرُّضَابِ      حبابها الدر بثمر الحبيب<sup>(١)</sup>  
من كل من يجبل بدر التمام      إذا تبدَّى وجهه للعيون  
ويفضح الغصن بلين القوام      وأين منه لين قدَّ الغصون  
ولحظه يمضى مَضَاءَ الحسام      ويذهل العقل بسحر الجفون  
أبصرت منه إذ يحيط النُّقَابُ      شمسا ولكن مالها من مغيب<sup>(٢)</sup>  
إذا تجملت بعد طول ارتقاب      صرَفْتُ عنها اللحظ خوف الرقيب  
مَنْ عاذرى منه فؤادا صبا      للامِيعِ البرق وخَفَقِ الرياح  
يطير إن هب نسيم الصبا      تعيره الريح خفوق الرياح  
ما أولع الصب بعهد الصبا      وهل على مَنْ قد صَبَّأ من جُنَاخِ  
فقلبه من شوقه في التهاب      قد أحرق الأكبَاد منه الوجيب  
والجفن منه سحبه في انسكاب      قد روض الخلد بدَمْعٍ سكيب  
غرناطة ربع الهوى والمنى      وقُرْبُهَا السؤل ونيل الوطر  
وطيها بالوصل لو أمكننا      لم أقطع الليل بطول السهر  
عما قريب حق فيها الهنا      ييمن ذى العودة بعد السفر

(١) الرضاب — بضم الراء = بزنة الغراب — ماء الفم ( الريق )

(٢) النقاب — بكسر النون ، بزنة السكتاب — ما تغطي به المرأة وجهها

ويحمد الناس نجاح الإياب      بكل صنع مستجد غريب  
ويكتب القال على كل باب      ( نصر من الله وفتح قريب )  
ما لذة الأملاك إلا القنص      لأنه القال بصيد العدا  
كم شارد جرّع فيه الغصص      وأورد الحروب وزد الردى  
وكم بدّ الفحص لثامن حصص      قد جمع البأس بها والندى  
ومنها بعد أبيات من الوزن والروى :

مولاي مولاي، وأنت الذي      جددت للأملاك عهد الجلال<sup>(١)</sup>  
والشمس والبدر من العوذ      لما رأيت منك بديع الجلال  
والروض في نعمته يغتدى      بطيب ما قد حُزته من خلال  
بشراك بشراك بحسن المآب      تستضحك الروض بثغر شذيب<sup>(٢)</sup>  
ودمت محروس العلا والجناب      بعصمة الله السميع الجيب

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرّك من كتاب ابن الأحرر، رحمه الله تعالى !  
وقد عرفت منه ما تسنى للغنى بالله بن الأحرر من الفتوحات والسعود ونفاذ الأمر  
على ملوك المغرب ، فهو الأحق بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى :

ملك إذا عاينت منه جبينه      فارقته والنور فوق جبينى  
وإذا لثمت يمينه وخرجت من      أبوابه لثمّ الملوك يمينى

وكان الغنى بالله المذكور معتقداً فى الصالحين ، حتى إنه كتب وهو بفاس مخلوعاً  
إلى ضريح ولى الله سيدى أبى العباس السبتي بمراكش ، ومن إنشاء وزيره  
لسان الدين على لسانه :

\* يا ولى الإله أنت مطاع \*

(١) الأملاك : جمع ملك ، بكسر اللام .

(٢) ثغر شذيب ، وأشب : فم عذب بارد الريق صافى الأسنان براقها

الآيات والنثر بعدها ، وقد ذكرتهما في الباب الخامس فراجعهُ ، وكان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه ، ونظَّم تلك الأماكن في سلكه ، حتى حصل له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبا يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زمرك وغيرهما .

والسبقي المذكور : هو سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر ، السبقي ، الخزرجي ، الولي الصالح العالم العارف بالله ، القطب ، ذو الكرامات الشهيرة ، والمناقب (١) الكثيرة ، والأحوال الباهرة ، والفضائل الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراکش ، وبها توفي سنة إحدى وستمائة ، وولادته بسبته عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، ودفن خارج مراکش ، وقبره مشهور مقصود بإجابة الدعاء ، وقد زرتة مرارا كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس ملايوسف ، وهو ترياق (٢) مجرب . قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى : كان سيدي أبو العباس السبقي - رضي الله تعالى عنه - مقصودا في حياته ، مستغاثا به في الأزمات ، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ، ومبني أمره على انفعال العالم عن الوجود ، وكونه حكمة في تأثير الوجود (٣) ، له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ، ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربيته ، وتشبث ببلحده ، وانسحب على مكانه عادة حياته ، ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى ، وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى ، وانقطاع الأماكن القصص ، تحملهم أجنحة نياتهم قتهوى إليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة . وقال ابن الزيات : كان أبو العباس قد أعطى بسطة في اللسان ، وقدرة على الكلام ، لا يناظره أحد إلا أحمه ، ولا يسأله إلا أجابه ، كأن القرآن والحجج

ترجمة  
أبي العباس  
أحمد بن جعفر  
السبقي ،  
الخزرجي

(١) المناقب : المحامد ، واحدها منقبة ، وكثرت في لسان المتصوفة بمعنى الكرامات

(٢) الترياق - بكسر التاء وسكون الراء - أصله دواء السموم

(٣) في نسخة عند ب « وكونه مبدءا للوجود »

على طَرَفِ لسانه حاضرة ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويسحر العامة والخاصة ببيانه ، يأتيه المنكرون للانكار فما ينصرفون إلا مُسَلِّمين<sup>(١)</sup> منقادين ، وشأنه كله عجيب ، وهو من عجائب الزمان .

وحدثني مشايخنا أنهم سمعوه يقول : أنا القطب .

وحدثني أبو الحسن الصنهاجى من خواص خدامه قال : خرجت معه مرة لصهر يج غابة الرمان يوم عرفة ، فجلسنا هناك وصلينا ، فقال لى : إنما سعى هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعترف إليه بالطاعات ، وقد فاتنا عرفة ، فتعال نمثل بهذا المكان ونعمل كما يعملون<sup>(٢)</sup> ، لعل الله تعالى يتغمدنا برحمته معهم ، فعمل مكانا دائرا بعين الكعبة وحل عنصر الماء الحجر ، وموضعا آخر مقام إبراهيم ، فطاف بالعين أسبوعا وأنا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر فى كل طواف ، وصلى قَبْلَ المقام ركعتين تامتين ، وأطال فى سجود الثانية ، ثم استند إلى الشجرة ثم قال لى : يا على ، اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى ، فإن الله تعالى وعد فى هذا اليوم من تعترف له أن يقضى حوائجه ، فقلت له : ما أريد إلا التوفيق ، فقال لى : ما خرجت معك من باب المدينة حتى وفقت ، فسألته عن حاله من بدايته إلى نهايته ، وبم تفعل له الأشياء ويستجاب له الدعاء ؟ ولم صار يأمر بالصدقة والإيثار مَنْ شكا إليه حالا أو تعذر عليه مطلب فى هذه الدار ؟ فقال لى : ما أمر الناس إلا بمن ينتفعون به ، وإني لما قرأت القرآن وقعدت بين يدى الشيخ أبى عبد الله الفخار تلميذ القاضى عياض ونظرت فى كتب الأحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) فتدبرته وقلت : أنا مطلوب ، فلم أزل

(١) سلم له الأمر — بتشديد اللام — ترك الخلاف وأذعن لما يراه

(٢) هذا العمل مكروه ، بل قال جماعة من علماء الحنفية : هو مكروه تحريما ،

لأن الوقوف والطواف عهد كل منهما قربة فى مكان بعينه ، فلا يجوز فعله فى غيره ، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ولا واحد من أصحابه ، وما نقل عن ابن عباس أنه فعل ذلك بالبصرة محمول على أنه خرج للاستسقاء ونحوه لا للتشبه بأهل عرفات.

أبحث عنها إلى أن وقفت على أنها نزلت حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة ، فأمرهم بالمُشاطرة<sup>(١)</sup> ، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى حديث «تفترق أمتي على ثلاثين فرقة»<sup>(٢)</sup> — الحديث « وأنه صلى الله عليه وسلم قاله صبيحة اليوم الذي آخى فيه بين المهاجرين والأنصار ، وذكر له الأنصار أنهم شاطروا المهاجرين ، فقال لهم ذلك بآثره ، فعلمت أن الذي هو عليه وأصحابه المشاطرة والإيثار ، فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتيني شيء إلا شاطرت فيه الفقراء ، فعلمت عليه عشرين سنة ، فأتمر لي الحكم بالخطار ، فلا أحكم على خاطري بشيء إلا صدق ، فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل ، والإحسان ما زاد عليه ، فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتيني قليل ولا كثير إلا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى ، فعلمت عليه عشرين سنة ، فأتمر لي الحكم في الخلق بالولاية والعزل فأولى من شئت ، وأعزل من شئت ، ثم نظرت بعد ذلك في أول ما فرضه الله تعالى على عباده في مقام الإحسان ، فوجدت شكر النعمة ، بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ، ووجدت أصناف من تصرف إليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة أصناف أخر أصرفها فيها للإحسان والزيادة ، وذلك أن لنفسك عليك حقاً ، وللزوجة حقاً ، وللرحم حقاً ، ولليتيم حقاً ، وللضيف حقاً ، وذكر صنفين آخرين ، فانتقلت لهذه الدرجة ، وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتيني أمسك سبعيه حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة أسباع المستحقين ، فأقت عليه أربعة عشر عاماً ، فأتمر لي الحكم في السماء ، فمضى قلت « يا رب » قال لي : لبيك ، ثم قال لي : إنها نهايتي بتمام عمري ،

(١) المشاطرة ، هنا : أن تعطى شطر مالك : أي نصفه

(٢) كذا ، والمحفوظ « على ثلاث وسبعين فرقة »

وهو أن تنقضى لى ستة أعوام تكملة العشرين عاما .

قال الصنهاجى : فأرخت ذلك اليوم ، فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب ، وحققت العدد ، فنقصت من ستة أعوام ثلاثة أيام خاصة ، فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو بكر بن مساعد : جاء بعض السلاطين إلى أبى العباس وهو راكب ، وقال له : إلى متى تحبرنا ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له : هو الإحسان ، فقال له : بين لى ، فقال له : كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبده . وقال له أبو الحسن الخباز : أما ترى ما فيه الناس من القحط<sup>(١)</sup> والعلاء ؟ فقال : إنما حُبِسَ المطر لِيُخْلِمَهُمْ ، فلو تصدقوا لَمْ يَطْرُوا ، فقل لأصحابك الفلاحين : تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا ، فقال له : لا يصدقنى أحد ، ولكن مُرْنِى فى خاصة نفسى ، فقال له : تصدق بمثل ما أنفقت ، فقال له : إن الله تعالى لا يُعَامَلُ بِالَّذِينَ ، ولكن أَسْتَسْلِفْ ، فاحتال وتصدق بها كما أمره ، قال : فخرجت إلى البحيرة التى عمرتها والشمس شديدة الحر ، فأيست من المطر ، ورأيت جميع ما غرست مشرفا على الهلاك<sup>(٢)</sup> ، فأقمت ساعة فإذا سحابة أمطرت البحيرة حتى رويت ، وظننت أن الدنيا كلها مطرت ، فخرجت فإذا المطر لم يتجاوزها ، انتهى .

والحكايات عنه فى مثل ذلك كثيرة .

وقال ابن الخطيب القسطنطينى فى رحلته : حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبى العباس أحمد بن عاشر بمدينة سَلَا ، وقد سأله بعضُ الفقراء عن كرامة الأولياء ، فقال له : لا تنقطع بالموت الكرامة ، انظر إلى السبى ، يشير إلى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبى العباس السبى المدفون بمراكش ، وما ظهر عند قبره من

(١) القحط — بالفتح — الجذب

(٢) أشرف على الهلاك : قرب منه ودنا

البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات ، سمعت يهوديا جريا كاش يلجأ لذكره وينادي باسمه في أمر أصابه مع المسلمين ، فسألته عن سببه ، فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن ، فسألته عما بدا له في وقت ، فقال لي : وحق ما أنزل على موسى ابن عمران ما أذكر لك إلا ما اتفق لي ، سَرَيْتُ ليلة مع قافلة في مفازة<sup>(١)</sup> ، فمررت دابتي ، فما شككت في قتل وسلب مالي ، فجلست وبكيت ، وبينى وبين الناس بعد ، وقلت : يا سيدي أبا العباس خاطرك ، قال لي : والله ما أتممت الكلام إلا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به ، وضربت دابتي ، وخف عرجها ، ثم زال ، واتصلت بالناس ، فقلت له : ولم لا تُسَلِّم ؟ فقال : حتى يريد الله تعالى ، وعجبت من كون ذلك ليهودي ، وهذه شهادة من عدو في الدين .

ولقد وقفت على قبره مرات ، وسألت الله تعالى في أشياء يَسَّرُ لي فيها سؤلي : منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصفُ به ، وأن ييسر علي فهم كتب عينتها ، فيسر الله تعالى على ذلك في أقرب مدة .

وكان السبقي آية في أحواله ، ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس ، وكان أصل مذهبه الحز<sup>(٢)</sup> على الصدقة ، وكان أمره محببا في إجابة الدعاء بزول المطر ، واختصاصه بمكان دون آخر ، وقال لأصحابه : أنا القطب ، وكان تفقه على أبي عبد الله الفخار ، ووقفت على قبره ، وله بركات وأنوار .

وكان السبقي آية في المناظرة ، وأوذى باللسان كثيراً جداً فصصح وتجاوز . ورأى عبد الرحمن بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له : يا رسول الله ، ما تقول في السبقي ؟ قال : وكنت سييء الاعتقاد فيه ، فقال لي بعد أن تبسم : هو من الشُّبَّاق ، قال : فقلت بين لي يا رسول الله ، فقال : هو

(١) سريت : سرت ليلا ، والمفازة : الصحراء .

(٢) الحز على الصدقة : الحث عليها وتزيين فعلها للناس .

من يمر على الصراط كالبرق ، قال : فخرجت بعد الصبح ، فلقيني أبو العباس ، فقال لى : ما رأيت وما سمعت ؟ والله لا تركتك حتى تعرفنى ، فعرفته ، فصاح : كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، انتهى ببعض اختصار .

وقال ابن الزيات : وحدثني أبو العباس الصنهاجى وغيره أن رجلا يعرف بابن السكاك ، وكان غنيا فدار عليه الزمان وافتقر ، حدث أنه وصل لأبى العباس السبتي ، وعليه ثوب خَلَقٌ<sup>(١)</sup> تظهر منه عورته ، فشكا إليه حالته ، فأخذ بيده إلى أن خرج معه من باب تاغزوت ، فجاء إلى مطهرة هنالك ، قال : فدخل أبو العباس المطهرة وتجرد من أثوابه ونادانى ، وقال لى : خذ هذه الثياب ، فأخذتها ، وكان بعد العصر ، فأردت أن أرى ما يكون من أمره ، فصعدت إلى حائط هناك إلى قرب المغرب ، فإذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب ، فلما رأيته نزلت إليه ، فقال لى : أين الفقيه أبو العباس ؟ فقلت : ها هو فى الساقية غُرَيَّان ، فقال لى : أمسك الدابة ، فسمعت الفقيه يقول له : أين تلك الثياب ؟ فأخذها منه ، وخرج ، فلما رآنى قال لى : ومالك هنا ؟ قلت : يا سيدى خفت عليك ، فلم أقدر على الانصراف وأتركك ، فقال لى : أفترى الذى فعلت ما فعلت له يتركنى ؟ ثم سألت الفتى عن سبب وصوله إليه ، فذكر له أن إحدى الكرائم أمرته أن يحمل إليه تلك الثياب ، وقالت له : لا تدفعها إلا للفقيه ، ولا يلبسها إلا هو ، وهذه قصة صحيحة مشهورة .

وقال ابن الخطيب : وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراکش غير حافلة البناء ، ربما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعد الأقدار ، وزرتها ، فرأيت فى داخلها أشياخا من أهل التبغف والتصوف يسارقون خفية الناظر إلى مساقط

(١) ثوب خلق — يفتح الحاء واللام جميعا — وثوب أخلاق : رث قديم مهلهل

رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها ، فيقتحم <sup>(١)</sup> ذو الحاجة بابها خالماً غله مستحضراً نيته ويقعد بإزاء القبر ويخاطبه بحاجته ، ويعين بين يدي النجوى <sup>(٢)</sup> صدقة على قبره ، ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ، ومن عجز عن التقدين تصدق بالطعام ونحوه ، فإذا خف الزائرون آخر النهار عمد القائم إلى التربة إلى ما أودع هناك في تلك الأواني وفرقه على الحاويج الحافين بالروضة ، ويحسون كل عشية ، ويعمهم الرزق المودع فيها ، وإن قصر عنهم كملوه في غده .

قال ابن الخطيب لسان الدين : وترافع خدام الروضة لقاضي البلد ، وتخاصموا في أمر ذاك الرزق المودع هناك ، فسألهم القاضي عن خروجه اليوم ، فقالوا : يحصل في هذه الأيام في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهباً عينا ، وربما وصل في بعض الأيام لألف دينار فما فوقها ، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالقبر يفيض ، واللجين يسيل ، وذوو الحاجات كالطير تغدو خاصاً وترجع بطاناً ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقال : وأنا ممن جرب المنقول عن القبر ، فاطرّد القياس ، وتزيفت الشبهة ، وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركته ، وشهد على برهان دعوته ، انتهى . وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلي في كتابه « التشوّف » ، إلى رجال التصوّف « : كان أبو العباس جميل الصورة ، أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، مقتدراً على الكلام ، حلماً ، صبوراً ، ينجس إلى من يؤذيه ، ويحلم على من يسفه عليه ، رحماً عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ، ويحض على الصدقة ، ويذكر في فضلها آيات وأحاديث ، ويأخذها ويفرقها على المساكين ، ويرد أصول الشرع إلى

(١) اقتحم المنزل : هجمه ودخله ، وفي ب « فيقتحم ذوا الحاجة »

(٢) النجوى : المسارة ، وأصل هذا قوله تعالى : ( إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) والعلماء على أن هذه الآية نسخ حكمها قبل أن يعمل بها

الصدقة ، ويفسرها بها ، ويقول : معنى قول المصلى «الله أكبر» أى : من أن نضن عليه<sup>(١)</sup> بشيء ، فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا فى نفسه أكبر لم يُحَرِّمْ<sup>(٢)</sup> ولا كَبَّرَ ، ومعنى رفع اليدين للتكبير : تخلّيت من كل شيء لا قليلاً ولا كثيراً . وهكذا يتكلم بنحو هذا فى جميع العبادات ، ويقول : سرُّ الصوم أن تجوع ، فإذا جعت تذكرت الجائع ، وما يقاسيه من نار الجوع ، فتصدق عليه ، فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم ، إلى غير ذلك من كلامه فى مثل هذا .

وكان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ، ويقول له : تصدق ، ويتفكك ما تريده ، وأخبره فى ذلك كثيرة عجبية .

قال التادلى : وحدثني ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه أنه قال : كان ابتداء أمرى وأنا صغير أنى سمعت كلام الناس فى التوكل ، ففكرت فى دقيقه ، فرأيت أنه لا يصح إلا بترك شيء ، ولم يكن عندى منه ، فتركت الأسباب ، واطرحت العلائق ، ولم تتعلق نفسى بمخلوق ، فخرجت سائحاً متوكلاً ، وسرت نهارى كله ، فأجهدنى<sup>(٣)</sup> الجوع والتعب ، وقد نشأت فى رفاهية<sup>(٤)</sup> العيش ، ومامشيت قط على قدمى ، فبلغت قرية فيها مسجد ، فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء ، وخرج الناس ، فممت لأصلى ، فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشى ، فصليت ركعتين ، وجلست أقرأ القرآن إلى أن مضى جزء من الليل ، فإذا قارع يقرع الباب بعنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له : هل رأيت بقرتى ؟ فقال : لا ، فقال : إنها ضلت ، وقد أكثر عجزها من الحنين فطلبها فلم يجدها فى القرية ، فقال أحدهم : لعلها فى المسجد وقت العتمة ، ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدونى ، فقال صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئاً ، فذهب وجاءنى

(١) نضن عليه : نبخل (٢) لم يحرم : لم يدخل فى الصلاة

(٣) أجهدنى : أتعبنى (٤) الرفاهية : السعة والنعومة

بكسرة خبز وقذح ابن ، ثم ذهب ليأتيني بالماء فوجد بقرته في داخل الدار ، فخرج لجيرانه وقال لهم : ما زالت <sup>(١)</sup> البقرة من الدار ، وما كان خروجي إلا لهذا الفتى الجائع في المسجد ، ثم رغبت أن أمشي معه لمنزله ، فأبيت

وكان في أول أمره يسكن في الفندق ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الأجرة على ذلك ، وينفقها على طلبة العلم الغرباء ، ويمشي في الأسواق ، ويذكر الناس ، ويضربهم على ترك الصلاة ، ويأتي بالطعام على رأسه

وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة ، فإذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق ، فقام إليهم القيم بخدمته ، فقالوا له : ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل ؟ ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملونا إذا طلع الفجر للقصر ، فجاء القيم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم ، وأيقنا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس في الضحك ولا يبالي ، ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا : لا خوف عليكم ، قد استوهبتكم من الله تعالى ، وهذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان إن شاء الله تعالى ، فقليل له : الجزاء عندك على الأفعال من الخير والشر ، وهما لم يفعلوا ما يوجب قتلهما ، بل جزاؤهما <sup>(٢)</sup> يروعان ، فقال : العلماء ورثة الأنبياء ، وترويعكم عظيم لا يقابله منكم إلا القتل ، فما زلنا نعارضه في ذلك حتى قال : عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط ، ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الأعظم ، فوجد تابوته مفتوحا ، ورأى الحرسيين على قرب ، فلم يشك أنها حلاه ، فحملا إلى رحبة القصر قبل طلوع الفجر ، فقال لنا أبو العباس : احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكما ، فتبعناهما ، وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط .

(١) زالت ، هنا : تحولت

(٢) يروعان : ينزل بهما الروح وهو الخوف

وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى .

وكان يقول : أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان ، وأصل الشر فيهما البخل ، قال الله تعالى ( فأما من أعطى - الآية ) وقال عن إبليس ( ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم - الآية ) وقال ( ومنهم من عاهد الله - الآية ) وقال ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة <sup>(١)</sup> ) وقال ( إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ) وقال ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ) وقال ( ليس البر أن تولوا وجوهكم ) وقال ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الآية ) فهذه الأمانة هي الرزق ، فأعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر ، والأرض ما فيها من الماء النازل من الجبال ، والجبال ما فيها كذلك ، وأنبئت الأرض وأبت إمساكها ، فحزن الإنسان جميعها عنده ومنع المساكين إنه كان ظلوما جهولا ، وفي الحديث « هم الأفلون ورب السكبة ، إلا من قال هكذا وهكذا - الحديث » ولما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل ، فقال ( ربنا إنك آتيت فرعون - إلى قوله : دعوتكما ) وكان رضى الله عنه في آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية ( أفرايت الذى تولى ، إلى قوله : سوف يرى ) وكان يقول : من قال إن الله تعالى لا يجازى على الصدقات فقد وافق اليهود في القرية <sup>(٢)</sup> على تعالى لأشهم قالوا ( يد الله مغلوله ، غلت أيديهم ) أى لا يجازى على الصدقات ، قال الله تعالى ( غلت أيديهم - إلى آخره ) أى يجازى على العطاء كيف شاء ، وكان يقول في قوله تعالى ( والذين يكتزون الذهب والفضة - الآية ) : إنما كُوِّيت هذه المواضع لأن الغنى يُعرض عن المسكين بوجهه ، ثم يجنبه ، ثم بظهره ، فعوقبت هذه المواضع بالسكى بالنار لإعراضه عن الفقير ، ومنازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة ، انتهى ملخصا .

(١) الخصاصة - بفتح الخاء - الحاجة

(٢) القرية - بكسر القاء وسكون الراء - السكند

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يعمر أنه دخل حجة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي إلى الأمير السيد أبي سعيد عثمان يعبده ، فقال له : أدعُ الله تعالى لي أيها الشيخ ، فقال له : أرجع إلى الله تعالى حق الرجوع بحيث تتحقق أنه المُرِضُ والمعافى ، وأخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لأبناء الجنس ، لتكون ممن وُقِيَ شح نفسه <sup>(١)</sup> ، فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ، ثم التفت إلى الحاضرين وقال : في المرض فوائد لا ينبغي أن تُجهل : الأولى معرفة قدر العافية <sup>(٢)</sup> ، الثانية تمحيص بعض الذنوب ، الثالثة توقع الثواب ، الرابعة تنقية الجسم من فضول الأخلاط ، الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع إليه ، السادسة حدوث الرقة والشفقة ، السابعة - وهي العظمى - الصدقة والخروج عن رذيلة البخل ، انتهى .

وحدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبي بكر بن منظور عن بعض أعيان مراکش أنه توفي وأوصى ابنه أنه كان من أهل البطالة أن يعتمد إلى ألف دينار من متخلفه ، فبذلها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي ، ففعل ، وقال للشيخ : إن أبي توفي وأوصاني أن أدفع إليك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت ، فقال له الشيخ : قد قبلتها وصرقتها إليك ، فقال له : يا سيدي ، وما تأمرني أن أفعل بها ؟ قال : خذها ، قال : فأنصرفت من عنده وسؤت ظنا بقوله ، ثم قلت : وأنا أنفق مثل ذلك على عادتي في الوجه الذي يلذ لي ، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها ، فأخذتها في محفظة ، وخرجت ألتبس الزنى ، فإذا امرأة على دابة وغلّام يقودها ، فأشرت إلى الغلام ، فقال لي : نعم ، واتبعني إلى بستان لي ، فنزلت المرأة ، فأدخلتها إلى قبة كانت في البستان ، وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية ، وقال : أغلق الباب ، ففعلت ، ثم أقبلت إلى القبة فإذا المرأة تبكي بكاء شديدا حتى طال

(١) هذا من قوله تعالى : ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )

(٢) من هذا قولهم : الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يقدّره إلا المرضى

بكاؤها ، وبكيت لبكائها ، فقلت لها : ما شأنك ؟ فقالت : افعلى ما دعوتنى لأجله ، ودع عنك هذا ، ونحيبها<sup>(١)</sup> يزيد ، فقلت لها : إن المعنى الذى دعوتك لأجله لا يصلح مع البكاء ، بل مع الأنس وانسراح الصدر وزوال الانقباض ورفع الخجل ، فقالت : نترك البكاء ونرجع للأنس على ما تحب ويوفى غرضك ، فقلت : لا ، حتى أعلم سبب بكائك ، وألححت عليها ، فقالت : أتعرف حاجب الملك الذى سجنه ؟ قلت : نعم . قالت : فأنا ابنته ، ولم يبق له أحد غيرى ، وقد سجنه الملك وأخذ أمواله ، فما زلت أبيع ما ترك أبى وأنفقه عليه ، حتى لم يبق بيدي شىء ، فلما أعتقنى الحيلة فيما أنفقه ألبأت نفسى ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لى أحد وجهها قط ، فرميت لها بالألف دينار وقلت لها : والله لا قربت منك على هذا الوجه أبداً ، فأنفقى الدنانير على والدك إلى أن تنفد ، وابعث لى غلامك أعلمه بمنزلى ، ولازى دارك ، واستمرى على صيانتك وإلا فضحتك ، وترينى والله لا أزال أبيع أملاكى وأنفقه على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ، ثم خرجت أتمس الغلام وإذا بجماعة يطلبون البنت ، وقالوا : إن الملك رضى عن والدها ، ورد عليه ضياعه وأملاكه ، ووصله بعشرة آلاف دينار ، وقعد يلتمس بنته فلم توجد ، فسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة ، وظن أن الأمر على ما جرى بينى وبين البنت ، فبادرته وقلت له : لا عليك ، فتجاهل فى خبرها حتى ينصرفوا ، ودخلت إلى البنت وقلت لها : إن الملك قد رضى عن والدك ، ورد عليه ماله ، ووصله ، فسيرى إلى دارك ، فركبت دابتها وانصرفت ، فدخلت على والدها فقال لها : أين كنت ؟ وما الذى أخرجك عن دارك ؟ وهم بها ، فقالت له : أخرج عنى كل من فى الدار ، فآخبرته أمرها مع الشاب من أوله إلى آخره ، ورمت إليه بالألف دينار ،

وقالت له : هذا الذى أعطانى لأنفق عليك ، فقال أبوها : هذا والله هو الكبريت الأحمر ، والله لو كان أبوه كنفاً<sup>(١)</sup> ما أنفت أن أزوجك منه ، فوجه العبد الذى كان معها إلى الشاب ، وقال له : إن سيدى يدعوك ، قال : لحقت أن يوضع عنده الأمر على غير وجهه ، ثم أقدمت إقدام مَنْ علم براءة نفسه ، فدخلت عليه ، فقام إلى وعانقتى ، وقد عرف لى مقامى ، وقال : أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرت بك عينى ، وقال : والله لو كان أبوك كنفاً<sup>(٢)</sup> ما أنفت لبتى أن أزوجك منها ، فما قام من المجلس حتى وجه إلى العدول وأشهد على نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ، وتقدّها عنه الشطر الأول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك وأجلّ لها عنه الشطر الثانى ، وأهدى لها من الحلى كذا وكذا ، ومن الثياب كذا وكذا ، حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقاها على ذلك ، فحصل من إشارة الشيخ السبتى - رضى الله عنه ! - فى تلك الألف دينار على أضعاف مضاعفة من الأموال ، وظفر بينت حاجب الملك ، انتهى .

رجع إلى ابن زمرك رحمه الله تعالى .

رجع إلى  
ترجمة ابن  
زمرك

قال الشاطبى فى الإشارات والإفادات ما صورته : إفادة - أفادنى صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك إثر إيباه إلى وطنه من رحلة المدوّة فى علم البيان فوائده أذكر منها الآن ثلاثة : الفقه فى اللغة ، وهو النظر فى مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب ، ومن مثل هذا الوجه «قرم» و«عام» إذا اشتغى ، لكن لا يستعمل «قرم» إلا مع اللحم<sup>(٢)</sup> ، ولا يستعمل «عام» إلا مع اللبن<sup>(٣)</sup> ، فتقول : عمت إلى اللبن ، وكذلك قولهم : أصفر قاع ، وأحمر قان ، ولا يقال بالعكس ، وهذا كثير . والثانية تحرى الألفاظ البعيدة عن طرفى الغرابة والابتذال ، فلا يستدل بالحوشى من

(١) كنف : عمله فى الكنف ، وهى المراحض

(٢) قرم الرجل - من باب طرب - اشتدت شهوته إلى اللحم

(٣) عام الرجل يعيم - من باب ضرب - إذا كانت به شهوة إلى اللبن

اللغات ولا المبتذل في ألسن العامة . والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه ؛ إذ المقصود الوصول في بيان المعنى إلى أقصاه ، والإتيان بما يحصله سريعاً ويمكنه في الذهن ، وتجرى كل صيغة تمكن المعنى وتعرض السامع على الاستماع ، وأخبرني أن كتاب المغرب يحافظون في شعرهم وكتاباتهم على طريقة العرب ، ويذمّون ما عداها من طريقة المولدين ، وأنها خارجة عن الفصاحة ، وهذه المعاني الثلاثة لا توجد إلا فيها .

وذكر من شرح بديعية الحلي من المغاربة وهو الشيخ النحوي عبيد الله في شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبي عبد الله المعروف بابن زمرك الأندلسي مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الأندلس ، وهو قوله :

ولو أنشدت بين العذيب وبارق      لقال رواة الغرب يا حبذا الشرق  
ولم يظهر لي كل الظهور دلالاته لي على حسن الختام ، ولا بد ، فآله سبحانه أعلم .  
وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه :

موشحة  
لابن زمرك في  
مدح الرسول

لو ترجع الأيام بعد الذهاب	لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليلى الشباب	يوقظه الدهر بصبح المشيب
يا راكب العجز ألا نهضة	قد ضيق الدهر عليك المجال
لا تحسبن أن الصبا روضة	تنام فيها تحت فيء الظلال
فالعيش نوم والردى يقظة	والمرء ما بينهما كالخيال <sup>(١)</sup>
والعمر قد مر كمر السحاب	والملقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بفتح السراب	تحسبه ماء ولا تستريب <sup>(٢)</sup>

(١) هذان قولهم : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

(٢) السراب : ما تراه في الصحارى كأنه ماء وليس بماء

والله ما الكون بما قد حوى      إلا ظلال توهم الغافلا  
 وعادة الظل إذا ما استوى      تبصره منتقلا زائلا  
 إنا إلى الله عبيد الهوى      لم نعرف الحق ولا الباطلا  
 فكل من يرجو سوى الله خاب      وإنا الفوز لعبد منيب<sup>(١)</sup>  
 يستقبل الرجعى بصدق المقاب      ويرقب الله الشهيد الرقيب  
 يا حسرة! مر الصبا وانقضى      وأقبل الشيب يقص الأثر  
 وأخجلتا والرحل قد قوَّضاً      وما بقي في الخبر غير الخبر<sup>(٢)</sup>  
 وليقتى لو كنت فيما مضى      أدخر الزاد لطول السفر  
 قد حان من ركب التصابي إياب      ورائد الرشدا أطل المغيب  
 يا أكمة القلب بتين الحجاب      كم ذا أناديك فلا تستجيب  
 هل يحمل الزاد لدار الكريم      والمصطفى الهادي شفيع مطاع  
 فجاهاه ذخر الفقير العديم      وحببه زادي ونعم المتاع  
 والله سماء الرؤف الرحيم      فجاره المكفول ما إن يضاع  
 عسى شفيع الناس يوم الحساب      وملجأ الخلق لرفع الكروب  
 يلحقني منه قبول مجاب      يشفع لي في موبقات الذنوب  
 يا مصطفى والخلق رهن العدم      والكون لم يفتق كأم الوجود  
 مزية أعطيتها في القدم      بها على كل نبي تسود  
 مولدك المرقوم لمـانـجم      أنجز للأمة وعد السعود  
 ناديت لو يسمح لي بالجواب      شهر ربيع يا ربيع القلوب  
 أطلعت للهدى بغير احتجاب      شمسا، ولكن ما لها من غروب

(١) منيب . راجع إلى ربه تائب من ذنبه

(٢) قوضت الرحل : هدمته ، وذلك عندما أريد ألا تنقال

ابن المهنا  
الطيب

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى ، الطيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا :  
وشرحه عليها من أبداع الشروح ، وقد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا ، واعتمد  
عليه في أمور الطب ، وقد طال عهدي به الآن ، وهو من الكتبة المشهورة  
بالمغرب ، ولم أره بهذه الديار الشرقية .

أبو بكر بن  
جزى الكلبي

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : الأديب الكاتب العالم العلامة  
القاضي أبو بكر بن جزى الكلبي ، وأبوه الشيخ أبو القاسم بن جزى شيخ  
لسان الدين ، وبيت بني جزى بيت كبير مشهور بالمغرب والأندلس ، وقد عرفنا  
فيما سبق بالشيخ أبي القاسم وابنيه العلامتين <sup>(١)</sup> الناظرين الناثرين الكاتب أبي عبد الله  
محمد والقاضي أبي بكر المذكور ، فليراجع في الباب الثالث .

ورأيت بخط بعض علماء المغرب أن أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين  
ابن الخطيب - رحمه الله تعالى ! - جميع تواليقه مع أنه مقاربه في السن ، ولكن  
الإنصاف في ذلك الزمان غير معدوم ، وقد عرف به لسان الدين في « الإحاطة »  
والذي فهمت من عبارته في الإحاطة أنه إن عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا إلا على  
تلامذته ، وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه ، رحمه الله تعالى !  
وأثقت تاريخ أهل المغرب والأندلس ، رحم الله تعالى الجميع ! .

أبو عبد الله  
الشريشي

ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى : مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن  
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشي ، وهو الذي تولى أولا  
نقل « الإحاطة » من مبيضة ، كما سبقت الإشارة إليه في كلام <sup>(٢)</sup> حفيد السلطان  
ابن الأحمر ، وأحكم نسخه ، فكانت في مجلدات ستة ، وكان لسان الدين ألقى  
إليه بالمبيضات اعتمادا منه عليه ، وثقة به ، لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة

(١) انظر الجزء الثامن ص ٢٨ ، ٣١ ، ٤٠ وما بعدها

(٢) انظر ص ٣١٤ من الجزء التاسع من هذا الكتاب

ومن تلامذة لسان الدين : القاضى الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله ابن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى .

أبو محمد عطية  
بن يحيى ،  
المحاربى

قال فى « الإحاطة » : صاحبنا الفقيه الخطيب ، كاتب الأنشاء بالباب السلطانى أبو محمد ، نسيج وحده فى أصالة البيت وعفاف النشأة ، مقصود المنزل ، نبهه الصهر ، مع مخول<sup>(١)</sup> فى الأصالة ، بارع الخط ، جيد القريحة ، سيال المداد ، نشيط البنان ، جلد على العمل ، خطيب ناظم نثر ، قرأ بغرناطة ، وولى الخطاية بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده فى حداثة السن ، ثم انتقل إلى غرناطة فجاءت<sup>(٢)</sup> به الكتابة السلطانية داحضة بالحق آوته إلى هضبة أمانة مستظهرة ببطل كفاية ، فاستقل رئيسا فى غرض إعانتى وانتشالى من هفوة الكلفة على جمل الضعف وإلمام المرض ، ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة وإزعاجها من الأندلس عن سؤلة لا توارى ، وعورة لا يرتاب فى أشنوعتها ولا يتبارى ، فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها ، إذ لصق بالدهى الفاسق فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأحبولة كيده ، فسفك الدماء ، وهتك الأستار ، ومزق الأسباب وبدل الأرض غير الأرض ، وهو يزقه فى أذنه زقوم النصيحة ، ويستحله لقب الهداية ، ويبلغ فى شوارزه إلى الغاية ، عنوان عقل الفقى اختياره ، يجرى فى سبيل دعوته طولا ، أخرق يسيء السمع فيسيء الإجابة ، بدويا قبحا جهورا ذاهلا عن عواقب الدنيا والآخرة ، طرفا فى سوء العهد وقلة الوفاء ، مردودا فى الحافرة ، منسلخا من آية السعادة ، تشهد عليه بالجهل يده ، ويقيم عليه الحجج شره ، وتبوءه هفوات الندم جهالته ، ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان إليه ، وتبرا منه ، ولحقته بعده مطالبة مالية لقي لأجلها ضغطا ، وهو الآن بحال خزى ، واحتقاب

(١) يقال « فلان مع مخول » إذا كان كريم الطرفين من جهة أبيه وأمه

(٢) جاءأت به : دعتة

تبعات ، واستدعيت شيئا من نظمه ونثره حال التصنيف ليترجم به ، فكتب  
إلى ما نصه :

يا سيداً فاق في مجد وفي شرف	وفات سبقا بفضل الذات والسلف
وقاضلا عن سبيل الذم منحرفا	وعن سبيل المعالي غير منحرف
وتحفة الزمن الآتي به فلقـد	ربما بما حازه منها على التحفـ
ومعدنا لنفس الدرف هو لما	حواه منه لدى التشبيه كالصدف
وبجر علم جميع الناس مغترف	منه ، ونيل المعالي خير مؤتلف
وسابقا بذ أهل العصر قاطبة	فالكل في ذاك منهم غير مختلف
من ذا يخالف في نار على علم	أويجحد الشمس نورا وهو غير خفي؟
ما أنت إلا وحيد العصر في شـم	وفي ذكاء وفي علم وفي ظرف
لله من مُنتَمٍ للمجد منتسب	بالفضل متم ، بالعلم متصف
لله من حسب عدّ ومن كرم	قد شاده السلف الأخيار للخلف
إيه أيا من به تباى الوزارة إذ	كنت الأحق بها في الذات والشرف
يا صاحب القلم الأعلى الذي جمعت	فيه المعالي فبعض البعض لم أصف
يا من يقصر وصفى في علاه ومن	أنسى مديح حبيب في أبي ذلف <sup>(١)</sup>
شرفتنى عند ما استدعيت من نظمى	نظما تدوّته في أبدع الصحف
وربما راق تُغرّ في تبسمه	حتى إذا ناله إلمام مرتشف
أجلّ قدرك أن ترضى لمنتجع	بسوء كيّله حظا مع الحشف
هذا ، ولو أتى فيما أتيت به	ناخت بالطيب زهر الروضة الأنف <sup>(٢)</sup>
لكنت أفضى إلى التقصير من خجل	إذ لست بالبعض مما تستحق أفي

(١) حبيب : هو أبو تمام حبيب بن أوس

(٢) روضة أنف — بضم الهجزة والنون جميعا — أي لم يسبق أحد إلى رعيها

فحسب العجز عما قد أشرت به      فالعجز حتماً قصارى كل معترف  
لكن أجبت إلى المطلوب ممتثلاً      وإن غدوتُ بمرمى القوم كالمهدف  
فانظر إليها بعين الصفح عن زلل      واجعل تصفُّحها من جملة السكِّف  
بقيت للدهر تطويه وتشره      تسمو من العز باسم غير منصرف  
ثم ذكر نثراً ، وأن مولده بوادي آش آخر عام تسع وسبعائة ، وولى الخطابة  
والإمامة بها عام ثمانية وثلاثين وسبعائة ، ثم ولى القضاء بها وبأعمالها عام ثلاثة  
وأربعين وسبعائة ، ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين وسبعائة ،  
ومن شعره قوله :

ألا أيها الليل البطيء الكواكب      متى ينجلي صبح بليل المآرب  
وحتى متى أرى النجوم مراقبا      فمن طالع منها على إثر غارب  
أحدث نفسي أن أرى الركب سائرا      وذنبى يقصبنى بأقصى المغارب  
فلا فُزْتُ من نيل الأمانى بطائل      ولا قت في حق الحبيب بواجب  
فكم حَدَّثَتْنِي النفس أن أبلغ المنى      وكَم عَلَّتْنِي بالأمانى الكواذب  
وما قصرت بي عن زيارة قبره      معاهد أنس من وصال الكواعب  
ولا حُبُّ أوطان نبت بي ربوعها      ولا ذكر خل حل فيها وصاحب  
ولكن ذنوب أقتلتنى فيها أنا      من الوجد قد ضاقت على مذاهبي  
إليك رسول الله شوقى مجدد      فياليتنى يمت صدر الركائب<sup>(١)</sup>  
فأعملت في تلك الأباطح والربا      سُرَّأى مجدداً بين تلك السباب<sup>(٢)</sup>  
وقضيت من لثم البقيع بُبَاتِي      وجبت القلاما بين ماش وراك<sup>(٣)</sup>  
ورويت من ماء برزم غلَّتِي      فله ما أشهام يوماً لشارب<sup>(٤)</sup>

(١) يمت : قصدت (٢) السباب : الصحارى ، واحدها سبب  
(٣) جبت : قطعت (٤) الغلة - بالضم - حرارة الباطن من عطش ونحوه  
( ١٠ - نفع )

حبيبي شفيعى منتهى غايى التى  
محمد المختار والحامى الذى  
رؤوف رحيم خَصَّنَا الله باسمه  
رسول كريم رَفَّعَ الله قدره  
وشرفه أصلا وفرعا ومحتدا  
سراج الهدى ذوالجاه والمجد والعلا  
هو المصطفى المختار من آل هاشم  
هو الأمد الأقصى هو الملجأ الذى  
إمام النبیین الكرام ، وإنه  
بشير نذير مفضل مُتَطَوَّل  
شريف منيف باهر الفضل كامل  
عظيم المزايا ماله من مُمَاتِل  
ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن  
جليل جميل الخلق والخلق ماله  
وناهيك من فرع نَمَتَه أصوله  
أولى الحسب العد الرفيع جنابه  
له معجزات ما لها من معارض  
تَحَدَّى بهن الخلق شرقا ومغربا  
فدونكها كالأنجم الشهب عدة  
وإحصاؤها مهما تتبعت مُعَوِّز

أَرْجَى ومن يرجوه ليس بخائب  
بأَحْمَدَ حاز الحمد من كل جانب  
وَأَعْظَمَ بَماح فى الثناء وعاقب  
وأعلى له قدرا رفيع الجوانب  
يزاحم آفاق السما بالكواكب  
وخير الورى الهادى الكريم المناسب  
وذو الحسب العد الرفيع المناصب  
ينال به مرغوبه كل راغب  
لكالبدر فيهم بين تلك المواكب  
سراج منير بَدَّ نور الكواكب<sup>(١)</sup>  
نفيس المعالى والخلق والمناقب  
كريم السجاي ماله من مناسب  
يلوذ به من بين آتٍ وذاهب  
نظير ، ووصف الله حجة غالب  
إلى خير مجد من نؤى بن غالب<sup>(٢)</sup>  
بدور الدياجى أو صدور الكتائب<sup>(٣)</sup>  
وآيات صدق ما لها من مغالب  
وما ذاك عن حاد عنها بغائب  
ونور سَنَّا لا يَخْتَفِى للمراقب  
وهل بعد نور الشمس نور لطالب

(٢) نَمَتَه : نسبته

(١) بَدَّ : فاق وغلب

(٣) الدياجى : الظلم ، كأن واحدها ديجاة ، والكتائب : الجيوش ، واحدها كتيبة

لقد شرف الله الوجود بمُرْسَلٍ له في مقام الرسل أعلى المراتب  
 وشرف شهراً فيه مولده الذي جلا نوره الأسنى دياجي القياض  
 فشهر ربيع في الشهور مقدم فلا غرو أن الفخر ضربة لازب<sup>(١)</sup>  
 فله منه ليلة قد تلالأت بنور شهاب بين الأفق شهاب  
 ليهن أمير المسلمين بها المنى وأن نال من مولاه أسنى الرغائب  
 على حين أحياها بذكر حبيبته وذكر الكرام الطاهرين الأطائب  
 وألف شملاً للمحبين فيهم فسوف يُجَازَى عن كريم صنيعه  
 وسوف يُرى به الله في نصر دينه فسار على نهج من الرشد لا حجب  
 فيحى حى الإسلام عن يرومه بتخليد سلطان وحسن عواقب  
 ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً غرائب صنع فوق تلك الغرائب  
 إلهى مالى بعد رحماك مطلب بسمر العوالى أو بيض القواضب<sup>(٢)</sup>  
 سوى زورة القبر الشريف وإنه بما سوف يبقى ذكره في العجائب  
 عليه سلام الله ما لاح كوكب أراه بعين الرشد أسنى المطالب  
 لموهبة فاقت جميع المواهب لمهابة فافت جميع المواهب  
 وما رافق الأظعان حادى الركائب

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى : وليس لهذا الرجل انتحال لغير الشعر والكتابة  
 وغير هذا الشعر قران ، فقل أن ينتهى هذا الشعر فى الضعة والاستبدال إلى  
 ما دون هذا النمط ، فهو بغير ثان شعراً وشكلاً وبلداً ، لطف الله تعالى بنا  
 وبه ! انتهى باختصار .

ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى الكاتب أحمد بن

(١) يقال « هذا الأمر ضربة لازب » أى أنه لا مفر من حصوله

(٢) سمر العوالى : الرماح ، وبيض القواضب : السيوف

أحمد بن سليمان  
ابن فركون  
سليمان بن فركون ، ومن نظمه على لسان من يرمى بالداء المضال في فرج عبد  
ابن زمرك الوزير بعد ابن الخطيب :

قالوا كلفت به غلاما حالكا فأجبتهم في فيه ما يرى المهج  
مهما جنت بحسنه وبجبه علفت فوق منه حرزا من سبج  
ورأيت بخط الوادي آشي ما صورته : وجدت بخط لسان الدين ، وخاتمه أعلام  
البيان المجيد ، ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى في  
طرة اسم الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ، المختص به ، المتأدب بما انفرد به من  
انتساح تواليف ابن الخطيب ما نصه : يسقط هذا الساقط من الديوان ، انتهى .  
ولعل لسان الدين إنما أمر بإسقاطه من الإحاطة لما يُتَّهم به من معنى بيتيه  
السابقين ، ويحتمل أن يكون لغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

## الباب الثامن

### في ذكر أولاده

الرافلين في حُلل الجلالة ، المقتفين أوصافه الحميدة وخَلَّاهُ<sup>(١)</sup> ، الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله<sup>(٢)</sup> ، ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا ، المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا تُذْيَا<sup>(٣)</sup> ، المنقذة من أنواع الضلالة ، وما يتبع ذلك من المناسبات القوية ، والأمداح النبوية ، التي لها على حسن الختام أظهر دلالة .

أعلم - وقفني الله تعالى وإياك لمرضاته ! وجعلنا ممن يعتبر بالدهر في معضاته ! -  
أن أولاد لسان الدين ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي ، وكلهم حَدَّثَ عن أبيه وعن ابن الجياب .

أما محمد فقد نال حظه من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف<sup>(٤)</sup> ، ولم يحضرنى الآن نص من أنبائه أكتبه لعدم وجود الكتب التي هي مَطَّان ذلك ، إذ قد تركتها بالمغرب .

وقد سبق فيما مر من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من نُدَمَاء السُلطان وأهل خلوته ، وأن عليا كان خالصة السلطان ، رحم الله تعالى الجميع !  
وأما عبد الله فقد كتب بالعُدوتين ، للملوك الحضرتين ، وتولى القيادة والكتابة بالأندلس أيام كان أبوه مدبر الدولة ، وأكثر الناس بها كالمخاوص حوله ، ولا أعلم الآن ما آل إليه أمره بمد وفاة أبيه ، وقد ألم ببعض التعريف

(١) الخلال : الحصال والسجايا ، واحدا خلا

(٢) ورثه عن غير كلاله : يراد به أنه انحدر إليه من أصوله

(٣) بلا ثنيا - بالضم - أي بغير استثناء (٤) تشوف : أي تطمع

ترجمة  
لسان الدين  
لاينه عبد الله

مبدأ أحواله أبوه لسان الدين في كتاب « الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، فقال في  
حقه ما ملخصه : عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني ، حسن  
الشكل ، جيد الفهم ، يَغْطِي منه رمادُ السكون جرةَ حركة ، منقبض عن الناس  
قليل البشاشة ، حسن الخط ، وَسَطُ النظم ، كتب عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدهم ،  
وأقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان ، واختال في خِلْعَهم ، ثم لما كانت الفتنة  
كتب عن سلطان وطنه معزز الخطة بالقيادة ، قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي  
القاسم الحسني ، والخطيب أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي ، واستظهر ببعض المبادئ  
في العربية ، واستجيز له مَنْ أدركه بيلاده من أهل المشرق والمغرب ، وشعره  
مترفع عن الوسط إلى الإجابة ، يكلِّله عذرُ الحدانة .

فنه قوله في مولد أربع وستين وسبعائة :

بمحق الهوى يا حُدَاةَ الحول	قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرت عليها السحاب	بهرق خَفُوق ودمع همـول
أحن إليها حنين العِشار	وأبكي عليها بشجو طويل <sup>(١)</sup>
فيا سعد عَرَّج عليها الركاب	ففيها لقلبي شفاء الغليل
سقاها من المزن صوبُ الغمام	وحَيًّا بعرف النسيم العليل
ولا زال فيها يحمر الذبول	فيحيي النفوس بجمر الذبول
لئن حُلَّتْ يارب عن عهدنا	فعهد الهوى ليس بالمستحيل <sup>(٢)</sup>
ومما شجاني وميض الخفوق	كقلبي غداة النوى والرحيل
وميض إذا بلَّه المزن وهنا	يضئ سناه كعضب صقيل
أطار القواد فواد المشوق	وأغرى الشهاد بطرف كليل

(١) العشار : جمع عشراء ، وأراد النوق ، والشجو : الحزن

(٢) حلت : تغيرت ، حال يحول : تغير ، واستحال وأحال أيضا

فبت أطاول ليل التمام	بوجد جديد وصبر مُحْيِل
ودمع يساجل دمع الغمام	وشجو الحائم عند الهديل
فياليت شعري وهل من سبيل	على الوجد يوما بصير جميل
وهل يسمح الدهر بعد العناد	بجبر الكسير وعن الذليل
وهل راجع عهدنا بالحى	على رغم دهر ظلوم جهول
فياحسن مأوى عزاء جميل	ويا طيب مأوى بظل ظليل
وفي ذمة الله ركب سَرَوَا	يمجدون والليل مَرَحَى السدول
نشاوى بكأسين كأس الهوى	وكأس من الأمن مثل الشمول <sup>(١)</sup>
يؤمنون بالعيس أم القرى	وقبر النبي الشفيع الرسول <sup>(٢)</sup>
ديار بها الوحي وحى السما	تنزل ، أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا	وآن من الشرك وقت الأفول
فيا حادى العيس يطوى القلا	بوخذ القلاص ونصّ الذميل <sup>(٣)</sup>
سمائن آل طواها الشرى	وشقّ الحزون وقطع السهول
نشدتك بالبان بان الحى	وبالمورد العذب والسلسيل
إذا ما حلت لدى طيبة	وجئت محل الرضا والقبول
وقبرا نوى فيه خير الورى	وبشرى الكليم وفخر الخليل <sup>(٤)</sup>
فأبلغ تحية صب مشوق	عدته عوادى الزمان الخذول
وقل يا رسول الهدى والشفيع	إذا ضاق صدر أب عن سليل
عليك الصلاة وطيب السلام	بحيبك عند الضحى والأصيل
نبي كريم رؤف رحيم	بنص الكتاب وحكم العقول

(١) الشمول - بفتح الشين - الحمر (٢) العيس : الإبل

(٣) الوخذ : ضرب من السير السريع ، والذميل مثله ، والقلاص : جمع قلوص هى

الشابة الفتية من النوق (٤) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم ، عليهما الصلاة والسلام !

إمام الهدى المجتبي المصطفى  
 به أظهر الله دين الهدى  
 وقام بأعباء دين الإله  
 فأكرم بلبلة ميلاده  
 لك الله من ليلته فضلهما  
 وأيد بالنصر مولى أقام  
 أعاد بها الليل مثل النهار  
 وأبدى الرضا نحوها والقبول  
 سمي النبي الكريم الرسول  
 محمد المرتضى المستجار  
 من النفر الغر أسد الكفاح  
 ترام لدى السلم أطواد حلم  
 مبيد العداة ومحبي العفاة  
 فبأس حكي النار عند احتدام  
 فيضلي عداة لدى الحرب نارا  
 إذا فلت البيض يوم الوغى  
 ملك كفيل لمن يرتجيه  
 وفرع كريم حميد الخلال  
 فدام لنا ما سرى في الرياض  
 وحن مشوق لأرض الحجاز  
 بأزكى شهيد وأهدى دليل  
 وعلم كيف سواء السبيل  
 أتم القيام بفعل وقيل (١)  
 على كل وقت وعصر وجيل  
 يحجر على النجم فضل الذبول  
 مواسمها فعمل برّ وصول  
 بوجه كريم وفعل جميل  
 وأكرم به من حفي كفيل  
 وسيف الإله العلى الجليل  
 مبيد العدا ومنيل الجزيل (٢)  
 وأهل السباح عشيّ النزول  
 ويوم الكربة آساد غيل  
 وماوى الغريب ومدنى الدخيل  
 وجود حكي السحب عند الهمول  
 ويروى نداء زمان المحول  
 فلت ترى عزمه ذا فلول  
 بكل مرّام بعيد وسول  
 نماه إلى المجد طيب الأصول  
 نسيم الصّبا ومهب القبول  
 إذا لاح إيماض برق كليل

(١) القيل - بالكسر - القول ، يريد بفعله وبقوله

(٢) المبيد : المهلك ، أباده ببيده : أهلكه ، والمنيل : المعطى

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس :

لمن طلل بالرقمتين <sup>مُحِيلٌ</sup> عَفَّتْ دمنتيه شمال وقبول <sup>(١)</sup>  
يلوح كباقي الوشم غيره البلى  
فيا سعد مهلا بالركاب لعننا  
نسائل ربعا فالجب سؤل  
قف العيس تنظر نظرة تذهب الأسي  
ويشفي بها بين الضلوع غليل  
وعرج على الوادي المقدس بالحي  
فيا حبذا تلك الديار وحبذا  
دعوت لها سقى الحى وربوعه  
وأرسلت دمعى للغمام مساجلا  
فأصبح ذاك الربع من بعد محله  
لئن حال رسم الدار عما عهدته  
ومما شجاني بعد ما سكن الهوى  
توسدَنَ فرع البان والنجم مائل  
فيا صاحبي دع عنك لومى فإنه  
تقول: اضطرابا عن معاهدك الآلى  
فلله عينا من رآنى وللأسي  
يطاول ليل التم منى مُسَهَّد  
فياليت شعرى هل يعودنَّ مامضى  
وهل راجع عهد الحى ؟ سقى الحى  
وأيام أنس كم نعيمنا بقرها

(١) الطلل : مابقى شاخصا من آثار الديار ، والمحيل : المتغير ، والدمنة -

بالكسر - الموضع القريب من الدار ، والشمال - بالهمز - ريح الشمال ،

والقبول : الريح التى تقابلها

حلفت برب الراقصات إلى مَنى  
 جُودُ أمير المسلمين محمد  
 ملك أتاه الله في الملك عَزْمَةٌ  
 هو الملك المنصور والبطل الذي  
 إذا فُلَّت البيض الرقاق وجدته  
 يقصر باعُ المدح دون صفاته  
 من النفر البيض الوجوه لدى الوغى  
 هُموما هُمُو الحرب قد شب نارها  
 إذا سئلوا يوم الندى فنوالهم  
 بهم عَزَّ دين الله شرقا ومغربا  
 هُم السادة الأنصار والعرب الألى  
 لهم يوم بدر والرسول أميرهم  
 فأصبح أصحاب القلب كَأَنَّهُمْ  
 وقد أمن الإسلام كيد عدوه  
 وعدّوا رواحا للمدينة والرضا  
 فن ذا يجارى أويدي عصابة  
 لكم يا بنى نصر من المجد هضبة  
 فياسيد الأملاك والواحد الذى  
 لقد قرع الأعداء منك مؤيدا  
 فلم يدركوا ما أملوا غير ساعة

لمن إلى البيت العتيق ذَمِيلٌ<sup>(١)</sup>  
 بكل مرام فى الزمان كفيل  
 يروع الأعادى بأُسْها ويهول  
 يهون عليه الخطبُ وهو جليل  
 أخوا عزمات ما هن ما هن فلول  
 ويرجع عنها الفكر وهو كليل  
 لهم غرر وضّاحة وحجول  
 وللخيل فى جنح العجاج صهيل  
 تفيض شأيبُ له وسيول  
 وأصبح دين الكفر وهو ذليل  
 حَمَى الدينَ حَىَّ منهم وقبيل  
 تصول به أرماحهم وتطول  
 كتيب لوطء المرهفات مهيل<sup>(٢)</sup>  
 وغودر ربع الكفر وهو حجيل  
 لهم منه فوز عاجل وقبول  
 جزاؤهم عند الإله جزيل  
 تزول الرواسى وهى ليس تزول  
 إذا عد فخر ليس عنه عدول  
 له الذعر نصر والحسام دليل  
 كذاك متاعُ الأخسرين قليل

(١) الراقصات : أراد بها النوق التى تحمل الحجاج ، والذميل : ضرب من  
 السير السريع (٢) أصحاب القلب : قتلى المشركين يوم بدر ، لأنهم طرحوا فى  
 قلب ( بئر ) هناك

تعاونين في باب البنود بسحرة	كلاب عليهم بعد ذاك عويل
أبي الله إلا أن يموتوا بغيظهم	فويل لهم من مكرهم وأليل
فأضحوا حديثا في البلاد ويومهم	وساء صباح عندهم وأصيل
بسعد إمام ينزل العُصم سَعْدُهُ	ويروى نداء والزمان محول
وفرع كمال في الخلافة ثابت	نَمَتَهُ إلى المجد الزكي أصول
حكى وجهه شمسُ النهار إذا بدا	ورِيَّاهُ عرفُ الروض وهو بليل
أعاد لنا بالعدل أيامه التي	عهدنا، فدارت للسرور شمول
فدام لنا ماهبٌ عرف من الصبا	وأومض برق في الظلام كليل
وحَنَ مشوق للحجاز إذا بدت	لعينه منه شامة وطفيل
وأشرق نجم مثل قلبي خافق	وحان له عند الغروب أفول
وما زالت الأنفاد تجري بأمره	وصنع إله العرش فيه جميل

وقال في إغذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أثَرَهَا عزيمة تُنْضِي الركابا	وإن دميت لها العين انسكابا <sup>(١)</sup>
لعل الوجد تطفأ منه نار	أبت إلا زفيرا والتهابا
أما بعد الألى ترجو قلوب	تسارع نحو أرضهم انقلابا
فيا أخَوَيَّ كفا عن عتابي	فلست بسامع أبدا عتابا
تذكرتُ العقيق فسال دمعى	عقيقا من تذكره مذابا
أقول لنسمة مرت صباحا	يعطر عَرْفَهَا القفر اليابا
ألا يا هذه كوني رسولى	وكوني إن رجعت لي الجوابا
نشدتك بَلْغَى صبحى سلامى	إذا جئت المعاهد والقبابا

يلومني العواذل في اشتياقي  
 وكم بين الأباطح من مهاة  
 رمتني ثم قالت وهي تزي  
 إذا ما الشهب للغرب استمات  
 أوجه إن رقدت إليك طيفي  
 فقلت: لقد بخلت على مشوق  
 وكيف له بنوم بعد وجد  
 سيفصره من الأنصار ملك  
 كريم الذات من ملائ كرام  
 تواضع رحمة وعلاً محلاً  
 فليس يُصدَّ عن جدواه راج  
 له عطف على الراجي جميل  
 وملاك آمن الأرجاء حتى  
 أمولاي الذي أحيا المعالي  
 مددت على البلاد جناح عدل  
 وتاب الدهر مما قد جناه  
 وسكن عز دولتك الدواهي  
 وبالله إغذار سعيد  
 عجبت لمقدم والروع يهفو  
 ومن شبل أطاع أخا سلاح

إذا ما القلب من وجدى تصاب<sup>(١)</sup>  
 تروع بلحظها الأسد الغضابا  
 ولم تحذر بفكتها العقابا  
 وفود الليل بالإصباح شابا  
 كلع البرق يخرق السحابا  
 أني إلا غراما واكتئابا  
 يذيب لهيبه الصم الصلابا  
 إذا ناداه مظلوم أجابا  
 لقد طابت سجاياهم وطابا  
 وسهل منه للناس الحسابا  
 وليس يسد عن عافيه بابا  
 يقل من الردى ظفراً ونابا  
 ترى الغزلان لا تخشى الذئابا  
 وقد بليت وألخت الترابا  
 وكف الجور تستلب استلابا  
 فجدت له بعفوك حين تابا  
 فكانت رحمة دفعت عذابا  
 دعوت السعد فيه فاستجابا  
 بأفئدة الكماة وما استرابا  
 وحكمه اضطبارا واحتسابا

(١) في ب « يلوموني العواذل » وفيه إلحاق علامة الجمع في الفعل المسند إلى  
 الظاهر ، على لغة « أكلوهم البراغيث » وفيه — مع ذلك — حذف نون الرفع  
 لغير ناصب أوجازم ، وما أثبتناه موافق لما في خ

وهل عذر لعاذر ليث غاب  
فلولا سُنَّةٌ حكمت وهدى  
لحامت عَصْبَةُ الأنصار عنه  
من الصيد الذين لهم نفوس  
تنير الليل أوجُهُهم إذا ما  
دَعَوْتَ به الأيام ليوم حشر  
رأوا من زخرف الدنيا مقاما  
وأيتهم فما عاطوا حديثا  
ولو مكثوا به دهرًا طويلا  
وطاردت الضُّوَار بكل ضار  
ضربت به على الآذان منها  
ومعصوب الجبين بتاج روق  
تعرف أن تحت الأرض ثورا  
وكَلَّتْ به هضم الكشح أجنَى  
تباعد مجمع الشدقين منه  
فأثبتته كوخى الطرف حتى  
وصاح به الضُّوَار وقد رآه  
(ففض الطرف إنك من نمر  
وأرسلت الجياد إلى استباق  
فمن وَرَدَ أقبَ ومن كَمِيت  
وساقية العمد إذا أطلت

أظن فؤاده والعقل غابا  
أصبت وقد سلكت به الصوابا  
بأسيافٍ تقدُّ بها الرقابا  
أغير الفخر لا تصل الطلابا  
أرادوا السير أو حَثُوا الركابا  
ولم تدخِر لهم إلا الثوابا  
يذكر بالجنان لمن أنابا  
ولا عرفوا السؤال ولا الجوابا  
لما ذكروا الطعام ولا الشرابا  
كما أتبع غفريقًا شهابا  
فلم تسطع حراكا واضطرابا  
يروع خَوَّاره الأسد الغضابا<sup>(١)</sup>  
فرام بأن يشق له الترابا  
حديدَ الباب تحسبها حرابا<sup>(٢)</sup>  
وسال الموت بينهما لعابا  
توثق منه جازره غلابا  
حييس الكلب قد منع الإيابا  
فلا كعبًا بلغت ولا كلابا  
كأن بوارقًا شَقَّتْ سحابا  
وأشهبَ يلعب الأرض التهابا  
إلى الأدواح تنساب انسيابا

(١) الروق : القرن ، والحوار — بضم الحاء ، بزنة الغراب — صوت البقر

(٢) الأجنى : الذى ذهب قرناه أخرا ، وأصله أجنأ بالهمز

تحم بها العصى فَرَّاشَ لَيْلٍ      تروم بسمعه منه اقتربا  
تحف بها خيول القوم منا      فترسل نحوها الجُردَ العرابا  
عجائب أبدعت عليك فيها      ومثلك يبدع الأمر العجبا  
محمد لا عدمت الدهر حمدا      فقد أحسنت في الملك المنابا  
وزكى نفسك الرحمن لما      رآك ملكك للمجد النصبا  
تداركت البلاد ومن عليها      فأمنت التنايف والشعابا<sup>(١)</sup>  
لقد أوليتنا بيض الأيادي      لقد طوّقتنا المنن الرغابا<sup>(٢)</sup>  
روت عنك العوالى فى المعالى      حديث الفخر حق لا انتسابا  
ستفتح من بلاد الشرك أرضا      قد اعتقلت عقائلها اغتصابا  
وتعمل فى العدا بيض المواضى      إلى أن ينكر السيف القربابا  
فما كأس من الصهباء صرف      تعيد الشيخ من طرب شبابا  
وطاف بها من الرهبان بدر      يهتك من دجى الليل الحجابا  
تجد الأنس عودا بعد بدء      وربع الهم تتركه خرابا  
بأغذب من ثنائك حين يطوى      به الركب الأباطح والهضابا  
أمولاي استمعها بنت فكر      تحيرها فبرزها لبابا  
وغاص على فرائدها العوالى      وشق على نفائسها العبابا  
وهناك الإله بكل نعمى      تقود لك الأمانى الصعابا  
ودمت لعزة الإسلام ركنا      إلى أن يشمل الشيب الغرابا

وقال ، وقد أنشدها السلطان ليلة الميلاذ عام خمسة وستين وسبعائة :

نفس الصبأ أهدى إلى نسيا      قد رام ممتنعا ورام عظيما

(١) التنايف : جمع تنوفة - بفتح التاء - وهى الصحراء

(٢) الرغاب : جمع رغبة ، وهى الواسعة

ياهل يبلغنى السرى خير الورى  
وأسبق الركبان فوق نجبية  
وأحط رحلى فى كريم جواره  
حتى إذا بلغوا الذى قد أملوا  
وتزاحوا فى الترب يستلمونه  
قبلت ذاك الترب من شوقى إلى  
وبكيت من دمع المآقى زمزما  
صلى عليه الله ما هبت صبا  
لله مولده الذى أنواره  
شرعت من التأيد سيف هداية  
كسر الأكراس بالعراء ولم يدع  
لله منها لينة أضجى بها  
أبدا أمير المسلمين أعدها  
ملك أقام الله منه خلقه  
يحمى ذمار المسلمين من الردى  
بمحمد قد عاد دين محمد  
أحيا به الله الخلافة بعدما  
من آل سعد الخزرج بن عبادة  
تلقاه فى يوم الكريهة والوغى  
وتخال كفيه إذا شحّ الحيا

فأرى معاهد للهوى ورسوما  
تقرى من البيد العراض أديما<sup>(١)</sup>  
أرجو نعيما فى الجنان مقيا  
ورأوا مقاما بالرضا موسوما  
أرأيت فى الورد الظماء الهيا<sup>(٢)</sup>  
من حله وأقت فيه لزيما  
وتركت جسمى كالخطيم خطيما  
تهدى من الطيب الذكى شميا  
صدعت ظلاما للضلال بهيما  
أردت ظباه فارسا والروما  
أن رد قيصر قاصرا مهزوما  
شمل الهدى لأولى الهدى منظوما  
بدعامن القصر الكريم جسيما  
مولى رؤفا بالعباد رحيا  
ويبيع ربعا للعدا وحرما  
غض الرياض وكان قبل هشيا  
كانت بأطباق التراب رميا  
طابوا فروعا فى العلا وأروما  
والخيل عاسة أغر وسيا  
أقفا بعامية الغيوث غيوما

(١) النجبية : الناقة السريعة ، وتقرى : تقطع ، والبيد : الصحاري ، واحدها بيداء ، والأديم : وجه الأرض

(٢) الهيم : جمع هيماء ، وهى الشديدة العطش

تأبى خلال العدل والشميم العلا      من أن يرى في دهره مظلوما  
 كهف العباد وفخرها وثناؤه      ترك المديح على الطروس رقيما  
 لا زال يلقي العيش طلقاً والعلا      مرقى وصرف الحادثات خديما  
 ما اهتز عصف في الحديقة ناعم      لما أحسَّ من الشمال شميما  
 مولده بغرناطة ، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعائه .  
 انتهى .

ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور مافي «النفاضة»  
 من قوله : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني حيث جرايته  
 ووظيفته ، وانجز حديث ما نقد بغرناطة في شجون الكلام :

يا بني عبدَ الإله احتسابا      عن أنثا ومنزل وعقار  
 كيف يأسى على خسارة جزء      من يرى الكل في سبيل الخسار<sup>(١)</sup>  
 هَدَفَ لَاتَنِي سهام الليالى      عن سباق تجاهه وبدار<sup>(٢)</sup>  
 واحد طائش وسهم مصيب      ليس ينجى منها اشتمال حذار  
 غير ذى الدار صرف الهم فيها      فمناخ الرحيل ليس بدار  
 وقال أيضا رحمه الله تعالى : مما أنشدته ولدى عبد الله ، وأمرته بحفظه والتأدب  
 به والاهج بحكمته :

إذا ذَهَبَتْ يَمِينُكَ لَا تُضَيِّعْ      يسارك في البكاء ولا المصيبة  
 وَيُسْرَكَ اغْتَنِمْ فَاَلْقُوسَ تَرْمِي      وما تدرى أرشقتها قريبه  
 وما بغريبة نوب الليالى      واسكن النجاة هي الغريبة

قال : ومن المنظوم في قريب من هذا قولي :

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر      دهيت فدلوني لمن برفع الأمر

(١) يأسى : يحزن (٢) لاتنى : لا تفتر ولا تضعف ، والبدار : المبادرة والمصارعة

تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطاً وفي شُعلى أو نومتى سُرقِ العمر  
وقال رحمه الله تعالى : ومما قلته وقد انصرف عنى الولدُ عبد الله إلى مدينة فاس  
لإقامة رسمه من الخدمة ، وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والله المستعان :  
بان يوم الخميس قرّة عيني حسبي الله أى موقف بين (١)  
لوجنى موقف النوى حين حياً حان يوم الوداع والله حينى (٢)  
ضايقتنى صروف هذى الليالى وأطالت همى وألوت بدينى (٣)  
وطن نازح وشمل شتيت كيف يبقى مُعذّب بعد ذين  
يا إلهى أدرك بطفلك ضعفى إن ما أشتكيه ليس بهين  
وقال رحمه الله تعالى : أنشدت يوماً ولدى عبد الله وقد رأيت منه نشاطاً ومرحاً  
انتقل منى إليه بعد السن :

سَرَقَ الدهر شبابى من يدى وفؤادى مُشعراً بالكمد  
جملة الأمر إذا أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى  
وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى .

وأما على بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبیه ،  
وكان مُصاحباً للسلطان أحمد المرينى المستنصر بالله ابن السلطان أبى سالم ابن السلطان  
أبى الحسن المرينى ، رحمهم الله تعالى ! .

وحكى بعضهم أنه حضر معه فى بستان ، سَحَّ فيه ماء المذاكرة الهتان ، وقد  
أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار ، فقال  
المستنصر لما لان جانبه ، وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذآنبه (٤) :

يا فاس إنى وأيم الله ذو شغف فى كل ربع به مغناه يسبى

(١) بان : بعد ، والبين : البعد (٢) حان : قرب ، والحين : الهلاك

(٣) لواء بدينه ، وألواء : مظهر

(٤) المذانب : جمع مذنب — بزنة منبر — وهو سيل الماء إلى الأرض

وقد أنست بقرب منك يا أملي ونظرة فيكم بالأنس تحييني

فأجابه أبو الحسن علي بن الخطيب ، بقوله المصيب :

لا أوحش الله ربّعا أنت زائر يا مبهجة الملك والدنيا مع الدين

يا أحمد الحمد ، أبقاك الإله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد رحل رحمه الله تعالى إلى مصر ، ولم يحضرني الآن من أحواله بعد دخوله مصر ما أعول عليه ، وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة « الإحاطة » التي وجّهها أبوه إلى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا إليه فيما مر ، فكتب بالخواشي كتابات مفيدة ، وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب ، فليراجع : إما تكميل لما أغفله أبوه ، وإما إخبار عما شاهده هو ، أو رواية له عن المترجم به ، أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه ، ولندكر شيئا منها غير ما تقدم بعد إيراد نص « الإحاطة » فنقول :

تذييلات له  
على كتاب  
« الإحاطة »

قال في الإحاطة في حرف الميم في ترجمة شمس الدين الهواري الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية المشهورة بالأعشى والبصير ، ما صورته :

محمد بن أحمد بن علي الهواري ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر ، من أهل المرية .

من ترجمة  
محمد بن أحمد  
الهواري  
(ابن جابر)

حاله - رجل كفيف البصر ، مدل على الشعر ، عظيم الكفاية والمفة على زمانته رحل إلى المشرق ، وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صار روحين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين لحيي أسد<sup>(١)</sup> ، وشمرا للعلم وطلبه<sup>(٢)</sup> ، فكان وظيفة الكفيف النظم ، ووظيفة البصير الكتّاب ، وانقطع الآن خبرهما . انتهى .

فكتب المذكور على أول الترجمة ما صورته : نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر ،

(١) كذا في خ ، ووقع في ب « وقع الشعر منهما بين نجيع أسد » تحريف

(٢) شمرا للعلم : اجتهد فيه

أحسن الله تعالى إليهما ، فلقد أحسنا الصحبة ، في القرية ، وانفردا بالنزاهة والفضل وعلو الهمة ، إلا أن المصنف قصرَ فيهما بعض قصور ، ومنها يُطلب الإغضاء والصفح ، فالرجل مات ، وذكرُ الأموات بالخير مشروع ، وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علماً وعملاً ، أمتع الله تعالى بهما ! قاله ولد المؤلف علي بن الخطيب بالقاهرة ، انتهى .

وكتب على قول أبيه « واقطع الآن خبرهما » ما نصه : هما الآن بالبيرة من حلب ، تحت إنعام ولطف ، تحت إليهما الرواحل ، وتضرب إليهما آباط النُجُب ، انتهى .

رجع لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من « الإحاطة »  
قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصه : وجرى ذكره في الإكليل بما نصه :  
محسوب من طلبتها الجِلَّة ، ومعدود فيمن طلع بأفقها من الأهلة ، رحل إلى المشرق وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب الإفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضره .

شعره — وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلاو أحسنَ ذاك الخال في صفحة الخدِّ	متى رَقُوا بالمسك في ناعم الورد
وقولوا لذلك الثغر في ذلك اللَّمَى	متى كان شأن الدر يوجد في الشهد
ومَنْ هز غصن القد منها لفتنتي	وأودَعَه رمانتي ذلك النهْد
ومن متع القُضْب اللدان بوصفها	إلى أن أغرن الحسن من ذلك القد
فتاة تفتُّ القلب مني بمقلة	لها رقة الغزلان في سطوة الأسد <sup>(١)</sup>
تمنيتُ أن تهدي إلى نهودها	فقالَت رأيت البدر يهداه أو يهدى
فقلتُ الأَرْمَانِ بُدٌّ من الجنى	فتاهت وقالت : بالوا حظلا الأيدي

(١) تفت القلب : تضعفه وتوهنه

فقلت أليس القلب عندك حاصلًا      فقلت أجمليني من عبيدك في الهوى  
 فقلت أجمليني من عبيدك في الهوى      فقلت كفاني كم لحسن من عبد  
 إذا شئت أن أرضاك عبدًا فئت جَوَى      ولا تشتكي واصبر على ألم الصد  
 ألم تر أن النحل يُحمّل ضرها      لأجل الذي تجنيه من خالص الشهد  
 كذلك بذل النفس سهل لذى النهى      لما يكسب الإنسان من شرف الحمد  
 ألت ترى كف ابن جانة طالما      أضاع كريم المال في طلب الحمد<sup>(١)</sup>  
 وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته : عارضة قوية ، وزعة خَفَاجية ،  
 وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الأندلس علمًا ونظرًا ونحوًا ، زاده  
 الله تعالى من فضله ! انتهى .

رجع إلى الترجمة — قال لسان الدين : وقال ، يعنى ابن جابر :

عرج على بان العذيب ونادى      وأنشد فديتك أين حل فؤادى<sup>(٢)</sup>  
 وإذا مررت على المنازل بالحمى      فاشرح هنالك لوعتى وسهادى  
 إيه فديتك يا نسيمه خبرى      كيف الأحبة والحمى والوادي  
 يا سعد ، قد بان العذيب وبأنه      فانزل فديتك قد بدا إسماعدى  
 خذ في البشارة مُهَجَّتِي يوما إذا      بان العذيب ونور حسن سعادى  
 قد صبح عيدى يوم أبصرُ حسنُها      وكذا الهلال علامة الأعيادى  
 ومما نقلته من جزء قيده لى صاحبنا الفقيه الأستاذ أبو على الزواوى مما ادعاه لنفسه :

على لكل ذى كرم ذمام      ولى بمدارك الحمد اهتمام  
 وأحسن ما لى لقاء حر      وصحبة معشر بالحمد هاموا  
 وإني حين أنسب من أناس      على قم النجوم لهم مقام

(١) في خ « أضاع كريم المال في طلب الحمد » فتكرر القافية

(٢) انشد : من قولهم « نشد فلان الضالة » أى طلبها

يميل بهم إلى الجحد ارتياح      كما مالت بشاربها المدام  
هُمُ لبسوا أديم الليل بردا      لبُسقر عن أديمهم الظلام  
هو جعلوا متون العيس أرضا      فذ عزموا الرحيل فقد أقاموا<sup>(١)</sup>  
فن كل البلاد لنا ارتحال      وفي كل البلاد لنا مقام  
وحول موارد العلياء منا      لنا مع كل ذى شرف زحام  
تصيب سهاً مغرَضَ المعالي      إذا ضلت عن الغرض السهام  
وليس لنا من الجحد اقتناع      ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها ، وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتاً ، ولم نثبتها لطولها ، ثم قال بعدها : نجرت وما كادت ، ثم قال بعدها أيضاً : وقد وطأ لإمطاء قروحها ، وأعيأ لإكثار سروحها ، ثم قال بعده : والله ولي النجاة بفضلها ، انتهى .

وكتب ابنه على أول القصيدة وهو : \* على لكل ذى كرم دمام \* مانضه : نزعة مَعْرِية ، قاله ابن المؤلف ، رحمه الله تعالى ! . انتهى .

وكتب الشيخ ابن مرزوق على قوله « نجرت إلى آخره » ماصورته : ما أنصف المصنفُ هذا الفاضل في ترجمته ، وقدره شهير ، ومكانه من الفضيلة كبير ، وعلمه غزير ، ولعلمه لم يطلع إلا على ما أودعه .

وكتب إثره ابنُ لسان الدين ما صورته : نعم ياسيدي أبا عبد الله ابن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف ، ولولا أنهما بالحياة ما صدر منكم التنبيه ، ولو خلا تحت الصفيح لم تُعمِلوا فيهما قلما ، هكذا شأن الدنيا بقلّة الوفاء شنشنة معروفة ، والحقّد على الأموات شأن المغاربة ، قاله على ابن المصنف رحمه الله تعالى ! انتهى .

(١) العيس : الإبل ، ومتونها : ظهورها ، يريد أنهم ملازمون للسفر مقيمون على ظهور الإبل لا يفارقونها

ولا خفاء أن لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس ابن جابر الهواري المذكور مع أن له محاسن جمة .

ومن محاسنه رحمه الله تعالى :

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقاً  
فلا تتحرك ساكن منكم إلى  
فكم ملك رام الوصول لمثل ما  
فبشراكم نلتهم عناية ربكم  
ترون رسول الله في كل ساعة  
منى جثتم لا يعلق الباب دونكم  
فيسمع شكواكم ويكشف ضرركم  
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل  
فكم نعمة الله فيها عليكم  
أمنتم من الدجال فيها فحولها  
كذلك من الطاعون أتم بآمن  
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم  
حياة وموتاً تحت رحمة أتم  
فيا راحلاً عنها لدنيا يريد لها  
أخرج عن حرز النبي وحوزه  
لئن سرت تبغى من كريم إعانة  
هو الرزق مقسوم فليس بزائل

فبالقرب من خير الوري حُزتم السبقا  
سواها وإن جار الزمان وإن شقا  
وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا  
فها أتم في بحر نعمته غرقى  
ومن يرّه فهو السعيد به حقاً  
وباب ذوى الإحسان لا يقبل الغلقا  
ولا يمنع الإحسان حراً ولا رقاً<sup>(١)</sup>  
بلا حظكم فالدهر يجري لكم دفقا  
فشكراً وشكراً بالله بالشكر يُستبقى  
ملائكة يحمون من دونها الطرقات<sup>(٢)</sup>  
فوجه الليالى لا يزال لكم طلقاً  
وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقاً  
وحشراً فستر الجاه فوقكم ملقى  
أطلب ما يفي وتترك ما يبقى  
إلى غيره ؟ تسفيهه مثلك قد حقاً  
فأكرم من خير البرية ما تلقى  
ولو سرت حتى كدت تحترق الأفقا

(١) الرق : العبودية ، وأراد به الرقيق : من إطلاق المصدر وإرادة الوصف

(٢) أشار بهذا البيت وما بعده إلى ماروى في فضائل المدينة — على ساكنها

الصلاة والسلام ! — من أن الدجال لا يدخلها والطاعون لا يحل بها .

فكم قاعد قد وسَّعَ اللهُ رزقه      ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا  
فعرش في حمى خير الانام ومث به      إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى  
إذا قت فيما بين قبر ومنبر      بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقى  
لقد أسعد الرحمن جار محمد      ومن جار في ترحاله فهو الأشقى

ومن محاسنه رحمه الله تعالى المقصورة الفريدة ، وهى قوله :

بادرَ قلبي للهوى وما ارتأى      لما رأى من حسنها ما قد رأى  
فقرّب الوجدُ قلبي حبها      وكان قلبي قبل هذا قد نأى  
يا أيها العاذل في حبي لها      أقصر فلى سمع عن العذل بآى<sup>(١)</sup>  
لو أبصر العاذل منها لحمة      مافض باب عدله ولا فأى<sup>(٢)</sup>  
سرحت طرفى طالبا شأو العلا      وتابعا فى حبها ما قد شأى  
إنى لأرعاها على تنبيعها      عهدى ، ومثلى من وفى إذا وأى<sup>(٣)</sup>  
من منصفى من شادن لم أرجه      لحاجة من وصله إلا زأى<sup>(٤)</sup>  
وإن قبضت النفس عن سلوانه      مدّ أديم حجره لى وسأى<sup>(٥)</sup>  
لأقطعن البيد أفرى حاذها      بضامر يفرى الحصا إذا جأى<sup>(٦)</sup>  
حتى أزور ربة الخدر وقد      ذاد الكرى عنى الوشاة وذأى<sup>(٧)</sup>  
ياربَّ ليل قد تعاطينا به      حديث أنس مثل أزهار الربا  
فى روضة تعانقت أغصانها      إذ واصلت ما بينها ريح الصبا  
نادمت فيها من بنى الحسن رشاً      يصبو له من لم يكن قط صبا  
حلو رخيم الدلّ فى أعطافه      لين وفى ألاحظه لين الطبا  
أيام كان العيشُ غضا حسنه      عذب الجنى ريان من ماء الصبا

(١) بأى : ترفع . (٢) فأى : فتح . (٣) وأى : وعد

(٤) زأى : تكبر . (٥) سأى : عدا وأسرع فى سيره

(٦) جأى الفرس : اغبر فى حمرة . (٧) ذأى : طرد وساق

أى زمانٍ ومحلٍ للمنى  
 يا مَرَبَعًا ما بين نجد والحى  
 الله يرعاه زمانا لم يحل  
 فأى مَعْنَى أَهْل يَمْتَه  
 هل ترجع الأيامُ عيشا باللوى  
 تالله لا أعبا بعيش قد مضى  
 مذ علقت كفى بالمهادى الذى  
 كالبحر لا يغيض يوما ورده  
 متصل البر لمن قد أمه  
 ولا ينجى نفسه فى ضيقة  
 إن رسول الله مصباحٌ هدى  
 كف بنى الجور بعدل واضح  
 كم ذو هوى قد راضه بهديه  
 قد خالط الحلم سجايا طبعه  
 أقسمت لا زلت أوالى مدحهُ  
 لولا اشتياقى لدار كَرَمْت  
 ومدح من أرجو بأمداحى له  
 لم أجعل الشعر لنفسى خلة  
 فما أرى الأيام تبسدى منصفاً  
 يا ضيعة الألباب فى دهر غدا

ما ضاق مغناه بنا ولا بنا  
 ويا زمانا قد حبانى ماحبا  
 عن بذل ما نأمله ولا أبى  
 لنقصد حلت لنا فيه الحباً  
 فراقه كان اللهم الأربى  
 ولا زمان قد تعدى وعنا  
 ساد الورى طفلا وكهلا وفقى  
 لوارد إذا أضاف أو شئنا  
 لا يكره العودة بمن قد أتى  
 أى نهار سر هذا ومتى  
 يهدى به من فى دجى الليل متاً<sup>(١)</sup>  
 كما تكف اليد كفاً من فتى  
 فانقاد كالعبد إذا العبد قتماً<sup>(٢)</sup>  
 كمثل ماقد خالط الثوب الستاً<sup>(٣)</sup>  
 ما اشتد بالناس زمان ورتاً<sup>(٤)</sup>  
 لبعدها يرانى لنا من قدرنى  
 إصلاح ما قد عاث منى وعناً<sup>(٥)</sup>  
 ولم يحش فكرى به ولا غنى<sup>(٦)</sup>  
 ولو حكمت الدر من حسن النشأ<sup>(٧)</sup>  
 فيه فتيت المسك يعلوه الخنى

(١) متا : مشى ، والمستعمل أمتى (٢) قتا : خدم

(٣) الستا : سدى الثوب (٤) رتا : اشتد (٥) عتا : أفسد كعاث

(٦) غنى الوادى — كرمى — كثر فيه الغشاء (٧) النشأ : النشاء

- يا ويل أمّ ليس تزجى ضيمها  
هل مارست إلا أخا عزم إذا  
تسيل من جهد السرى أعطافه  
له اعتصام بالرسول المجتبى  
من ليس للدنيا محل عنده  
أنا الفقى لا يطّيبني طمع  
لكن إذا اضطر زمان جائر  
لا أسأل النذل ولو أنى به  
حسبى بنو عبد مناف بهم  
أولئك القوم الألى من أهم  
يلقاك منهم كل وجه مشرق  
إنى منذ أملتهم لم يثنى  
إن أنا قد نكرنى دهر عدا  
يطوى العدا ذكرى ومجدى ناشرا  
أنا الذى أعلمت للمجد السرى  
كم سرت فى البيداء لا يقلقنى  
أرسلها غر الذرا تسرى بنا  
يطيح مفتوت الحصا من دونها  
فكم بذلت الجهد فى كسب العلا  
أرغم أعداى بحزم نافذ
- مثلى بما تبديه من منع الحشا<sup>(١)</sup>  
ما قعد الناس عن الخطب جشا  
كمثل ما سال من الدوح اللتى<sup>(٢)</sup>  
أجود من أضفى البطايا وحشا  
ولا ينيل المال إلا بالحقا  
فأبذل الوجه لنيل يرتجى  
أملت من ليس يرؤد من رجا  
أملك ما حاز الهار والدجا  
يفنى من استغنى وينجمون نجا  
أمن ممن لام يوما وهجا  
كأنه البدر إذا الليل سجا  
عن طلب المجد زمان قد شجا<sup>(٣)</sup>  
فطالما عرفنى فضل الحجا<sup>(٤)</sup>  
آليت لازال لهم منى شجا  
لأسام الأين ولا أشكو الوجى<sup>(٥)</sup>  
حرّ الهجير لا ولا برد الضحا  
كل عو يص السير صعب المنتقى  
كأنه سهم عن القوس طحا<sup>(٦)</sup>  
وجدت بالنفس لحاى من لحا<sup>(٧)</sup>  
يعرّكهم عرك الثقال بالرحا<sup>(٨)</sup>

(١) الحشا : التراب (٢) اللتا ، كاللقى ، ما يسقط من شجر السمرة .

(٣) شجا : أحزن (٤) الحجا : العقل (٥) الوجى : الحفا أو أشد منه

(٦) طحا : مال (٧) لحا : لام وعذل وسب (٨) الثقال : الجلد يوضع تحت الرحا

أزود عن عرضي وأحى حسبي  
أقسم بالبيت ومن طاف به  
وكل من أعمل لله الخطا  
ومعشر تجوا وعجوا فلم  
لازلت أزجها لإدراك العلا  
يا عجباً من حاسد لي قد زها  
كانني لم أعرف العز ولا  
وإمما الدهر له قلب  
إن الذي لا ينثني عن جوده  
خير الوري طراً من الله به  
شرفه الله وحلي جيده  
زيته تواضع على علأ  
فكم حى بهديه وكم وقى  
خلص من أسر الخطايا جاهه  
خفف عنا ثقل ما نحملة  
إن تحسب الرسل سماء قد بدت  
وإن يكن كل كريم قد مضى  
وإن يكونوا أنجما في فلك  
واسطة السلك إذا ما نظموا  
كالبحر بل كالبحر جوداً وسنى

بكرم جزل وتجد قد ضحا  
ومن نحا وجهته فيمن نحا<sup>(١)</sup>  
محابها من الخطايا ما محأ  
بمرتقى المروة ذكر ووحي<sup>(٢)</sup>  
حتى ترى من جهدها مثل اللحا<sup>(٣)</sup>  
بعيشه الغض على وانتخى<sup>(٤)</sup>  
صاحبت دهرى في سرور ورخا  
إن ارتخى شد وإن شد ارتخى  
إن بخل الدهر لنا وإن سخا  
أذهب عنا كل غنى فامتخى<sup>(٥)</sup>  
بجوهر من كل مجد موتخى<sup>(٦)</sup>  
فما ازدهى بعزّة ولا نحا<sup>(٧)</sup>  
وكم أفاد آملا وكم نحا<sup>(٨)</sup>  
فما على قلب امرئ منها طخا<sup>(٩)</sup>  
فلم نبت من ثقله نشكو السخى  
فإنه في أفقه نجم هدى  
طلا فقد أضحي لنا غيث جدأ  
فإنه من بينهم بدر بدا  
وملجأ القوم إذا الخطب عدا  
فحبذا من اجتسدى أو اقتدى

- (١) نحا : قصد (٢) الوحي ، كالفتى : الكلام الخفى ، والإلهام ، مثل الوحي بفتح فسكون (٣) اللحا : قشر الشجر ، وأصله المد ككساء (٤) انتخى : افتخر ، ومثله نحا (٥) امتخى : بعد (٦) موتخى : مقصود (٧) نحا : مدح (٨) الطخا : السحاب ، وأصله ممدود

أحسن أخلاقاً من الروض إذا ما اختال في برد الصبا وأارتدى  
وساقط القطر عليه دمه فابتل برد الزهر منه وانتدى  
تفديه نفسى من شفيع للورى وقلّت النفس له منى فبدأ  
هو الذى أنعشنا من بعد ما قد ييس الغصن وأذواه الصدى<sup>(١)</sup>  
وكنّت في ليل الهوى ذا حيرة فجاء بالحق وأنجى وهدى  
فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا وكم هدى بعلمه وكم غذا  
من اقتدى بغيره فإنه لم يتبع سبل الهدى ولا حذا<sup>(٢)</sup>  
هل هى إلا سنة الحق التى أرشد من لاذها أو احتذى  
كف اللسان وانبساط الكف بالخير وطيب الذكر عرف قد شذا  
أحسن ما نال الفتى من كرم أن لا يرى من أجله من انتدى<sup>(٣)</sup>  
والصمت عما لا يفيد قوله من كلم يهذى به فيمن هدى  
لا شئ كالصمت وقاراً للفتى يوما ولا أنجى له من الأذى  
من عيبه يشغله عن غيره بات سليم العرض نفاح الشذا<sup>(٤)</sup>  
ومن يعب عيب ومن يحسن إذن لان له كل عصى وخذا<sup>(٥)</sup>  
ومن تكن دنياه أقصى همه لم يرو من ندى الحجا ولا اغتذى  
لا تنفق العمر سوى في حب من هو الذى في سنن الحق جرى  
يهديك من رشد ومجد واضح روضين من علم وذكر قد سرى  
أجاد هديا وأفاد نائلا وجاد حتى عمم الجود الورى  
ترى بنى الحاجات نحو بابه قد أعملوا العيس بحزن فى البرى<sup>(٦)</sup>  
لهم إلى رؤيته تشوق تشوق السارى إلى نار القرى

(١) الصدى : العطش (٢) حذا واحتذى : تبع (٣) انتدى : أودى  
(٤) نفاح الشذى : عاطر الأريج (٥) خذا : استرخى (٦) البرى : التراب

ذا يبتغى علما وهذا نائلا  
 كأنهم إذا رأوا غرته  
 وجه لديه يحمد السير، كذا  
 هذا إذا ما أخلف الناس وفى  
 إذا شددت الكف فى أمره  
 أنهضنى بهديه إلى التقى  
 هو الشفيع المجترى بجاهه  
 مذزرت لم أشك من شحط النوى  
 وما وجدت غربة ولم يجد  
 متصل البشر غضوب للهدى  
 أصبح من أيامه فى مامن  
 تحذته كهفا فبت آمنا  
 أدبنا بسنة أفلح من  
 يجزى أخا الحسنى على إحسانه  
 لست أجازى الشر بالشر، ولا  
 لم تر عين كرسول الله ذا  
 إذا ملأت الأمور أفلقت  
 بخلقه فليقتد المرء فما  
 كن حذرا وإن رأيت تمرة  
 لا تياسن إن تناءى أمل

وخائب من قصده ليس يرى  
 وقد حجيج عاينوا أم القرى <sup>(١)</sup>  
 عند الصباح يحمد القوم الشرى  
 نأى المدى فى مجده سامى الذرا  
 فليس بالوانى ولا الواهى العرا  
 بعد قصور العزم والباع الوزى <sup>(٢)</sup>  
 بمثل ذاك الجاه حقا يجترى <sup>(٣)</sup>  
 إذ كان لى فيه غنى ومجترى  
 مس اغتراب من إلى الجود اعترى <sup>(٤)</sup>  
 إذا رأى من زاع عنه أوزا <sup>(٥)</sup>  
 من قد لجأ يوما إليه أو رزى <sup>(٦)</sup>  
 جزاه رب العرش خير ماجزى  
 نى إليها النفس يوما أو عزا  
 شكرا مرى راض الأمور وجرى  
 أغزو لناوى السوء مثل ماغزا  
 حزم ، ولا أحلم إن دهر غزا  
 ألقىته كأنه طود رسا  
 أكرمها من مقتدى ومؤنس  
 فثلها توقد جهرة الأسا  
 وكلما عثا زمان قد عسا

(١) أم القرى : مكة (٢) الوزى : القصير

(٣) المجترى : المكتفى ، وأصله المجترأ بالهمز (٤) اعترى : انتسب

(٥) زأ : وثب (٦) رزى - كرمى - قبل البر

وإن بدا صبح المشيب فاطرح  
ولا تظن الشيب يرجى طبه  
إذا الفتى قوتس واعتد العصا  
فاذ كر زمان الشيب في حال الصبا  
ما أقبح اللهو على المرء إذا  
لا تحسب الراحة راحا قرّقا  
إذا أداروها وقد جن الدجى  
قد حجبت في دنها دهرها إلى  
لم يبق من جوهرها إلا أسنى  
كأنها والكأس قد حقت بها  
يديرها مخلف الحسن إذا  
يحكى القطا والظبي والفصن إذا  
وإنما الراحة زهد المرء في  
والجد إيقادك نيران القرى  
والجود أن تعطى قباء للندى  
خاب امرؤ لم ير أرضا حلّها  
أرسله الله هدى ورحمة  
وخلص الأنفس من أسر الهوى  
ذورأة تلقاه يوم العرض قد  
صلى عليك الله يامن جأه

ما كان إذ ليل الشباب قد غسا<sup>(١)</sup>  
بزور صيغ أو مدام يحتسى<sup>(٢)</sup>  
لقوسه عن وتر أعيا الأسا<sup>(٣)</sup>  
عسى يلين للثقى قلب قسا  
ما اشتعل الرأس مشيبا واكتسى  
للشرب منها قبس ومنشئ  
وشى بهم نيرها فيمن وشى  
أن برزت كأنها صبح فشا  
ينشئ أفراس الفتى إذا انشئ  
متيم أصبح مضروم الحشى  
أقبل بدر وإذا تاه رشا  
ما قد ثنى أو تجنى أو مشى  
أعراض دنيا تورث العين غشا  
يعشوها في الأزمان من عشا  
لا لا فتخار أو لجاء يحتسى  
من اصطفى رب السماء وافضى<sup>(٤)</sup>  
أوصى ووالى الخير فينا ووصى  
في يوم هول فاز فيه من فصى<sup>(٥)</sup>  
مال بنا عن الجحيم ومصى  
يوم الحساب ملجأ لمن عصى

(١) غسى : أظلم ، والمشهور أنه من باب رضى

(٢) يحتسى : يشرب (٣) الأساة : الأطباء ، جمع آس ، وحذف التاء

(٤) افضى : خلصه ، والمستعمل في هذا المعنى فضاء تفصية

(٥) فصى : تخلص من الشر

يا من جرى من كفه الماء ومن  
 بك اعتصامى يوم يدنو من دنا  
 هل غير إحسانك يرجو مذنب  
 يا مَنْ سما فى يوم بدر بدره  
 أحصاهم رب السماء عددا  
 يا مجتبى من خير قوم حسبا  
 يا من تدانى قاب قوسين ومن  
 ومن أتى والناس من ظلمهم  
 فكان كالصبح جلا جناح الدجى  
 رضيت للإرسال إذ آدم بين  
 اختارك الله رسولا هاديا  
 يا أحلم الناس على من قد جنى  
 يا مصغر الألف إذا ما جاد أو  
 يا ناصحا أحكم تشييد الهدى  
 يا مضافيا للناس ظل رحمة  
 ادفع الشر بحسنى فإذا  
 وأنف لنفس كرهت أعمالها  
 إن يدرك الهوى الفتى فى بيته  
 وإن خيرا من صديق سيء  
 ولا ترُم ما لا تطيق نيله  
 حن له الجذع وسبح الحصا  
 من رحمة الله ويقضى من قصا  
 طال به خوف الخطايا وانتصى<sup>(١)</sup>  
 عزاً ليشقى كل من شق العصا  
 وإنهم أدنى الفريقين حصا  
 فيما أتى من زمن وما مضى  
 قيل له سل تعطى قد نلت المضا  
 فى ظلمة ليس لها من مرتضى  
 فأذهب الإظلام عنا وانتضى  
 بين الماء والطين فكنت المرتضى  
 أكرم بما اختار لنا وما ارتضى  
 وأعدل الخلق إذا ما قد قضى  
 جرد فى الهيجاء سيفاً أو نضاً<sup>(٢)</sup>  
 عزما فلما ينتقض ولا أقضى  
 بات العدا منها على جمر الغضى  
 به أخو صدق وإن كان سطا  
 كمن يريك قدرها حث الخطا  
 ليس كمن سعى إليه وخطا  
 أن يصحب الإنسان فى البعد القطا  
 فحجلة الخيبة شر ممطى<sup>(٣)</sup>

(١) انتصى : كأنه أخذ بناصيته . (٢) نض السيف : أخرجه من غمده

(٣) ممطى : مركوب ، امتطاء بمطيه : ركه

وبت من الدنيا مبات خائف      قليلى عذوات وسطاً  
وخلها عنك ولا تعباً بما      تبوأ الكثير منها وعطاً  
وجنب الحرص تعش ذا عزة      أفلح من إن شدة الحرص نطاً<sup>(١)</sup>  
ولا تجد للنفس حظاً وأطرح      من امتطى الكبر فبئس ما امتطى  
لا تطرين صاحباً بغير ما      فيه فإطراء الفتى كسر المطأ<sup>(٢)</sup>  
لا يحسن المدح سوى لمن يرى      مادحه بمدحه قد احتطى  
خير عباد الله ذو العز الذى      لظله يأوى الشريف والشتى<sup>(٣)</sup>  
كم آمن بيباه وقبل أن      يلقاه لاقى ما عجا وما عطا<sup>(٤)</sup>  
أصبح من حرمة فى حرم      يرقل فى ظل هبات وحطاً  
فى منزل سياف فيه ربه      وضيئه فيما اقتنى وما حظاً  
إن رسول الله غيث واكف      إذا لهيب الضيف داج والتطى  
إذا أعد للمؤمن القرى      لم يدخر عن ضيفه ولا حظاً  
لما علمت جوده الجزل وما      هناك من علم وحلم وبظاً  
يممته فوق طير ضامر      منتظم الأعضاء مأموم الشظا<sup>(٥)</sup>  
ليس يمس الأرض من سرعته      كأنما يخشى بها مس اللظى  
يأموسع الألف بصاع شبعاً      ومن مشى الدوح إليه وسعى  
وأخصب الضرع بلمس كفه      وبادر المزب له لما دعا  
وسلم الظبي عليه كراماً      وكلم الميت فقام ورعى  
واستشهد الضب فخياً معلناً      بصدقه ومثبناً لما ادعى  
إليك أعمت المطايا فى القلا      تنساب ما بين أراك ولما

(١) نطا : أعطى وجاد ، كأنطى (٢) المطأ : الظهر

(٣) الشطى : أتباع القوم والدخلاء عليهم

(٤) عجاياه : فتحه ، وعجا وجهه : زواه وأماله ، وعظاه : ساءه

(٥) الشظا : عظيم لازق بالركبة أو بالذراع ، أو عصب صغير

مسرعا جَاهَكَ عَلَيَّ فِي غَدٍ      أكون ممن قد أجار ورعى  
 أزكى صلاة وسلام أبدا      عليك ما ارتاح الظليم وارعى  
 وسبَّح الرعدُ بحمد من سقى      صَوَّبَ الحيا فقال للأرض لما  
 فاشتملت بالنَّورِ كل فدغد      لم يك للسارح فيه مرتعى  
 وباكر البیداء غيثٌ مُسْبِلٌ      فأخلف النبت المهشم ورعى  
 وَدُقْ سحاب تحسب البرق به      أَسِنَّةٌ قد أشرعت يوم وغى  
 واخضرت الدوحُ ومدت قُضْبَهَا      فبينها حسن الثمام وصفاً<sup>(١)</sup>  
 وساقطت لها السحاب حملها      إذ خوف الرعد تساقط الفغا<sup>(٢)</sup>  
 ترى خرير الماء في قصيبه      كأنه مَيِّتٌ ذَوْدٌ قد رغا<sup>(٣)</sup>  
 فسكن القیظ لهيب حره      وفرَّ لما أن رأى الماء طفا  
 غيث حمى الرمضاء عنا مثل ما      حمى رسول الله جور من بغى  
 ناه عن الفحشاء داع للهدى      ولم يفه بباطل ولا لفاً<sup>(٤)</sup>  
 هذا إذا استكفيت في أمر به      أجداك فيما تنقحيه وكفى<sup>(٥)</sup>  
 تهفو به ريح العلا إلى الندى      كأنه ناعمُ غصن قد هفا<sup>(٦)</sup>  
 محبي الهدى والعدل في زمانه      من بعد ما ألفاها على شفا  
 أخفى الهدى قومٌ فأضحى وهو قد      أظهره بعدله فما اختفى  
 إن يقض يعدل أو متى يُسأل يَهَبُ      وإن يقل يصدق وإن يعدّ وفى  
 وإن يَجْدُ يُجْزِلُ وإن جاد يُعِدُّ      وإن تسيء يحسن وإن تجن عفا  
 بحرطاً، بدرسماً، غضب حمى،      روض نما، طب أفاد وشفا  
 لمجتدٍ أو مقتدٍ أو معتدٍ      أو مجذب أو مشتك خطبا جفا

(١) الصفا : الميل (٢) الفغا : نور الحناء (٣) رغا : صوت

(٤) لفا : قال اللغو والباطل (٥) أجداك : أغظاك (٦) هفا : مال واهتز

مَالِي لَا أَضْفِي لَهُ الْمَدْحَ وَقَدْ  
أَسَسَ خُلُقُ الْجُودِ فِينَا فَاغْتَدَى  
الْجُودُ يعلَى الْمَرْءِ وَالْبَخْلُ لَقَدْ  
وَالْعِزُّ مَا أَحْسَنَهُ لِكُنْه  
وَالْجَهْلُ لِلْإِنْسَانِ عَيْبٌ قَادِحٌ  
وَالْعِلْمُ فِي حَالِ الْغِنَى وَالْفَقْرُ لَا  
وَلَا أُلُومُ الْمَالَ فَالْمَالُ حَمِيٌّ  
قَدْ جُبِلَ النَّاسُ عَلَى حُبِّ الْغِنَى  
وَمَا لَذِيَ الْفَقْرِ لَدَيْهِمْ رَتْبَةٌ  
إِنْ الْغِنَى طَبَّ لَعَلَاتِ الْفَتَى  
وَالْحِزْمُ أُخْرَى مَا بِهِ الْمَرْءُ اقْتَدَى  
مَنْ لَمْ يَبْتَ مَعَ اللَّيَالِي حَازِمًا  
أَمْضِيَتْ طَرْفِي كِي يَرَى طَرْفِي مَا  
فَصَدَّقَ الْخَاكِي مَا أَبْصَرْتَهُ  
فَسَهَلَتْ رُؤْيَتُهُ جَهْدَ السَّرَى  
عَجِبْتَ لِلْأَيَّامِ مَنْ عَزَّ بِهَا  
فَكَمْ لَهَا مِنْ كَرَّةٍ عَلَى فَتَى  
تَجْتَنِبُ الْأَسَدُ سَطَاهُ فِي الْوُغَى  
وَكَمْ صَرِيحٌ غَادَرَتْ لَيْسَ لَهُ  
عَدَتْ عَلَى نَفْسِ عَدِيٍّ وَسَقَتْ

أَضْحَى بِهِ الْحَقُّ عَلَيْنَا قَدْ ضَفَا<sup>(١)</sup>  
بِهِ لَنَا وَرَدُّ الْعَالَى قَدْ صَفَا  
يَحْطُ عَنْ رَتْبَتِهِ مَنْ ارْتَقَى  
إِنْ كَانَ هَذَا مَعَ عِلْمٍ وَتَقَا  
وَلَوْ حَوَى مَا لَا كُكْشِبَانِ نَقَا<sup>(٢)</sup>  
يَزَالُ يَرْقَى بِكَ كُلُّ مَرْتَقَى  
مَنْ جَاهِلٌ يَلْقَاكَ شَرٌّ مَلْتَقَى  
فَرَبُّهُ فِيهِمْ مُهَابٌ مَتَقَى  
وَلَوْ أَفَادَ وَأَجَادَ وَاتَّقَى  
وَالْفَقْرُ دَاءٌ لَا تَدَاوِيهِ الزُّرْقَى<sup>(٣)</sup>  
فِي أَمْرِهِ وَمَا بِهِ النَّفْسُ وَفَى  
لَفَدَرَهَا غَادَرْتَهُ فِيهَا لَقَى  
أَخْبَرْتَهُ مِنْ طَيْبٍ مَجْدٌ قَدْ زَكَا  
وَفَاقَ مَا عَايَنْتَهُ مَا قَدْ حَكَى  
وَأَسَكْتَ الْإِنْعَامَ مَنْ كَانَ شَكَى  
ذَلٌّ ، وَمَنْ يَضْحَكُ لَهَا يَوْمًا بَكَى  
جَلْدٌ إِذَا مَا لَهَبُ الْحَرْبِ ذَكَا  
فَذَلَّ حَتَّى صَارَ قَصْوَاهُ بُكَى  
مَنْ مَلَجَأَ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُشْتَكَى  
مِنْهَا ابْنُ حُجْرٍ كَأْسُ سَمٍ كَالذَّكََا

(١) ضفا يصفو : زاد وصار سافيا ، وأضافه يضيفه : زاده وأضيفه

(٢) الكشبان : جمع كشيب ، وهو ما اجتمع وتراكم من الرمل

(٣) الرقي : جمع رقية - بالضم - وهي العوذة

(٤) شئ لقي - بالفتح مقصوراً - أي مهمل مطروح

واستقلت ملك بني ساسان لم  
 لم يأمن المأمون من صولتها  
 وأتبع جعفر الفضل وكم  
 وغالت الزباء في منعها  
 وأنفذت في آل بكر حكمها  
 وكم سبت من سبأ من نعمة  
 وأهلك عادا وأفنت جرهما  
 فرعون موسى أو لجت في لجة  
 وأظفرت بابن زياد مثل ما  
 وسيف استلته من عُمدانه  
 ثم أعادته فحز الجيش عن  
 هي الليالي ليس يرعى صرفها  
 ولا رسول الله فينا لم يزل  
 لله ما أكرمه من سيد  
 سليم صدر ذو وفاء لم يحش  
 أوسعنا فضلا فما خاب امرؤ  
 يا من غدا للخلق كهفا وحى  
 تترك له على الليالي مرتكا<sup>(١)</sup>  
 ولا ابن هند من عواديه خلا<sup>(٢)</sup>  
 بات الطلا يسقيهما صريف الطلا<sup>(٣)</sup>  
 فأظفرت عُمرًا بها فما ألا<sup>(٤)</sup>  
 وجرعت مهلهلا كأس البلى  
 فمزقوا في كل قفر وفلا  
 وزودت منها تميما بالصلى  
 فأت قهرا بعد عز وعلا  
 أفنت يزيد حسرة لما اعتلى<sup>(٥)</sup>  
 من بعد ما قد خضعت له الطلى  
 حوزته حز النبات المختلى  
 لا خاملا فيها ولا من قد سما  
 كهفا حَمَى فهو لنا نعم الحمى  
 يُنمى من المجد لأعلى منتمى  
 في صدره غش أمرى ولا غمى  
 أوى إلى ذاك الجنب وانتمى  
 فأكرم المئوى وأوى وحى

(١) كذا ولا أعرف له وجها

(٢) المأمون : هو الخليفة العباسي ، وابن هند : معاوية بن أبي سفيان

(٣) الطلا الأول : ولد الظبية ، والطلا الثاني : الحمر

(٤) الزباء : ملكة الجزيرة ، وعمرو : هو ابن عدى الذى طالبها بثأر خاله

جذيمة الأبرش ، وألا : قصر (٥) ابن زياد : عبيد الله بن زياد قاتل الحسين

السيط ، ويزيد : ابن معاوية بن أبي سفيان

إنا أتينا من ديار دونها  
 وإني من قبج ما أسلفته  
 فلا تخينني مما لك من  
 إنك من قوم بهم يشفي العنا  
 أعرض عن الجاهل مهما قد أسا  
 ولا تلم ذا سلفه فإنه  
 وإن رأيت من كريم عثرة  
 وإن ترعك من زمان فرقة  
 لم أشكر البعد على خير حي  
 يامنزلا ما بين مجد والحي  
 هل لي إلى تلك المعالي عودة  
 لا تعجبوا من لعب الدهر بنا  
 إن عشت لا قيتهم وإن أمت  
 إن رسول الله مذ أملت به  
 إني والذي مازال يسرى جاهدا  
 فقدم الغسل وصلى ونضى  
 ثم نوى مكيبا ثم مضى  
 ثم أنى باب بني شيبة قد  
 فقبل الركن وطاف وسعى  
 ثم أنى الموقف يدعو راغباً  
 ثم رمى ثم أفاض وانبرى  
 ثم مضى مرتحلاً فيمن مضى  
 يعني التي شرفها الله بمن

موحشة ببداء أو بحر طما  
 ذو كبد رُضت ودمع قد هي  
 شفاعة ترجى وفضل قد نما  
 ويذكر الشاؤ البعيد المرتنى  
 وحسبه من جهله ما قد حوى  
 إن لمته لم يتند ولا أرعوى  
 فقل لعمراً ولا تعب بما احتوى  
 فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى  
 قد صدني عن أنسه شخط النوى  
 وياد يارا بين كتاب اللوى  
 أو جرعة من ذلك الماء الروى  
 فأى إنسان على حال سوى  
 فأما الدنيا فنساء وتوى  
 فالدهر قد أضمر نصحي ونوى  
 حتى أنى ميقاته وماونى  
 أثوابه مستغفرا مما جنى  
 حتى رأى ذات السناء والسنى  
 أبصر ما أمل قدما مذكنا  
 ثم مضى مرتحلاً نحو منى  
 حتى إذا ما نفر القوم انثنى  
 معتمرا قد نال غايات المنى  
 ميمما طيبة لا يشكو العنا  
 شاد به الدين القويم وابتنى

فلم يكن ممن إذا حج جفا  
خلق علا لم يحوها إلا امرؤ  
فإن يقل: من حازها؟ قل: الذي  
معتمضمُّ الراجين إن خطب دنا  
المرشد الناصح لله فما  
من جد في إدراك ما رام يجد  
فلا يقصر بك خوف خيبة  
واكتسب الحمد بما تبديه من  
واحرص على المجد ودينك اطرح  
والمرء من إن فاته لم يكتئب  
من لازم الكبر على الناس اغتدى  
أنى تحيب اليوم آملى ولى  
يدنى الفتى إلى مدى آماله  
إن أهزل القوم زمان معوز  
وإن أمات الجذب كل نخصب  
أرسل سحْبَ هديه جارية  
أوقع فى الأنفس من ماء لدى  
لم تَعَى من فعل جميل كفه  
مالى لا أبلغ أقصى غاية  
لكل شخص غاية يبلغها

بل يمم القبر وزار واعتنى<sup>(١)</sup>  
نهاه عن نبذ الملا رَغَى النهى  
له تسامى كل مجد وانتهى  
وكفهم إن راع أمر ودهى  
قصر فى نصر الهدى ولاها  
ولم يصب مَنْ قد توانى وسها  
مَنْ خَيَّلَ الخيبة فى البدء وهى  
فتح اللهَا بمستدامات اللهَا<sup>(٢)</sup>  
فأمرها أمر زهيد المشتى  
وإن ينل لم يفتخر ولا ازدهى  
مُتَضِّعُ القدر ولو نال الشها  
من كفه أكرم من صوب الحيا  
ولو غدا من دونها الأرض اليا  
أنعشهم حتى يرى لهم حيا  
بدا لنيران القرى منه حيا  
بالحق حتى حَيَّ الدر حيا  
ظام إذا ما اشتد بالشمس الحيا  
ولا له فى المكرمات معتيا  
فى مدح من بالغ جودا واغتيا  
وماله فى المعالوات مُقْتِنَا

(١) يشير إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حج ولم يزرني فقد جفانى »  
(٢) اللهَا - بفتح اللام - جمع لهاة ، وهى هنة مشرفة على الخلق ، وأراد هنا الفهم ، فتحه بالثناء ، واللهَا - بضم اللام - العطايا

تعيأ يد السائل من معروفة  
والآن قدأ كلمتها في مدحه  
ضمفتها من كل فن دررا  
حليتها جيد معاليه وما  
جعلتها منى وداعا فاعتجب  
مَنْ قارب الرحلة عن ذاك الحى  
أرسلتها من خاطر خامره  
وكيف لا آسى على بعدى عن  
أنصار دين الله والهادى الذى  
فالقلب بين مشرق ومغرب  
إذا ذكرت الغرب حنت مهبجتى  
وإن ذكرت حُبَّ من فى مشرق  
إن يصف من وجه لشخص مورد  
فإن تَرَحَّلْتُ فقلبى عندكم  
ولا تزال رُسُلُ شوقى أبدا  
ولن تمر ساعة إلا هنا  
فليس عندى للنجاة مخلص  
بكم ملاذى وحماكم ملجئى  
وما ذخرنأ عُدَّة سواكم  
لا أوحش الله ديارأ أتم

ولم يقصر كرما ولا اعتيا  
مقصورة يقصر عنها مَنْ حَزَّ (١)  
نظما فأضحت من نفيات الحلى  
أملح حَلَى الحمد فى جيد العلا  
لنظمها الخلو الجنى كيف حلا  
كيف أجاد النظم يوما أودرى  
وَجَدْتُ جلا عن مقلتى طيب الكرى  
قوم جرى من جودهم ما قد جرى  
لولا وضوح هَذِيهِ ضل الورى  
مُقَسَّم اللوعة مجذوب العرا  
وبلَّ دمعى من جوى الشوق الترى  
أبطأ بى جهمٌ عن السرى  
كدَّر من أخرى فلا صفوىرى  
لم يرتحل عن بابكم ولا سرى  
تترى على مجدكم الجزل الندى  
بذكركم مُفَصِّح نظمى وشدا  
إن لم يكن منكم نَوَال وَجَدَأ (٢)  
ليس سوى ذاك السماح المجتدى  
مثلكم مَنْ يرتجى ويمتدى  
فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى (٣)

(١) من خلا : أراد من سبقه وكان فى القرون الحالية : أى الماضية .

(٢) الجدى - بالفتح مقصورأ - العطاء (٣) الصدى : الظمأ والعطش

ولا نأت داركم ولا خلا ربيعكم ماراح يوم واغتدى

ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة ، وهى المعروفة ببديعية العميان ، ولولم يكن من محاسنه إلا قصيدته التى فى التوروية بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم لكفى ، وهى من غرر القصائد ، وكثير الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى الفضل عياض ، وكنت أنا فى أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة ، حتى وقفت على شرح البديعية الموصوفة لرفيقه أبى جعفر ، فإذا هى منسوبة للناظم ابن جابر ، وهى :

فى كل فاتحة للقول معتبره	حق الثناء على المبعوث بالقره
فى آل عمران قدما شاع مبعثه	رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مَدَّ للناس من نعماء مائدة	عمت فليست على الأنعام مقتصره (١)
أعراف نُعماء ما حل الرجاء بها	إلا وأنفال ذك الجود مبتدره
به توسل إذ نادى بتوبته	فى البحر يونسُ والظالماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا	ولن يروّع صوتُ الرعد من ذكره
مضمون دعوة إبراهيم كان ، وفى	بيت الإله وفى الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوى النحل ذكرهم	فى كل قطر فسبحان الذى فطره
بكيف رحاه قد لاذ الورى ، وبه	بشرى ابن مريم فى الإنجيل مشتهره
سمّاه طه ، وحض الأنبياء على	حجج المكان الذى من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذى عمروا	من نور فرقانه لما جلا غرّره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا	كالتلّ إذ سمعت آذانهم سورَه
وحسبه قصص للعنكبوت أتى	إذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره

قصيدة  
لابن جابر  
تضمن التوروية  
بسور القرآن

(١) يريد أن مائدته (جوده وعطاءه) لا تقتصر على دعوة ذوى النعمة ، بل إنه يدعو الجفلى ولا يخص قوما دون قوم .

في الزوم قد شاع قَدِّمًا أمرُهُ وبه  
 كم سجدت في طلي الأحزاب قد سجدت  
 سبَّاهم فاطر السبع العلا كرم  
 في الحرب قد صفت الأملاك تنصره  
 لغافر الذنب في تفضيله سور  
 شُوراهُ أن تهجر الدنيا فزخرفها  
 عزت شريعته البيضاء حين أتى  
 فجاء بعد القتال الفتح متصلا  
 بقاف والذاريات الله أقسم في  
 في الطور أبصر موسى نجم سؤدده  
 أسرى فسال من الرحمن واقعة  
 أراه أشياء لا يقوى الحديد لها  
 في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في  
 كف يسبح لله الحصة بها  
 قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها  
 تحريمه الحب للدنيا ، ورغبته  
 في نون قد حقت الأمداح فيه بما  
 يجاهه سال نوح في سفينته  
 وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا  
 مدثرًا شافعا يوم القيامة هل

لقمان وفق للدر الذي نثره<sup>(١)</sup>  
 سيوفه فأراهم ربه عبه  
 لمن يباين بين الرسل قد شهره  
 فصاد جمع الأعادي هازما زُمره<sup>(٢)</sup>  
 قد فصَّلت لمعانٍ غير منحصره  
 مثل الدخان فيغشى عين من نظره  
 أحقاف بدر وجند الله قد نصره  
 وأصبحت حُجرات الدين منتصره  
 أن الذي قاله حق كما ذكره  
 والأفق قد شق إجلالا له قره  
 في القرب ثبَّت فيه ربه بصره  
 وفي مُجادلة الكفار قد أزره  
 صَفَّ من الرسل كُلَّ تابع أثره  
 فأقبل إذا جاءك الحق الذي قدَره  
 نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره  
 عن زهرة الملك حقا عند ما نظره  
 أثنى به الله إذ أبدى لنا سيرة  
 سفن النجاة وموج البحر قد غمره  
 مُزَمِّلا تابعا للحق لن يذرّه  
 أتى نبي له هذا العلا ذخره

(١) اشتهر لقمان بالحكمة ، وفي القرآن الكريم : ( ولقد آتينا لقمان الحكمة ) .

(٢) الزمر : الجماعات ، واحدها زمرة - بضم الزاي وسكون الميم - أي الجماعة

في المرسلات من الكتب انجلى نبأ  
 الطافه النازعات الضيم في زمن  
 إذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت  
 وللسماء انشقاق والبروج خلت  
 فسبح اسم الذى فى الخلق شقعه  
 كالقمر فى البلد المحروس غرته  
 والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم  
 ولو دعا التين والزيتون لا ابتدرا  
 فى ليلة القدر كم قد حاز من شرف  
 كم زلزلت بالجياذ العاديات له  
 له تكاثر آيات قد اشتهرت  
 ألم تر الشمس تصديقا له حبست  
 أريت أن إله العرش كرمه  
 والكافرون إذا جاء الورى طردوا  
 إخلاص أمداحه شغلى ، فكم فلق  
 أزكى صلاتى على الهادى وعترته  
 صديقهم عمر الفاروق أحزمهم  
 سعد سعيد عبيد طلحة وأبو  
 وحمة ثم عباس وآلهما  
 أولئك الناس آل المصطفى وكفى

عن بعثه سائر الأخبار قد سطره (١)  
 يوم به عبس العاصى لما دعره (٢)  
 سماؤه ودعت ويل به الفجره  
 من طارق الشهب والأفلاك مُنتَرِه (٣)  
 وهل أذاك حديث الحوض إذ نهره  
 والشمس من نوره الوضاح مستقره  
 نشرح لك القول فى أخباره العطره  
 إليه فى الحين واقرأ تستين خبره  
 فى الفخر لم يكن الإنسان قد قدره  
 أرض بقارعة التخويف منقشره  
 فى كل عصر فويل للذى كفره  
 على قریش ، وجاء الروح إذ أمره  
 بكوثر مرسل فى حوضه نهره  
 عن حوضه فلقد تبت يدا الكفره  
 للصبح أمحمت فيه الناس مفتخره  
 وصحبه ، وخصوصا منهم عَشْرَة  
 عثمان ثم على مهلك الكفره  
 عبيدة وابن عوف عاشر العشره  
 وجعفر وعقيل سادة خيرة  
 وصحبه المقتدون السادة البرره

(١) انجلى : انكشف وظهر . (٢) دعره : أظافه .

(٣) منترة : متفرقة ، يشير إلى قوله تعالى : ( وإذا الكواكب انتثرت ) .

وفي خديجة والزهرا وما ولدت  
عن كل أزواجه أرضى ، وأوثر من  
أقسمت لازلت أهدبهم شذاً مدحى  
انتبهت القصيدة :

معارضة  
لقصيدة ابن  
جابر

وقد عارض منحاهما جماعة فما شقوا لها غبارا ، ومن معارضاتها قول بعضهم :  
بسم الإله افتتاح الحمد والبقرة  
على نبي له الرحمن ممتدح  
كذا بمائدة الأنعام فضله  
أنفاله نزلت أيضاً براءة من  
به نجا يونس من حوته ونجا  
أقسم برعد إبراهيم أن له  
سبحان جاعله كهفا لأمنه  
طه به الأنبياء للحج قد وفدوا  
آيات فرقانه ذلت لها الشّعرا  
والعنكبوت على غار له نسجت  
لقمان حكته من بعض حكته  
كم في سبا عبرة للقلب قد فطرت  
قد صُنّت الأنبياء والرسل قاطبة

مصليا بصلاة لم تزل عطره  
في آل عمران أيضاً والنسا ذكره  
ووصفه التم في الأعراف قد نشره (١)  
يحبه وهو مشغول بما أمره  
هود ويوسف من سجن به عبره  
في حجر نخل ترى الآيات مشتهره  
ومريم زوجة في جنة نصره  
والمؤمنون على النور اقتفوا أثره (٢)  
وسورة النمل قد قصت لنا سيره  
والروم ولت برغب منه منكسره (٣)  
فاسجد لرّب على الأحزاب قد نصره  
فلذ بياسين تنجوا يا أخا البرزه  
خلف النبي بأمر الله مؤتمره

(١) نشره : أداعه ، وضده « طواء يطويه » وأصله طي الثوب ونشره  
(٢) اقتفوا أثره : تبعوه (٣) يشير إلى ما كان في هجرته صلى الله عليه وسلم  
إذ دخل غار ثور فجاء العنكبوت فغيم على باب الغار حتى إذا رآه المشركون قالوا :  
لا يمكن أن يكون قد دخل هذا الغار ؛ إذ لو دخله لما بقي هذا العنكبوت على بابه

إن صاد قلبي الهوى تنزيل منقذه  
 كم خلعة فصلت للطائمين له  
 لا تلهم زينة الدنيا وزخرفها  
 إذا جثا الخلق والأحقاف قد شرفت  
 محمد خص بالفتح المبين وقد  
 قاف الوفاق وذو الطور نجم هدى  
 رَحْن واقعة كل الحديد بها  
 من يمتحن صفنا في يوم جمعنا  
 مطهر من نفاق ليس بينهم  
 وحرموها وفي ملك لها زهدوا  
 إن تسألوني عن نوح نبي هدى  
 مزمل اسمه مدثر ، وله  
 للمرسلات نبأ في يوم نازعة  
 مظنف الكيل قد بان خسارته  
 كم طارق سبج الأعلى بغاشية  
 والليل قُمة ولا تترك صلاة ضعي  
 بسورة التين اقرأ أنها نزلت  
 ولم يكن مثل خير الرسل أحدا  
 بعاديات لها قرع بهامته  
 من كان في عصره هامة لمزا  
 ويل لمانع ماعون تراه غدا  
 الكافرون إذا جا نصر خالقنا

وغافر الذنب كم ذنب له غفره  
 وأمرهم بينهم شورى بلا نكره  
 كانوا يروها كدخان له قتره <sup>(١)</sup>  
 فذاك يوم على الكفار قد نصره  
 أتاه في الحجرات الوحي بالخبره  
 وشق رب السما للمصطفى قمره  
 كم من مجادلة في الحشر محتذره  
 فليس يلقي به غش ولا كدره  
 تعابن طلقوا دنياهم القدره  
 كزهد صاحب نون حَقَّق خبره  
 والمصطفى سامع الجن الذي جهره  
 يوم القيامة للانسان ما ضمّره  
 عبوس تسكوير شمس فيه منفطره  
 يوم تشق السما أبراجها النضره  
 والفجر بلدته بالشمس مستتره  
 يشرح لك الصدر والخيرات مدخره  
 في ليلة القدر ، والأنوار منتشره  
 منه تزلزلت الكفار والفجرة  
 أعى التكاثر من قلب له بصره  
 يلقاه قبل قريش قاهر قهره  
 مباعدا كوثر الهادي الذي أثره  
 تباهم لعنوا هم أمة كفره

(١) قتره — بفتح القاف والتاء جميعا — هي الغبرة وقد حذف النون من  
 « يروها » لغير ناصب ولا جازم

أخلص رب فلق الناس تَنْجُ إذا يوم المعاد غدا من شرة عسره  
وصل رب على الهادي وعترته وآله وعلى أصحابه العشرة

ومن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي إذ قال :

عوذت حَيَّ رب الناس والفلق المصطفى المجتبي المدوح بِالْخُلُقِ (١)  
إخلاص من وجدى له والعذر يقلقنى تبت يدا عاذل قد جاء بالملق  
يهدى لأُمته والنصر يعضده والكافرون وعذالى على نَسَقِ  
هذا له كونه والدين شرعته والمصطفى من قریش دِيْنٍ وَتَقِي  
ألم تر الماء قد سحت أصابعه ويل لكل جهول بالنبي وشقى  
في كل عصر ترى آياته كثر أضحى تَكَارُفُهَا في سائر الأفق  
وعند قارعة فهو الشفيع لنا والعاديات من الأجفان في طَلَقِ  
وزلزلت من غرامى كل جارحة وكل ينفسه تحكى لكم علقى  
يا على القدر رفقا مسنى ضرر فآله قد خلق الإنسان من علق  
ولو دعا التين والزيتون جاء له والشرح عنه طويل غير مَخْلَقِ  
يبدو كشمس الضحى والليل طرته كالشمس في بَلَدٍ والفجر في أفق  
إني بغاشية لولاك يا أُملى أنت الشفيع إلى الأعلى وخير تقى  
كم طارق منك بالإحسان يطرقنى مثل البروج آتى في أحسن الطرق  
وفي انشقاق فؤادى عبرة ، وبه ويل من الصد ، والأجفان في أرقِ  
والانفطار به مما يكابده والشمس قد كورت في القلب ذى الحرق  
والصب في عَبَسٍ والنازعات به وقد آتى نبأ من دمه الغدق  
ومرسلات دم الإنسان جارية إلى القيامة من دمعى ومن حرقى

(١) عودته : حصته ، وحرفيته جعلت له هذا معاذة ، والحب - بالكسر - الحبيب ، والمجتبي - بزة المصطفى - أى المختار المنتخب

وبالمدثر إني ماسك أبدأ  
فالجن والإنس في خير بيعته  
وفي المعارج معراج الرسول علا  
والله مرسله في نون بشره  
وجاء بالحل والتحريم أمته  
وفي التفاسير ابن تيجار به رجوا  
يا صاحب الجمعة الغراء يا أملي  
وأنت في الحشر عوفى في مجادلتى  
وعند واقعة إن كان لى رمق  
لم أرفع يا قمرى للنجم فى سهر  
قلبى السكيم غدا للطور مرتقيا  
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم  
إنافتحنا قتالا للعدول فى  
دخان زخرف ما المذال فيه هبا  
وعز من فصلت فى مدحه سور  
فغافر الذنب كم أهدى به زمرًا  
وليس غيرك فى الصافات أقصده  
يا فاطرا قد سبا الأحزاب طلعتة  
لقمان يشهد أن الروم تعرفه  
هذا ولى قصص بالمثل قد كتبت

وبالمزمل إن أجمت بالعرق<sup>(١)</sup>  
هذا ونوح به أنجى من الفرق  
حقا ، وفى حاقة كنز لخطرتق  
والملاك خيره حتى رأى ولقى  
وبالطلاق من الدنيا لمنطق  
إذ المنافق فى خسرو فى نفق  
فى الصف عندما تحانى أنج من زلقى  
عسى تزيل حديد النار من عنقى  
فاشفع إلى ربك الرحمن من رمقى  
إلا لعلك من نار الجحيم تقى  
ودر دمي غدا بالذاريات سقى  
وليس فى حجرات الدمع من رمق  
أحقاف جائية فى الغيظ والحق  
شورائى تتركه فى أنف محترق  
نبينا المصطفى الهادى إلى الطرق  
وكم سقى كفه صايد بمنسدفق  
وأنت يا سين لى من سائر الفرق  
كم سجدة لك فى الأسحار والنسق  
والعنكبوت فقد سدت عن العلق  
هامت بها الشعرا فى خذه اليقنى

(١) المدثر : المتغطى ، والمزمل : المتلفف فى ثيابه ، وأصلهما بتشديد الدال فى الأول وتشديد الزاى فى الثانى ، إلا أنه خففهما هنا لإقامة الوزن ، و « أجمت بالعرق » إشارة إلى يوم المحشر حين يشتد الحر على الناس ، وقد ورد فى الحديث

تبارك الله من بالنور جملة  
يا أيها الأنبياء طه ختامكم  
لاذوا بكهف لهم سبحانه خالقه  
فالركن والحجر حقا قد أضاء له  
والله ربى ربى الرعد ينصره  
فيوسف مع هود والخليل إذا  
لتوتى أرتجى الأنفال منه غدا  
أعراف أنعام أنعام له اشتهرت  
كل النساء لم تلد مثل الرسول إذا  
أعطيت خاتمة من سورة البقرة  
فأنت فاتحة الأنبياء وخاتمهم  
والقلقشندى محب قال سيرته  
فاقبل هدية عبد أنت مالكة  
صلى عليه إله العرش ما طلعت  
وهذه القصيدة وإن لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهي مما يتبرك به ،  
والأعمال بالنيات .

ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة إلى هذه كنسبة هذه إلى قصيدة معارضة أخرى  
لابن جابر ، وهي :

يحمد إله العرش أستفتح القولا      وفي آية الكرسي أستمنح الطولا<sup>(٢)</sup>  
وفي آل عمران بدا ذكر أحمد      نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا

(١) الفرق - بفتح الفاء والراء جميعا - شدة الخوف

(٢) القلق : الاضطراب

(٣) أستمنح ، هنا : أطلب ، والطول - بالفتح - الفضل

بأعراف رحماه بأنفال جوده  
 له يونس نادى وهود ويوسف  
 ودعوة إبراهيم كان محمد  
 له أمة كالنحل قد صبح فضاهم  
 علا فضله والناس في كهف نيله  
 وطه له فضل على الخلق كلهم  
 ولولاه ما حج المقام وكعبه  
 ومن نوره الوهاج كل منور  
 ترى الشعرا كالنمل حول محمد  
 علا ديننا روما ولقمان عالم  
 والأحزاب يسيهم بحكمة فاطر  
 وصاد جميع الكافرين بزمره  
 وشوراه في الدنيا بها كل زلفة  
 لقد رأوا الدخان حول بيوتهم  
 محمدنا لم يخلق الله مثله  
 وقد أنزل الجبار قافا بذكره  
 بطور سما والنجم ما ضوه أحمد  
 به الله رحمن وفي وقمة جرى  
 وقد سمع الغفار دعوة أحمد  
 صفقنا بجمع للأعداى فمنهم  
 يرى غيبه في الخير منهم مطلق

شرفنا وفصلنا وتبنا إلى المولى  
 وذاكره في الرعد لا يسمع الهولا  
 وفي الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا  
 فسبحان من أسرى بأحمدنا ليلا  
 ومريم في الأخرى يكون لها بعلا  
 ولكن جميع الأنبياء علا فضلا  
 فأفلح من قد طاف فيها ومن حلا  
 وفرقانه قد أخذ الكفر والبطلان<sup>(١)</sup>  
 إذا قصص في العنكبوت لهم تتلى  
 بأن السيوف أسجدت كل من ضلّا  
 وياسين قد صفت له الملأ الأعلى  
 له غافر في الحرب قد فصلت فصلا  
 وقد زخرف الكفار في دينهم جهلا  
 بجائية الأحقاف قد قتلوا قتلا  
 وفي الحجرات فضله أبدا يتلى  
 كما تذر الكفار ربح بها تبلى  
 كما قمر بل نور خير الورى أجلى  
 حديد به الكفار يحدلم جدلا  
 بمحشر، ولكن بامتحان به تبلى  
 منافق إن الكفر في درك سفلى  
 ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا

لأحمد ملك لا يوازيه سيد  
بحق لقد سالت أباطح مكة  
صحيح بأن الجن جاءت لأحمد  
لمدثر فضل القيامة واضح  
وعَمَّ بجدواه فلا من منازع  
لقد كوَّرت شمس بها انفطر السما  
ولكن بروج الجوّ تزهو بأحمد  
وغاشية كالقنجر حلت ببلدة  
وفاق الضحى حقاً جبين محمد  
فأقسم بالتين الذي عم نفعه  
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم  
وقارعة جلت وألهام الهوى  
ألم تر أن الله فضل أحمد  
أريت بأن الكوثر العذب خصه  
لقد نصر الرحمن ربى محمداً  
فيا أحمد إني بفضلك عانداً  
ونون لقد قلنا مقالا به استعمالاً<sup>(١)</sup>  
بفضل الذي قد كان نوح به استعلى  
ومزمل كان الغمام له ظلالا  
أناه ، وجمع الرسائل أنت سبلا  
فحيث تراه لا عبوساً ولا بخلا  
لويل أتى الكفار وأنشَقَّ واستولى  
وفى طارق الأفلاك فضله الأعلى  
بها حرم أمن كشمس جلت ليلاً  
كما بانسراح الصدر قد خصه المولى  
وبالقلم الأعلى لقدّر له أعلى  
وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى  
ووالعصر إن الويل يقرهم نزلاً  
لأمن قریش حينما سلكوا السبلا  
به وجميع الكفر لن يردوا أصلاً  
فأردى أباهب ولم يكتسب نيلاً<sup>(٢)</sup>  
إذا غسق الديجور ناديت يا مولى

ولم أقف على غير هذه الأبيات من هذه القصيدة ، وقد سقط منها كما رأيت سورة  
الناس ، فقلت مكملًا على نمطه :

ويا مالكا للناس إني لأند  
بغفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا  
ويا رب عاملنا بما أنت أهله  
من الجود والرحمى وإن لم نكن أهلا

(١) لا يوازيه : أراد لا يساويه

(٢) أردى : أهلك ، و « أباهب » تقرأ بسكون الهاء لإقامة الوزن

وَصَلَّ عَلَى مَسْكِ الْخَتَامِ مُحَمَّدٌ أَنْتُمْ صَلَاةً تَمْلَأُ الْحُزْنَ وَالسَّهْلَا

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضي أبي الفضل عياض التي ضمنها سور القرآن  
على المهيح الماضي آنفاً ، وهي : الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ، وبين في سورة البقرة  
أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه ، وجعل في الأعراف  
أنفال توبة يونس وأر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة ،  
وسبح الرعد بحمده ، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر أنه  
إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه ولا يظلمون قلامه<sup>(١)</sup> ، وجعل  
في حروف كهيعص سرا مكتوناً قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء  
ليظهر إجلاله وإعظامه ، وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء  
صاروا كالتمل ذلاً وصغاراً لعظمته ، وظهرت قصص العنكبوت فأمن به الروم ،  
وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم ، نزل به الروح الأمين على زين من وافى القيامة ،  
وأوضح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لرب الأحزاب فسبأ فاطر السموات أهل  
الطاغوت ، وأكسبهم ذلاً وخزياً وحسرة وندامة ، وأمدَّ ياسين صلى الله عليه وسلم  
بتأييد الصافات فصَادَ الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم في القلب  
مكدوس ومكبوب حين شالت بهم النعامه ، وغفر غافر الذنب وقابل التوب  
للبدريين رضى الله عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت  
عليه كلمة العذاب وأيس من السلامه ، ذلك بأن أمرهم شورى بينهم وشغلهم زحرف  
الآخرة عن دخان الدنيا فجتوا أمام الأحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم  
يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، فأعطوا الفتح وبوئوا حجرات الجنان وحين تلوا قاف  
والقرآن المجد وتدبر واجواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نعيم الحقيقة وانشق لهم

خطبة  
للقاضي عياض  
تضمن التورية  
بأسماء سور  
القرآن

(١) الكهف : الغار في الجبل يتحصنون به ، والملجأ : المكان تلجأ إليه وتتل  
نفسك فيه ، والقلامة - بضم القاف - أضلها ما يقع من الظفر إذا طال .

قر اليقين فنافروا السّامه ، ذلك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم الجادلون وأخرجوا من ديارهم لأوّل الحشر يخربون يموتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامه .

أحمد حمد من امتحنته صفوف الجوع في نفق التغابن فطلق الحرّيات حين اعتبر الملك وعامه ، وقد سمع صريف <sup>(١)</sup> القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه ، وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامة ، وأنس بمرسلات النبا فنزع العبوس من تحت كور العامه ، وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسييح الملك الأعلى وغشيت الشهامة ، فورب الفجر والبلد والشمس والليل والضحي لقد انشرفت صدور المتقين ، حين تلاو سورة التين ، وعلق الإيمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه يبين ، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليّله ونهاره وصيامه وقيامه ، إذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديّات ليطلقوا نور القارعة ، ولم يلههم التكاثر حتى تلاو سورة العصر والهمزة وتمثّلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أرايتهم كيف جعلوا على رؤسهم من السكور عامه ، فالسكور مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن هلب الطامه ، وبسورة الإخلاص قروا وسعدوا ورب القلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة نال بها منازل الكرامة ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت في الأييك <sup>(٢)</sup> حَمَامَة ، انتهت .

وعن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس

(١) صريف القلم : صوته

(٢) الأييك : أراد الشجر الملتف

أحمد بن أبي جمعة الوهراني ، وفي نفسي من نسبتها له شيء لأن نفس القاضي في  
البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم .

وكنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عبي ومفيدى ولي الله تعالى العارف  
المعروف بشيخ الشيوخ الإمام المفتي الخطيب سيدى سعيد بن أحمد المقرئ -  
صَبَّ الله عليه سجال الرضوان ! - خطبةً من هذا النمط نصها :

خطبة  
لعم المؤلف  
تعارض خطبة  
القاضى عياض

الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران  
رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا ، ومدّ مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال  
كرمه وحقه على أهل القوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا ، ونجى هودا  
من كربه وحزنه ، كما خلص يوسف من سجنه وجبه ، وسبح الرعد بحمده ويمنه ،  
واتخذ الله إبراهيم خليلا ، الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا نوع  
باختلاف ألوانه ، وأوحى إليه بنحى لطفه سبحانه ، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه ،  
وأرسل روحه<sup>(١)</sup> إلى مريم فتمثل لها تمثيلا ، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج  
والكتاب المكنون ، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون ، إذ جعل نور  
الفرقان دليلا ، وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق  
نعته ، وشهدت النمل بصدق بعثه ، وبين قصص الأنبياء فى مدة مكثه ، ونسج  
العنكبوت عليه فى الغار سترامسدولا ، وملئت قلوب الروم رعباً من هيئته ، وتعلم  
لقمان الحكمة من حكمته ، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته ، وهزم الأحزاب  
وسباهم وأخذهم أخذاً وبيلا ، فلقبه فاطر السموات والأرض بياسين كما نفذ حكمه  
فى الصافات ، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات ، وفرق زمر المشركين وصبر  
على أقوالهم وهجرهم هجراً جميلا ، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

(١) الروح : جبريل ملك الوحي ، وأخذ هذا من قول الله تعالى : ( أرسلنا إليها  
روحنا فتمثل لها بشرا سويا )

وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام  
وخفي دخان الشرك وخزّت المشركون جاثية كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون  
سبيلا ، وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز ،  
وحجر الحجرات الحريز ، وبقاف القدرة قتل الخراصون تقيلا ، كلم موسى على جبل  
الطور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ،  
وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة  
المجادلة في أمته ، إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مقيلا ، امتحنه في صف الأنبياء  
وصلى بهم إماما ، وفي تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغاين خسرا وإرغاما ،  
فطلق وحرم تبارك الذي أعطاه الملك وعلم القلم ورتل القرآن تريلا ، وعن علم  
الحاقة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ،  
وأنت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه : يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ،  
فكم من مذكر يوم القيامة شفقة على الإنسان إذا أرسلَ مرسلاتِ الدمع فعم يتساءلون  
أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك<sup>(١)</sup> وتولاهم  
بالعذاب ، وكوّرت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كشيابهيلا<sup>(٢)</sup> ، فويل  
للمطففين إذا انشقت السماء بالغيام ، وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ  
للقيام ، وعزاسم ربك الأعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا ،  
فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذا عابنوا التين والزيتون وأشجار  
الجنة فسجدوا باقرا اسم ربك الذي خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار  
ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا بتبيلا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل  
الزلزلة من صديق ولا حميم ، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(٣)</sup> الجحيم ، وزلزلت

(١) مالك : خازن النيران (٢) السكتيب : مجتمع الرمل ، والمهيل : المنهال

(٣) سواء الجحيم : وسطها ، وفي القرآن الكريم : (فاطلع فراه في سواء الجحيم)

بهم قارعة العقاب وقيل لهم : ألهاكم التكاثر ، هذا عصر العقاب الأليم ، وحُشِر  
 الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلًا ، وقالت قريش : ما أمنتكم من  
 هول الحشر ، أرايت الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر ، وسيق  
 الكافرون إلى النار وجاء نصرُ الله والفتح فتبت يدا أبي لهب إذ لا يجد إلى سورة  
 الإخلاص سبيلًا ، فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ونعوب برب الناس ملك  
 الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق ، وتتوب إليه ، وتوكل عليه ،  
 وكفى بالله وكيلًا . انتهى

ومن إنشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبي المجد عبد المنعم ابن الشيخ  
 الفقيه العدل أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي رحمه الله  
 تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر (١) :

ومن نظم ابن جابر المذكور قوله :  
 جعلوا لأبناء الرسول علامة      إن العلامة شأن من لم يشهر  
 نور النبوة في كريم وجوههم      يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

من نظم  
ابن جابر

وفي هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقي :  
 أطراف تيحان أتت من سندس      خضر بأعلام على الأشراف  
 والأشرف السلطان خصَّهم بها      شرفا لتفرقهم من الأطراف

في معناه  
شمس الدين  
الدمشقي

والأشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون  
 الصالحى الأتقى ، رحمه الله تعالى !

وقال الرحالة بن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح  
 ابن الملك المنصور ما نصه : وله المكارم الشهيرة ، وليس بأرض الشام والعراق

(١) سقط من جميع أصول هذا الكتاب ما أراد أن يثبت المؤلف من إنشاء  
 الشريف الطنجالي ، ولعله ييض له ليكتبه ، ثم عدت العوادي دون إتمام ما شرع فيه

ومصرأ كرم منه ، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطايهم جريا عل سنن أبيه ،  
قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي المواري الكفيف مادحا فأعطاه  
عشرين ألف درهم ، انتهى .

ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى :

من شعر  
ابن جابر أيضا

لا أحسب البدر في حسن يقاومه  
فكيف يصرف عنه الصبّ لأئمه

وفي الخيام ومن لي بالخيام رثا  
مثل الغزالة إن تاهت وإن طلعت

وقوله رحمه الله تعالى :

فالطرف يبصر نورا حين يبصره  
والنغر نظا إذا ملاح جوهره<sup>(١)</sup>

في القلب من حبه بدر أقام به  
تشابه العقد حسنا فوق كبته

وقوله :

وإذا أنت لتقوم قال لها اقمدي  
فوقعت منها في المقيم المقعد

ردف أقام لنا بها فتن الهوى  
أبصرتها ما بين ذاك وبين ذا

وقوله :

وقال لي أنت بوصلى حقيق<sup>(٢)</sup>

ما بين كاسات وروض أنيق<sup>(٣)</sup>

هذا هو الروض وهذا الرحيق<sup>(٤)</sup>

ما بين نعام وبين العقيق

قال : أما تحشى ؟ أما تستفيق ؟

هذا هو الرمح وهذا شقيق

سامح بالوصل على بخله

فقلت ما رأيك في نزهة

فقال يعنى خده واللى :

فبت من دمي ومن خده

وإذ تذلت على حبه

قدى وخدى خفهما يافتي

(١) اللبة - بفتح اللام وتشديد الباء - النحر ، يقول : إن عقده ونغره ( يريد

أسنانه ) قد تشابها ، كل منهما لؤلؤ أبيض ناصع البياض .

(٢) بوصلى حقيق : جدير . (٣) روض أنيق : مونق معجب .

(٤) الرحيق : الحجر ، شبه به ريقه .

وقوله :

وَقَفَّتْ لِلوداعِ زَيْنَبُ لَمَّا رَحَلَ الركبُ والمدامع تسكب  
مسحت بالبنان دمعى ، وحلو سكب دمعى على أصابع زينب

رجع لأولاد رجع إلى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى .

لسان الدين

ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه ومخدومه الوزير لسان

الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجوّ بينه وبينه ، جوابا عن رسالة خاطب بها  
لسان الدين بن الخطيب أولاده صدر نظم لم يحضرنى ذلك الآن قوله :

مالي بحمل الهوى يدانٍ من بعدما أعوزَ التّداني  
أصبحت أشكوه من زمان ما بت منه على أمان  
ما بال عينيك تسجّمان والدمع يرفضُ كالجمان<sup>(١)</sup>  
ناداك والإلف عنك وان والبعد من بعده كوّانى<sup>(٢)</sup>  
يا شقة النفس من هوان لجج في أبحر الهوان  
لم يثنه عن هواك ثان يا بغية القلب قد كفانى

وقال بعض الحفاظ في ترجمة أبي الحسن على بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته  
من ترجمة على بن لسان الدين عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق : إنه أخذ عن جماعة غيرهم ، كالشريف

القاضى الفقيه أبى على الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسنى السبتي نزىل  
تلمسان ، والفقيه الإمام العلامة قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبى عبد الله  
محمد المقرئ التلمسانى القرشى ، والشريف العالم أبى القاسم محمد بن الفقيه العالم المعلم  
لكتاب الله تعالى أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن  
موسى بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن إدريس بن الحسن بن محمد بن الحسن

(١) تسجّمان : ينسكب دمعهما ، والدمع يرفض : ينزل ويهيمى ، والجمان - بضم

الجميم - الفضة . (٢) الإلف - بالكسر - الأليف ، ووان : اسم الفاعل من « ونى نى » أى فتر .

بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم ، وليس إدريس المذكور هنا بملك المغرب وجد الأدارسة .

قال : وروى أيضا عن القاضي ابن شبرين الإشبيلي ثم السبتي نزيل غرناطة ، والقاضي أبي البركات البلقى ، والكاتب صاحب القلم الأعلى أبي جعفر بن صفوان القيسى المالكي ، وابن خاتمة ، والفقيه الحاج أبي القاسم محمد بن الفقيه الصالح العالم أبي عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبي القاسم محمد الغساني الرحبي نزيل فاس ، وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الأئمة الأعلام ، نجوم الإسلام ، ١ هـ .

وقد وقفت للكفعمي رحمه الله تعالى في شرح بديعته على خطبة وقصيدة من هذا النمط . قال رحمه الله تعالى ما نصه :

ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزة ، في قنبا عزيزة ، وجعلناها في مدح سيد البرية ، وتورياتها في السور القرآنية ، فكان لسورها قاريا ، ولمعارجها راقيا ، وعلل وانهل من شرايها السكري ، وفكه نفسك بتسجيها العبقري ، وهي هذه :

الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة من بين الأنام ، وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الأنعام ، ومنحهم (١) بأعراف الأنفال وكتب لهم براءة من الآثام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي نجى يونس وهو دأو يوسف من قومهم برعد الانتقام ، وغذى إبراهيم في الحجر بلعاب النحل (٢) ذات الإسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء وحجج المؤمنين ونور فرقان الملك العلام ، فالشعراء والنمل بفضلته تحبر ، ولقصص العنكبوت الروم تذكر ، ولقيمان في سجدة يشكر ، والأحزاب كأيادي سبا تقهر (٣) ، وفاطريس لصافاته ينصر ، وصاد مقلة زمره

خطبة  
الكفعمي في  
نسق سور  
القرآن

(١) منحهم : أعطاهم . (٢) لعاب النحل : الشهد .

(٣) يقال « تفرق القوم أيدي سبا » و « أيدي سبا » أى تفرقا لا يرتجى بعده

تنظر الأعلام ، قال حم بقتال فتحه في حجرات قافه قد ظهرت ، وذاريات طوره  
ونجمه وقره قد عطرت ، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت ، وأبصار  
معانديه في الحشر يوم الامتحان حسرت ، وصف جمعته فأنز إذ أجساد المنافقين  
بالتغابن استعرت ، وله الطلاق والتحرير ومقام الملك والقلم فناهيك به من مقام ،  
وفي الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر ، وخصه من بين الإنس والجن  
ببأياها المزمّل وبأياها المدثر ، وشَفَّعه في القيامة إذا دموع الإنسان مرسلات  
كالماء المتفجر ، ووجهه عند نبأ النازعات وقد عبس الوجه كالهلال المتنور ، ويوم  
التكوير والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متبضجر ،  
وقد حرست لمولده السماء بالطارق الأعلى وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المردة  
الثام ، فهو البلد الأمين وشمس الليل والضحي الخصوص بانسراح الصدر ، والمفضل  
بالتين والزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر ، شجاع البرية يوم  
الزلال إذ عاديّات القارعة تدوس أهل التكائر ومشركي العصر ، أهلك الله به الهُمَزَة  
وأصحاب القيل إذ مكروا بقریش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر ، الخصوص  
بالدين الحنيفي والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالتصر ، صلى الله عليه  
وعلى آله وأصحابه ماتبت يدا معاديه ، ونعم بالتوحيد مواليه ، وما أفصح فلق الصبح  
بين الناس وامتد الظلام :

قصيدة له  
في نسق سور  
القرآن

ولتشفع هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن ، في مدح سيد ولد عدنان ، يحسن  
هنا أن ننضى عن فرائد نفائسها لطلابها ، ما أغدق من خُبرها وستورها<sup>(١)</sup> ، ونجلى  
عن خرائد عرائسها لخطابها ، ما أسدق من غررها في خدورها ، فانظر إلى سور  
أبياتها وصور تورياتها ، ثم ادعُهن يأتينك سعيا ، لحفظها لها ووَعيا ، وهي هذه :

(١) تقول « أغدق الليل » أى أرخى ستوره ، و « أغدقت المرأة قناعها على  
وجهها » أى أرسلته ، والجر - بضمين - جمع خمار ، وهو القناع .

يامن له السبع المثاني تنزل وخواتم البقره عليه أنزل  
 في آل عمران النساء لم يلدن نظيره أعياد ذلك تفعل  
 مولى له الإنعام والأعراف والأنفال والحكم التي لا تجهل  
 بعلاء توبة يونس قبلت كذا هود ويوسف رعدهم يتجلجل  
 وكذلك إبراهيم في حجر له والنحل في الإسرا عليه تعول  
 يا كهف مريم أنت طه الأنبيا والحج ثم المؤمنون الأفضل  
 يا نور يا فرقان يا من مدحه نطق به الشعراء وهو المرسل  
 والنمل في قصص الحديث به وعليه نسج العنكبوت مسدل  
 والروم تقول اسمه ولكم به لقمان حقا في المضاجع يسأل  
 وبعرمه الأحزاب جمعهم سبأ وبه الملائكة الكرام تفضل  
 يس سماء الإله بذكره وكواكب بسعوده لا تأفل  
 يا ليتني صاد شربت بكأسه وعليه في زمر وردت فأنهل<sup>(١)</sup>  
 كم مؤمن قد فصلت أعلامه من زخرف بجده يا من يعقل  
 ودخان جاثية على أحقابها بقتاله أطفى وفتح أدخل  
 حجرات قاف ذاريات سمائه في طورها نجم منير يكمل  
 ودنا له القمر المنير وشقه الرحن واقعة له لا تجهل  
 زغف الحديد بحربه أصواتها رعد مجادلة لقوم أبسلوا  
 وله لدى الحشر العظيم شفاعة في أمة بالإمتحان تسربلوا  
 عن صف جمعه المنافق نائيا يوم التغابن من حديد يفعل  
 يامن به شرع الطلاق ومن له التحريم والملاك العظيم الأجل

(١) صاد : اسم فاعل من « صدى يصدى » أي ظمى وعطش ، والزمر :

جمع زمرة - بالضم - وهي الجماعة ، و « أنهل » أشرب

يا من به ذو النون لاذ يمينه  
 يا من سأل نوح بظاهر اسمه  
 مدثر يوم القيامة شافع  
 يا من نزول المرسلات يبعثه  
 والنازعات نزعن نفس عدوه  
 وهو الشفيع إذا المنيرة كوّرت  
 ولدى ذوى التطفيف وَّيل والسما  
 والله قد حرس السماء بطارق  
 وأزال غاشية العذاب ونوره  
 بلد أمين ثم شمس أشرقت  
 شمس الضحى من وجهه ولصدره  
 يا من أتى في التين حقا ذكره  
 يا من ليالى القدر بينة له  
 بالعاديات أزال قارعة العدا  
 ولقد أتى من قبل عصر نبينا  
 هو صاحب الإيلاف والدين الذى  
 والكافرون لنصره فى جيدهم  
 يا خاتما فلق الصباح كوجهه  
 أحياتها ميقات موسى عدة  
 صلى عليه الله مع أصحابه  
 لما أصيب بحاقة لا تعدل  
 يا من أته الجن يا مزمل  
 ومخلص الإنسان وهو الموثل  
 يا أيها النبأ العظيم الأكل  
 هذا ، وقد عبس الجبين وأذهلوا  
 والإنفطار من السماء يعجل  
 فى الانشقاق إذا البروج تبدل  
 لولادة الأعلى به يتفضل  
 كالنجم إذ أنواره تتهلل  
 والشعر ضاهى الليل بل هو أليل  
 الأنشراح وقلبه لا يغفل  
 فاقراً ولا يرتاب فيه واسألوا  
 وعده بالزلال منه تزلزلوا  
 وبقوله ألهام ما تجهل  
 ويل لأهل الفيل منه وقتلوا  
 يسقى غدا من كوثر يتسلسل  
 مسد إذا التوحيد عنه تعدل  
 والناس منه مكبر ومهال  
 والكفعمى بمدحه يتجمل<sup>(١)</sup>  
 ما زال طير العندليب يعندل

(١) فى ب « والكفعمى فى مدحه يعجل » وكتب بهامشها : « هكذا فى الأصل ، ولا يخفى ما فيه ، فاعمل الأولى \* والكفعمى بمدحه يتوسل » ا ه ، وأثبتنا ما فى خ .

والكفعمي هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر عتمة<sup>(١)</sup> ترجمة  
قرية من قرى أعمال صفد ، كما تقول في النسبة إلى بني عبد الدار : عبدري ، وإلى  
حصن كيفا : حصكني ، وشرحه لبديعته سماه « نُور حَذَاقَة البديع ، ونُور حديقَة  
الربيع » وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع .

ومن نظمه في أسماء الكتب :

يا طريق النجاة بحر فلاح أنت دفع الموم والأحزان<sup>(٢)</sup>  
أنت أنس التوحيد عدة داع ثم روح الإحيا وفلك المعاني  
نهج حي ونثر در نبیه ورياض الآداب ذكرى البيان  
فائق رائع مسرة راض منتهى السؤل جامع للأمانى  
نزهة عدة ظرائف لطف روضة منهج جنان الجنان  
فصحاح الألفاظ فيه تلقى وشذور العقود والمرجان  
وهو قوت القلوب نهج جنان وكنوز النجاح والبرهان

فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك ، وأكثر هذه الكتب التي ورى بها  
غير موجودة بأيدي الناس ، بل ولا معروفة لديهم ، وهذا دليل على صحة اطلاعه .  
ومن بدائع الكفعمي المذكور رسالة كتب بها إلى قاضي القضاة العالم العلامة  
أبي العباس بن الفرفورى في شأن أستا دار قاضي القضاة المذكور الأمير علاء الدين ،  
ويخرج من أثنائها قصيدة منها : يقبل الأرض وينهى (سلام) عبد لكم (محب)  
وعلى المقة مكب (لوبدا) للناظرين (عشر) معشار (شوقه) \* وغرامه (لطبق)  
ذلك (ما بين) آفاق (السموات) السبع (والأرض) لشدة هيامه (تراه) حقاً (لكم)  
حافيا (بالأمن) والسرور (والسعد) والخبور (داعيا) \* لا جرم (وهذا) الثناء

(١) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في ياقوت « كفر غما بالغين المعجمة  
والميم المشددة والألف مقصورة - وهو صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب .  
(٢) في ب « يا طريق النجاة »

المتوالى و (الدعا) للمقام العالى (لاشك من لازم القرض) ملكه الله تعالى أزيمة<sup>(١)</sup>  
 البسط والقبض (وأنجاءك) ربى من المصاعب (فى) دينك و (دنياك) وأنقذك  
 (من) شر (كل) صغير (شدة) وكبيرها (وأرضاك) وجعلك أمينا (فى) الأرض ،  
 إلى (يوم القيامة) والنشور (والعرض ، كما أنت) أمن (لى) من المخاوف و (عون)  
 فى كل شدة (وغوث) وملجأ (وعدة \*) وأنجحت آمالى (ووفرت) بإخداذك  
 (لى مالى) وأحسن قرضى (ووفرت) بإجلالك (لى عرضى ، ويُنهى) المملوك (إلى)  
 سيده<sup>(٢)</sup> (قاضى القضاة) وكافى الكفاة (بأن) المتولى الأمين (ذا \*) (الفخر المبين  
 (على ابن) المرحوم (فخر الدين) قوله (فى أمركم) العالى (مرضى) وفعله مقضى  
 (ومدحكم) عليه (فرض) واجب (يراه) أبدا (لسانه \*) (ويذكر المناقب) (وحكمكم)  
 له واختياركم (إياه) دال بأنه أمير حكيم (شاهده) حقا (يقضى) بجمعه على خزائن  
 الأرض إنه حفيظ عليم (حديث) مدح (سواكم) ليس من مدائح ، و (لايمز)  
 أبدا (بقلبه \*) وجوارحه (وإن مر) فى خاطره (لايحلو) قطعاً (وحكمكم) عليه  
 شرعا ، ومرسومكم (يمضى) وأمركم يقضى (يتيه) سرورا (به) رؤساء الشام ، و (من  
 فى القبيبات) من الأنام ، (عزة \*) وعلوا (لخدمته) الشريفة (إياك) ولأنه (ياقاضى)  
 قضاة الدين و (الأرض) لا يريد سواك ، (فإن يك) الخادم المذكور (فى) بعض  
 (أفعاله) غافلا (أو) فى (مقاله \*) غير كامل و (عصاكم) فى بعض الأمر (فعين  
 العفو) والستر (عن ذنبه) لاجرم (تُقضى) ، وهو بتوبته إليه يُقضى ، و (سلام) الله  
 (عليكم) ورحمته لديكم (كلما) نطق ناطق أو (ذر) فى المشارق (شارق) \*  
 ومادارت الأفلاك ، (وسبحت) بلغاتها (الأملاك ، فى) فسيح (الطول و) رحب  
 (العرض) ، دوما ما بين السماء والأرض

وهذه أبيات القصيدة المتولدة من هذه الرسالة :

(١) الأزيمة : جمع زمام ، وهو فى الأصل ما تقاد به الدابة .

(٢) ينهى إليه : يبلغه ويخبره

سلام محب لو بدا عُشْرُ شوقه      لطبق ما بين السموات والأرض  
 تراه لكم بالأمن والسعد داعيا      وهذا الدعا لا شك من لازم الفرض  
 وأنجلك في دنياك من كل شدة      وأرضاك في يوم القيامة والعرض  
 كما أنت لي عون وغوث وعدة      ووفرت لي مالى ووفرت لي عرضي  
 هذا ، ويصح أن يقرأ « عوناً » بالنصب على الحالية ، وهو الذى رأيت به بخطه ،  
 أغنى الكفعمى ، ثم قال :

وينهى إلى قاضى القضاة بأن ذا      على بن فخر الدين فى أمركم مرضى  
 ومدحكم فرض يراه لسانه      وحبكم إياه شاهده يقضى  
 حديث سواكم لا يمر بقلبه      وإن مر لا يحلو وحكمكم يمضى  
 يقيه به من فى القبيبات عزة      لخدمته إياك يا قاضى الأرض  
 فإن يك فى أفعاله أو مقاله      عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضى  
 سلام عليكم كلما ذر شارق      وسبخت الأملاك فى الطول والعرض

قلت : وهذه طريقة بديعة ، وقد تبارى فيها السلف ، فبعضهم يعتمد إلى أحاديث  
 أو آيات وينسج على منواله مثلها ، ويفرقها فى أبيانها أو سجعانها ، ويكتبها بلون  
 مخالف للأصل ، وقد ذكرت فى روضة الورد من « أزهار الرياض » من كلام ابن  
 عاصم مالا مزيد وراءه ، فليراجعه من أراد ، وذكرت فى غيره أيضاً نبذة .

رجع إلى نظم ابن جابر - فمن ذلك قوله :

ناديت من أسرى به      بحياة من أسرى به <sup>(١)</sup>  
 سل مدعاً تجرى به      بلكواه فى تجريبه

رجع إلى نظم  
 ابن جابر

(١) « أسرى به » الأولى مؤلفة من « أسر » مصدر أسر يأسر ، وياء المتكلم  
 ثم الجار والمجرور ، و « أسرى به » الثانية فعل مضارع مبنى للجهول والجار والمجرور  
 يقول : ناديت محبوبى الذى أسرى بسببه مقسماً عليه بحياة الرسول الذى أسرى به من  
 المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

وقوله :

أيها العاذل في حبي له      خل نفسي في جَواها تحترق  
ما الذي ضرك منه بمد ما      صار قلبي في هواه تحت رق

وله :

برد الصباح على برد الصبا سحرا      ما زال يُذْكرني أوقات نعان  
لهفي لعيش قضينا في معاهدها      ما بين حسن من الدنيا وإحسان  
وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضاً :

جعلت ملاك العين والقلب في الهوى      بناطقة القرطَيْن صامته القلب<sup>(١)</sup>  
تصحف لي ألحاظها لينَ قدها      وتقلبه كيما تصيد به قلبي  
قال بعض علماء المشرق : أجاد والله هذا العالم المغربي المقال ، وأراد أن لفظ لين  
إذا قلب صار نيلا ، وإذا صحف صار نَبَلاً ، وهذا زيادة على ما فيه من  
التحريف ، انتهى .

وقريب منه لرفيق المذكور قوله :

يفتر عن بَرَدٍ يثير ببرده      حرَّ الغرام ولا سبيل لرشفه  
أخذ الرشا من حسنه طرفالذا      نَسَبَ الورى طرف الجمال لطرفه

من شعر  
أبي جعفر رقيق  
ابن جابر

وله :

تجر فرعيها على إثرها      رافلة في حبل الحسن  
فتطلع البدر لنا في الدجى      وترسل البدر على الغصن

وله :

قد نعمنا بجزع نَعْمَانٍ لكن      عقنا البعد والعقوق قبيح

(١) ناطقة القرطين : أي أن لقرطيهما صوتا ، وإنما يكون لهما صوت إذا تدليا  
ولم يصلا إلى مستقر ، وذلك يدل على طول عنقها ؛ فهذه العبارة كناية عن طول  
العنق ، والقلب - بالضم - سوار للمرأة غير ملوى ، وصمت القلب إنما يكون لعبالة  
الساعد ؛ فهذه كناية عن ذلك .

قل لأهل الخيام أما فؤادي فخرج لكن ودي صحيح

وقوله :

مُقدّمات الرقيب كيف غدت عند لقاء الحبيب مقصّله  
تمنعنا الجمع وألّو معاً وإنما ذاك حكم منفصله (١)

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين :

رحمة أرسله الله لنا وشفيعا قد غدا فينا غدا  
وهب المال لمن مال له وفداً من ذنبه من وفداً  
ليس يُحصي فضله إلا الذي هو أحصى كل شيء عدداً

وله :

حسن النية ما استطعت ولا تتبع في الناس أسباب الهوى  
إنما الأعمال بالنيات من ينو شيئاً فله ما قد نوى

وله :

قالت وقد حاولت نيل وصالها من غير شيء لا تجوز المسألة  
بالله قل لي أين نموك يا فتى رأيت موصولاً يجيء بلا صلة

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكركته ، وقضية ابن عنين في ذلك مع المعظم دالة  
على توقد فكرته ، وما ذاك إلا أنه مرض فكتب إلى الملك المعظم :

أنظر إلى بعين مولى لم يزل يولى الندي وتلاف قبل تلافى  
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه فاغنم دعائى والثناء الوافى

(١) هذا من اصطلاح المناطق ، وعندهم أن القضية المنفصلة هي التي تمنع اجتماع طرفيهما وتمنع أيضاً أن يخلو الموضوع عن أحدهما ، وذلك في كل ما كان حرف الانفصال - وهو إما - واقعاً بين تقيضين ، مثل قولك « محمد إما أن يكون ساكناً وإما لا » ألا ترى أن محمداً لا يمكن أن يكون ساكناً وغير ساكن في آن واحد ، كما لا يمكن أن يكون غير ساكن وغير متحرك .

ابن عنين  
والملك المعظم

فعاده المعظم وأعطاه ألفاً ، وقيل : ثلثمائة ، وقال له : هذه الصلة ، وأنا العائد .  
وقال ابن جابر المذكور :

يا دار ليلي لا صمتك يد البلي      وسقائك درّ الغيث كلُّ سحاب<sup>(١)</sup>  
أصبو إلى تلك الربوع وكيف لا      أصبو وهن منازل الأحباب  
من شعر      وقال من قصيدة :  
ابن جابر أيضاً

وأطلب تشويق الأنام بحسنه      فأذكر من أسمائه كل طيب  
ومنها :

وإني لم أمدحه إلا تشوقاً      وإن كان مشهوراً بشرق ومغرب  
وقال :

شاه وجهه الرقيب إذ شاء وصلي      قري والأنام عننا نيام<sup>(٢)</sup>  
زارني بالتهار في الليل لسكن      ليل فرع يحار فيه الظلام  
وقال :

يا أيها الجائر في حكمه      إني فيما قد جرى حائر  
قدك من أعدل شيء يرى      وأنت في أهل الهوى جائر  
وقال :

قد زعم العاذل لي أنه      يهدي لي الرشد بما يصنع  
ما هو هادٍ لي ولكنه      هادٍ فسمعي قال لا تسمعوا  
وقال :

شفي فؤادي من شقاء هجره      وبِتُّ من لقياه في عيد  
وزارني يحكي غزال النقي      في الحسن لولا الخلل في الجيد

(١) صمتك : ماض مقترن بقاء التأنيث من قولهم «صمى الأمر فلاناً» إذا دخل به

(٢) شاه وجهه فلان فلا يشوه شوها وشوّهة : قبيح

وقال :

سلب القلب غزالَ قَدُّهُ      قد حكى البان لنا والسَّلْمَا<sup>(١)</sup>  
ساحر العين إذا أبصره      كاتب ألقى لديه القلما

وقال :

يكنى الأنام بسيفه وبسيبه      عقد المكاره والمكارم دائماً

وقال :

تحلت بما يحكى محاسن ثغرها      وحتَّت عقودَ الصبر منى عقودها  
ثقيلة أرداف فصَّصَ قِيامها      بما حملت منها وسهل قعودها

وقال :

أبى حسنهما إلا افتتان قلوبنا      فكم قد أباد الحسنُ فيها من الناس<sup>(٢)</sup>  
وقالت تحمل طول هجرى إن تُرِدْ      وصال ذوات الحسن قلت على الراس

وقال :

أراد إنسان أراد الرضا      منهم رجا ما ليس بالممكن  
سيان أن يعطوا وأن يمنعوا      قد ضاع فيهم كرمُ المحسنِ

وقال :

يا جيرة الحى حيا الله واديكم      فكم سرور به للقلب قد عَرَضَا  
فكم أنال حياة أستلذ بها      إذا أنا لم أنل من وصلكم غرضَا

وقال :

شبَّ حرَّ الفؤاد ماء رصابٍ      منه قد حار فيه ماء الغمام<sup>(٣)</sup>  
زان بالحلى جيده قلت ماذا      قال شيء نظمته من كلامي

(١) البان والسلم : من أشجار البادية ، شبه قوامه بهما في الاعتدال والتثنى

(٢) أباد : أهلك (٣) شب : أوقد ، والرصاب - بالضم - الريق

وقال :

صاد قلبي وصدّ عني صيدودا      واثنتي يسحب الذوائب سودا  
فرايت الصباح في الليل يبدو      وشهدت الرشا يصيد الأسود<sup>(١)</sup>

وقال :

إني سئمت من الزمان لطول ما      قد صد عن حسن الوفاء رجاله  
ومن النوادر في زمانك أن ترى      خلاّ به حمدت لديك خلاّله<sup>(٢)</sup>

وقال :

إن قابل الغصن بأعطافه      فقلّ أن تبصر من فرق  
قلت قد استعبدت كل الورى      فقال ذاك البعض من حق

وقال :

صحّ أن الصباح من وجنتيها      وغصون الرياض من معطيها  
قاتل الله عاذلى قل يوم      ليس يسمى بالعدل فيه إليها

وقال :

شدّوا محاملهم يوم الرجال وقد      محارسوم اصطبارى فقد من رَحَلَا  
هزوا الغصون على الكتبان حين مضوا      وأسبلوا فوق أقرار الدجى كِلَلَا

وقال :

خذ ترى الورد بعضا من محاسنه      تبارك الله ما أحلى شمائله  
لصارم اللحظ قد أرخى حائل من      عذاره فحى عنا خمائله

وقال :

قام حادى الركاب ليلا فنفى      فاستقام السرى وثار الفرام

(١) أراد بالصباح وجهه ، وبالليل شعره ، على طريق الاستعارة

(٢) الخل - بالكسر - الصديق كالحليل ، والخلال : الطباع والسجيا

قيل نام الأنام فاهجع قليلا      قلت دون الحبيب لست أنام  
وقال :

ترامى بنا في البيد شوق إلى الحمى      ترى عنده الأجفان منهلة الدمع  
فلما رأينا ربع من سكن الحشا      نزلنا فقبلنا ترى ذلك الربع  
وقال :

يراودني الواشي على حب غيرها      وإن محالا أن يرى مثل حسنها  
موفرة الأرداف مهضومة الحشا      يرريك التفات الظبي فاطر جفنها  
وقال :

سلت علينا سيوفا من لواظها      وما لنا من سيوف اللحظ من وافي  
أضحت لسفك دم العشاق هادرة      فأتري دية في قتل عشاق<sup>(١)</sup>  
وقال :

في خدها شبه للخال أو شية      بماحوى الحسن من أطفاسرار  
وشى من الحسن لم يحتج لصنع يد      تبارك الله هذا صنعة الباري  
وقال :

بين الجوانح لو علمت من الجوى      نار عليها سكب عيني يجمع  
فدع المدامع في مدى جريانها      فالدمع بعد فراقهم لا يمنع  
وقال :

قالوا بدارين قد قالوا وقد وردوا      ماء العقيق وبالزوراء قد باتوا  
باتوا عن العين لكن بالقلوب ثووا      وفي البعاد عن الأحباب آفات

(١) دم هدر - بالتحريك - ليس له مطالب ، ويقال « هدر فلان دم فلان »  
من باب ضرب ، ويقال « أهدر فلان دم فلان » يستعمل ثلاثيا مجردا ومزيدا فيه ،  
ويقال « هدر دم فلان » من باب جلس - فالثلاثي لازم ومتعد

وقال :

مليحة الخمد به شامة كالورد قد نُقِطَ بالغالية<sup>(١)</sup>  
قلت لها ما اسمك قولى لنا قالت فما تعرفنى غاليه

وقال :

جارية جارية فى مدى شباها من أملح الخلق  
ما بين فرق الصبح لما بدا ووجهها للناس من فرق

وقال :

لصبه منه امتداد النوى فلا يلام الدمع فى صبه  
فى قده لين فهلا قضى بقلبه منه إلى قلبه  
يريد بالقلب الأول التحويل والنقل : أى فهلا قضى بنقل اللين الذى فى قدمه  
إلى قلبه :

وقال :

يا لابس اللام والأسياف عارية قد انعطفت على الأعطاف واللام  
ويا ضجيع رماح الخط يرسلها فى كل هام لها باللحظ فى الهام  
الهام الأول : جمع هامة<sup>(٢)</sup> ، والثانى اسم فاعل من همى<sup>(٣)</sup> بهمى .  
قال رفيقه : لو قال « من الهام » لكان أليق بالمعنى وألطف .  
وقال :

من مال يبنى كسب مال له من حرّمه إن جاء أو حله  
فلا تثق يوما به واحترز منه فما يبقى على خله

(١) الشامة : العلامة ، والغالية : أخلاط من الطيب ، وغالية فى البيت الثانى اسم علم أو وصف من الغلاء وهو ارتفاع القدر .  
(٢) الهامة : الرأس . (٣) همى المطر يهيمى : انصب وتتابع .

وقال يتشوق إلى وطنه بالمرية :

لله عيش بالمرية قد ذهب      أخباره بالحسن تكتب بالذهب  
وهبت لنا تلك الليالي مدة      ثم استرد الدهر منا ما وهب

وقال :

أن من شوقه فئسار الضرام      ودري الناس أنه مستهام<sup>(١)</sup>  
لا تسل ما جرى من الدمع لما      قيل هذي النقا وهذي الخيام

وقال :

صلاة إله العالمين على الذي      أقل المطايا منه وإد من النعم<sup>(٢)</sup>  
يجود على الراجي وإن كان مذنباً      وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال :

قد سبأ قلبي غزال فأن      سل به كيف اعتدى في سلبه  
أنا لا أعتب فيما قد جرى      صفح الله له عن ذنبه

وقال :

صبرت له فمأدى به      هواه فكانت هي الفاصلة  
وأنكر برى ويا طالما      أتاني يوماً فألقى صله

وقال :

وليل نظمنا به شمانا      كما انتظم البيت بالقافية  
وفرقتا الدهر من بعد ذا      فلست من اليوم ألقى فيه  
أى فئة ، ولم يكمل التجنيس فيه إلا بتسهيل المهمة كما قال رفيقه ، ولما أنشده قال :

(١) أن يئن أنينا : حن ، والمستهام : المحب الذي هيمه هواه .

(٢) النعم - بفتح النون والعين جميعاً - الإبل .

ومن هذا النوع قولُ بعض الأندلسيين :

وقائل قال ألا صف لنا      بستاننا هذا ونارنجنا  
قلت لهم بستانكم جنّة      ومن جنى النارنج ناراً جنى  
وقال ابن جابر المذكور :

قُلْ بحق الهوى سمحت بوصل      ربة القلب أم نهاك الرقيب  
رُمْتُ نيل الوصال منها فقالت      لك وصل غداً فقلت قريب  
وقال :

زين الخلد منه صدغ كنون      قد بدا تحته عذار كلام  
قلت هذى محاسن ابن هلال      فاشنى وهو ضاحك من كلامى  
وقال :

لها حسن لها عن كل واشٍ      به قلبى فما أنا أستفيق  
على وجنتها نعيان يبدو      لنا وشفاهها هنّ العقيق  
وقال :

يمر بى ذكركم والله أحيانى      ولوسرى طيفكم ليلاً لأحيانى  
لا يعذب العيش لى بعد العذيب ولا      نعيم مثل ليالىنا بنعيمات  
وقال :

مدارة هذا الخلق أوليك بينهم      صفات هى الأبقار والنظم دَارَاتُ  
وشارات حمد المرء أن لا ترى له      على الناس مما لازم الحلم دارات  
وقال :

أرايكم أَسعى إلى خامل ، ولو      أراك مدى فى فرقد بلغ السها<sup>(١)</sup>

(١) وقع فى ب « أرى كم أَسعى إلى خامل - إلخ » ولا يستقيم معه وزن البيت ، وأثبتنا ما فى خ

وما الخير يوما من آتيم بممكن وإن كان منه الخير يوما فقد سها

وقال :

أرى حيدى عن كل طارىء نعمة  
فن أخذ المعروف من غير أهله  
أراح يدى من أن يقيدھا الذل<sup>(١)</sup>  
تروح الليالى وهو فى عنقه غلُّ

وقال :

شبا لحظھا الماضى وحسن شبابھا  
كثيب النقا من ردفھا ، وقضيبه  
هما حملا نفسى من الوجد ما بها<sup>(٢)</sup>  
لمعطفھا ، والبدر تحت نقابھا

وقال :

حل عقد الصبر منى عقدھا  
تحسب الدر على لبثھا  
إذ سبت قلبى بما فى قلبھا  
أنجما قد كلل البدر بها

وقال :

شعر كالليل يبدو تحته  
نقل السواك عن مبسمه  
قرقد حار شعرى فى صفاته  
أن ماء الورد يحمرى من لثاته

وقال :

من سن تلك المحاظ فاتبعته  
تقتل عشاقها بلا سبب  
من سنة الحب كل متبع  
وذاك فى الحب غير مبتدع

وقال :

وما شجو صال لوعة المجر قد قضى  
كشجو محب لم يذق لذة الرضا  
زمان وصال لم تكدر مشاربه  
ولا بات والغيد الحسان تلاعبه

(١) حاد يحيد - من باب ضرب - مال عنه وعدل ، والمذكور فى كتب اللغة أن

المصدر « حيد » بسكون الياء ؛ فلعله حرك الياء حين اضطر لإقامة الوزن

(٢) الشبا : جمع شبابة - بفتح الشين - وهى فى الأصل حد السيف

وقال :

سَرَتْ في رحال العيس منه أهلة  
فأيسر حال أن أزودها قلبي  
بعيشك قل لي هل دروا كيف علتي  
وفيض دموعي بعد منصرف الركب

وقال :

من جنى باللاحاظ زهر المعاني  
هو قد نال كل ما يتمنى  
من جناب الحمى إذا الناس ناموا  
وسَعت في مراده الأيامُ

وقال :

لطائف حسنها بر بوع قلبي  
لطفك تكاسلا في اللحظ منها  
لتحسبه تنبه من منام  
لجأتني للغرام

وقال :

إذا رُزّت حَيًّا بالعقيق فخيهم  
حرام فراق العيس حتى تحلني  
وذكرهم عهدي وحق ودادي  
بواديه من تلك الوجوه بوادي

وقال :

من فرط ما في الطرف من فتنة  
قالت نسيت العهد قلت اكفي  
قد غلب الحب على الناس  
عني فما عبدك بالناسي

وقال :

بين نعمان وسلع ملأ  
كلني منهم ييدر حلّ في  
ليس منهم لمحب ألم<sup>(١)</sup>  
فلك العليا فاعرف من هم

وقال :

أراقبها وحين أرى سبيلا  
أقاربها فتتفر كالغزال<sup>(٢)</sup>

(١) نعمان وسلع : موضعان يكثر ذكرهما في شعر المشاركة

(٢) بين « أراقبها » و « أقاربها » ضرب من الجناس

وقالت أنت مرتقب لماذا فقلت لها ارتقابي للهلال  
وله من قصيدة مطوّلة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت ، فما يختص منها  
بأبي بكر رضي الله تعالى عنه قوله :

فمنهم أبو بكر خليفة الذي	له الفضل والتقديم في كل مشهد
وصديق هادي الخلق والمؤثر الذي	لإنفاقه المال في الله قد هدى
وصهر رسول الله وابنته التي	يبرئها أي الكتاب المجد
وصاحبه في الغار إذ قال لا تخف	فقالنا ذو العرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حيلة	هناك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفي خير الأمام تسامعوا	بمكة صوت الهاتف المتقصد
(جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتي أم معبد) <sup>(١)</sup>
وعتق بلال حسبه فهو سيد	تأمل في الإسلام إعتاق سيد
وقال رسول الله إن آمنكم	على أبو بكر وأوفى بموعده
فصدّق إذ كذبتم ، وأطاع إذ	عصيتم ، ووافاني موافاة مُسعد
ولو أنني من أمّي كنت آخذاً	خليلاً تولى خلتي وتوددي
لكان أبو بكر ولكن أخوة	في الأسلام مهماتنقص الناس تزد
فلما أراد الله قبض نبيه	وصار إلى دار النعيم الخلد
تقدم في نيل الخلافة بعده	ياجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة	فلمّا رأته الحق لم تتردد
وقام علىّ بعد ذلك مبايعا	فأثنى ثناء الخالص المتودد
وأظهر عذرا في تأنيبه صادقا	وبايع طوعاً لا لفقدان مسند) <sup>(٢)</sup>

(١) هذا بيت من الشعر يذكر أصحاب السير أن أهل مكة أصبحوا يوماً - بعد

هجرة الرسول - يسمعون منشداً ينشده ولا يرونه

(٢) يريد أن علياً كرم الله وجهه لم يبايع لأنه فقد الأعوان والآنصار ، وإنما

بايع عن طواعية واختيار بعد أن اعتذر عن تأخره بمواساة زوجه فاطمة الزهراء

فَأَبْ بِحَمْدِ مِنْهُمْ غَيْرَ قَاصِرٍ      وَمَنْ يَتَّبِعِ الْإِنصَافَ وَالْحَقَّ يَحْمَدُ  
وَمَا أَشْبَهَ الصَّدِيقَ فِي الْفَضْلِ مِثْلَهُ      وَلَا أَحْصَيْتُ أَوْصَافَهُ بِتَعْدَدِ  
وَمَا يَخْتَصُّ بِعَمْرِ رَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَوْلُهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَيَتَّبِعُهُ فِي فَضْلِهِ عُمَرُ الَّذِي      رَمَى عَنْ قَسَى الصَّدَقِ قَوْسَ مَسَدٍ  
وَمَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّعَادَةَ نَالَهَا      وَلَكِنَّهُ مِنْ يَسْعَدُ اللَّهُ يَسْعَدُ  
هُوَ الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الْحَقُّ صَاحِبًا      وَلَا قَعْدَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ بِمَقْعَدِ  
وَلَا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا قَدْ اغْتَدَى      لَهُ سَالِكًا مِنْ خَوْفِهِ الْمَزِيدِ (١)  
وَمَنْ ظَلَمَهُ قَدْ كَانَ يَنْفِرُ هَيْبَةً      لَهُ حَيْثُمَا أَضْحَى بِرُوحٍ وَيَغْتَدَى  
وَقَدْ جَاءَ عَنْهُمْ مَا بَرَحْنَا أَعْزَةً      بِإِسْلَامِهِ فَانْكَفَ مِنْ كَانَ يَغْتَدَى  
وَمَنْ فَضْلُهُ رَعَى النَّبَى بِغَيْرَةٍ      لَهُ فَانْتَبَهَ عَنْ قَصْرِهِ الْمُتَشِيدِ  
وَقَدْ قِيلَ لِلْفَارُوقِ هَذَا ، وَمَنْ بِهِ      فَأَنْبَاهَ عَنْ هَذَا النِّعَمِ الْمُؤَبَّدِ  
فَأَقْبَلَ يَبْكِي قَائِلًا كَيْفَ غَيْرَتِي      عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي  
وَرَوَّيَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْقَدَحِ الَّذِي      تَقَاوَلُ مِنْ دَرَبِهِ رِيَةَ الصَّدَى  
فَمَا زَالَ يَبْدِي شَرِبَهُ وَيَعِيدُهُ      إِلَى أَنْ غَدَا مِنْ ظَفَرِهِ الرِّىَ يَبْتَدِي  
فَأَوَّلَهُ الْعِلْمَ الَّذِي مِنْهُ نَالَهُ      وَأَوَّلَ رَوَّيَا الدُّلُو حَسَنَ التَّأْيِدِ  
فَصَارَتْ لَهُ غَرَابًا فَارَوَى بِهَا الْوَرَى      فَكَانَ افْتِتَاحَ الْأَرْضِ فَتَحَ عَمْدِ  
كَذَاكَ قَمِيصٌ مَفْرَطُ الطُّوْلِ سَابِغٍ      وَلِلنَّاسِ قَمِيصٌ بَعْضُهَا يَبْلُغُ التَّئِدِي (٢)  
فَأَوَّلَ خَيْرِ الْخَلْقِ طَوْلَ قَمِيصِهِ      بِمَا حَازَ فِي إِيمَانِهِ مِنْ تَشِيدِ  
وَتَفْرِيقِهِ مَا بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ      بِيَوْمِ سَقَى الْكُفَّارَ أَفْطَعَ مَوْرِدِ

(١) هذا من نص حديث ورد في شأن عمر « ما سلك عمر جأ إلى سالك الشيطان جأ غيره » كناية عن سداذه وتوقيفه .

(٢) هذا من حديث رواه البخاري وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في نومه قوما يلبسون قمصا فنههم من يبلغ قميصه ثديه ورأى عمر بينهم يلبس قميصا سابغا ، وأول لأصحابه ذلك بالإيمان .

وسمى بالفاروق من أجل هذه  
وحسبك أن الله وافق رأيه  
كذا في أذان والحجاب وجعلهم  
شديد على أهل الهوى رحمة لمن  
وما قد رَوَوْا إن كان في أمة فتى  
وما أبغض الفاروق إلا مفارق  
ولدين الهدى ذو مذهب لم يسدد

وما يختص بعثمان رضي الله تعالى عنه قوله :

وحسبي عثمان بن عفان أنه  
إمام صبور الأذى وهو قادر  
هو الجامع القرآن والقانت الذي  
ويقطع بالصوم النهار وينثني  
وقال رسول الله في بئر رومة  
له الجنة العليا بذلك فاشترى  
فقال رسول الله إذ جاءه بما  
هنيئا لعثمان بن عفان فعله  
وقول ألا أبدى حياء لمن له  
وبلغ بشرى الهاشمي بأنه  
ولم يرض صونا للدماء بحربهم  
فمات شهيدا صابرا فهو خير من  
على بنتي الحُتار أرخى ستوره

عليه اعتمادى وهو سؤلى ومقصدى  
حلیم عن الجاني جميل التعود  
إذا جنَّ ليل ليس يأوى لمَرَقِدِ  
مدى ليله في خشية وتهجد  
أما مشتر يبغي بها الأجر في غد<sup>(١)</sup>  
وتجهز جيش العسرة أذكر وعدد  
قد احتاج من مال وظهْر وأعبد<sup>(٢)</sup>  
وما ضره ما بعد مع هذه اليد  
قد استحت الأملاك أشرف محدد  
من الجنة العليا بأكرم مقعد  
وكان متى يستنجد القوم ينجد  
على نفسه في غير حق قد اعتدّى  
فناهيك من مجد وعز مجد

- (١) من فضائل ذى النورين عثمان بن عفان أنه اشترى بئر رومة وجعلها للمسلمين ، وأنه جهز جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام العسرة .
- (٢) الظهر : الركائب ، سميت بذلك لأن راكبها يمتطي ظهرها ؛ فهو من تسمية الشيء باسم جزئه لأن لهذا الجزء مزيد اختصاص .

ولم يدع ذا النورين إلا لأنه حوى بيته نورين من نور أحمد  
وإن لعثمان بن عفان رتبة من المجد تسمو عن سمالك وفرقد  
ومما يختص بعلي رضي الله تعالى عنه قوله :

وإن عليا كان سيف رسوله وصهر النبي المجتبى وابن عمه  
وزوجه رب السما من سمائه بخير نساء الجنة الغر سؤودا  
فباتا وجلُّ الزهد خير حالاها وقد آثرا بالزاد من كان يجتدى  
فآثرت الجنات من حلل ومن حلّ لها رَعْيًا لذلك التزهد  
وماضر من قد بات والصوف لبسه وفي السندس العالي غدا سوف يقتدى  
وقال رسول الله إني مدينة من العلم وهو الباب والباب فاقصِدْ<sup>(١)</sup>  
ومن كنت مولاه علي وليه ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد<sup>(٢)</sup>  
وإنك مني خاليا من نبوة كهرون من موسى وحسبك فاحمد<sup>(٣)</sup>  
وكان من الصبيان أوّل سابق إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد  
وجاء رسول الله مرتضيا له وكان عن الزهراء بالمتشرد  
فمسح عنه التراب إذ مس جلده وقد قام منها آلفا للتفرّد  
وقال له قول التلطف « قم أبا تراب » كلام المخلص المتوّد  
وفي ابنه قال المصطفى ذان سيّدا شبابكم في دار عز وسؤود  
وأرسله عنه الرسول مبلغا وخصّ بهذا الأمر تخصيص مفرد

(١) يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

(٢) ويروى أنه قال « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه »

(٣) ويروى أنه قال لعلي « أما ترى أن تسكون مني بمنزلة هرون

من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي »

وقال هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي من القوم فاقْتَدَ  
وقد قال عبد الله للسائل الذي أتى سائلا عنهم سؤال مشدد  
وأما عليّ فالتفت أين بيته وبيت رسول الله فاعرفه تشهد  
وما زال صواما منيبا لربه على الحق قواما كثير التعبد  
قُنُوعًا من الدنيا بما نال معرضا عن المال مهما جاءه المال يزهد  
لقد طلق الدنيا ثلاثا، وكلما رآها وقد جاءت يقول لها ابعدي  
وأقر بهم للحق فيها وكلهم أولو الحق لكن كان أقرب مهتد

ومنها في ذكر السُّبُطَيْنِ رضي الله تعالى عنهما :

وبالحسينين السيدين توشلي بحدهما في الحشر عند تفردي  
هما قرناعين الرسول وسيدا شباب الوري في جنة وتخلد  
وقال : هما ريحانتي ، أحب من أحبهما ، فاصدقهما الحب تسعد  
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا وماذا عسى يُحْصِيهِ منهم تعددي  
فمن صدره شبه الحسين أجله وللحسن السامي مزايا كقوله  
سَيُصْلِحُ رَبُّ الْعَالَمِينَ به الوري وإن تطلبوا ابنا للنبي فلن تروا  
بدا سيدا ظهر الرسول قد ارتقى فقالوا له طال السجود فقال لا  
وكان الحسين الصارم الحازم الذي ولكما ابني خِفْتُ إن قمت يشرد  
شبيهه رسول الله في البأس والندی متى يقصر الأبطال في الحرب يشدد  
وخير شهيد ذاق طعم المهند

(١) يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شأن الحسن السبط رضي الله تعالى عنه « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » .

لمصرعه تبكي العيون وحققها  
فبعدا وسحقا لليزيد وشمره

فالله من جرم وعظم تودد  
ومن سار مسرى ذلك المقصد الردى

ومنها في ذكر حمزة رضى الله تعالى عنه :

ومن مثل ليث الله حمزة ذى الندى

فكم حز أعناق العداة بسيفه

فقال رسول الله : هذا أمرته

وقال أبو جهل : أجبت محمدا

وأهوى له بالقوس ما بين قومه

وقال له : إننى على دينه فإن

فذل أبو جهل وأبدى تطففا

فعاد وقد نال السعادة واهتدى

وفى يوم بدر حث عند سؤلهم

لمن كان أعلام بریش نعامة

فذاك الذى والله قد فعلت بنا

وفى أحد نال الشهادة بعد ما

ففاض وأضحى سيد الشهداء فى

وصلى رسول الله سبعين مرة

وقال : مصاب لن نصاب بمثله

وزاد إلى فضل العمومة أنه

وما زال ذا عرض مصون عن الأذى

كریم متى ما أوقد النار للقرى

مُبِيد العدا مأوى الغريب المطرود<sup>(١)</sup>

وذبح عن الخنثار كل مشدد

ولى أسد صار لى كل مشهد

لما شاء فاهتز هزة سيد

ونال وأخرى بالحسام المهند

أطقت فرج عن طريقى واررد

مقرأ بقبج السب فى حق أحمد

وأضحى لدين الله أكرم مسعد

لما شهدوا من بأسه المتوقد

يشردنا مثل النعام المشرود

أفاعيله فى الحرب ما لم نعوّد

أذاق سباعا للردى شر مورد

ملائكة الرحمن يسعى ويفتدى

عليه إلى ثنتين عند التعدد

وإن كان لى يوم سأجزى بأزيد

أخوه رضاعا هكذا المجد فاشهد

ومال مهان فى العطايا مبسود

(تجد خير نار عندها خير موقد)

ومنها فى ذكر العباس رضى الله تعالى عنه :

وقد بلغ العباس فى المجد رتبة	تقول لبدر التم : قصرت فابعد
ألا إنه فضّل السقاية قد حوى	فكان لوفد الله أكرم مورد
وكان طويل الباع فى الكاس والندى	كرىما متى يسترفد القوم يرفد
ويوم حنين ليس ينسى ثباته	ودعوته مستنجداً كل منجد
وقال رسول الله فيه على ما	عليه وأيضاً مثله فى التزيد
ألا إن عم المرء صنو أبيه كى	يزيدهم فى بره التزايد
وبشّره أن الخلافة فى الورى	لأولاده من سيد ومسود
بشيبته استسقوا إذ المحل شامل	فجاءهم غيث سقى كل فدفد

وهذا ماوقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة ، وليس بيدي الآن ديوان شعره حتى أكتبها بكاملها فإنها مناسبة لهذا الباب الذى جعلناه ختماً لكتاب كما لا يخفى ومن مقطوعات ابن جابر :

شغفت بها حيناً من الدهر لم يكن	سوى سكب دمعى فى محبتها كسبى
وما أضلُّ هذا كله غير نظرة	إلى مقلة منها أضعت لها قلبى

وقال :

قد بان عذرى فى مليح له	لحظاً رشاً يلحظ من ذعر <sup>(١)</sup>
إنى على الهجر مطيع له	متمثل فى السر والجهر

وقال :

هذا الرشا يقنص ليث الشرى	بنظرة منــــه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوماً له	الكان من أول ما يقنص

(١) الرشا : ولد الظبية الذى تحرك ومشى ، وأصله الهمزة ، لأنه سهل الهمزة بقلبها ألفاً ، والدعر - بالضم - الخوف

وقال :

ظليمة في ثغرها لَعَسٌ<sup>(١)</sup>      يجتنى من رشفه عسل<sup>(٢)</sup>  
سلك التيه بمقلتها      مسلكا قد زانه كسل

وقال :

رقم الخال خدها فرأينا      قمر الأفق فيه نقطة ليل  
قلت أين الكتيب والغصن قالت      كل ما قد ذكرته تحت ذيلي<sup>(٣)</sup>

وقال :

إن خفت من فتك المهند والقنا      فإذا رنت وإذا مشت لانتقرب  
في قلب برقعها محاسن أنزلت      قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال :

رأى عذولي حسنها بعدما      حقق كوني للهوى جانحا  
فقال إن كنت محبا لها      فقد حمدنا رأيك الناجحا

وقال :

ذكر الله بالمرية عيشا      لست عن ذكره الجميل أحول  
طال عهدي بها وما دمت حيا      لا يزيد الرجاء بل قد يطول

وقال :

مرت ليالٍ بالمرية طالما      قضيت من ليل بهنٍّ مآربا  
لم أسأل عن تلك الديار وإنما      جعل القضاء لكل نفس غالبا

وقال :

لا تعقني عن العقيق فإني      بين أكنافه تركت فؤادي

(١) اللعس - بالتحريك - سمرة الشفة

(٢) الكتيب : ما اجتمع وتراكم من الرمل ، شبه به ردفها ، كما شبه قدها بالغصن ، وجعلهما تحت ثوبها .

وعلى تَرْبِهِ وَقَفْتُ دَمُوعِي      وَلِسْكَانَهُ وَهَبْتُ وَدَادِي

وقال :

عَرَفَ الْمَنْزَلَ الَّذِي دَارَ فِيهِ      زَمَنَ الْأَنْسِ وَالشَّبَابِ الْفَضِيرِ  
فَشَجَاهُ قَلْبَ التَّلَاقِ فِرَاقًا      وَانْتَنَى عَنْهُ ذَا فَوَادٍ كَسِيرِ

وقال :

جَمَالَ هَذَا الْغَزَالُ سَحَرُ      يَا حَبِذَا ذَلِكَ الْجَمَالِ  
هَلَالَ خَدَّيْهِ لَمْ يُغَيِّبْ      عَنِّي وَإِنْ غِيبَ الْهَلَالَ  
غَزَالَ أَنْسٍ يَصِيدُ أَسَدًا      فَاعْجَبْ لِمَا يَصْنَعُ الْغَزَالُ  
دَلَالَهُ دَلَّ كُلَّ شَوْقٍ      عَلَيَّ إِذْ زَانَهُ الدَّلَالُ  
كَمَا لَهُ لَا يَخَافُ نَقْصًا      دَامَ لَهُ الْحَسَنُ وَالْكَمَالُ  
نَبَالَهُ قَدْ بَرَّتْ فَوَادِي      يَا حَبِذَا تَلَكُمُ الْفَبَالُ  
حَلَالَ وَصَلَى لَهُ حَرَامُ      وَحَكَمَ قَتْلَى لَهُ حَالُ  
زُلَّالُ ذَاكَ الْحَمَى حَيَاتِي      وَأَيْنَ لِي ذَلِكَ الزَّلَالُ  
قَتَالَهُ لَا يَطَاقُ لَكُنْ      يَعْجِبُنِي ذَلِكَ الْقَتَالُ

وقال :

إِذَا جِئْتَ نَجْدًا كَرَّمَ اللَّهُ عَهْدَهُ      فَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ الْمَنَازِلِ مِنْ نَجْدِ  
لَنْ حَالٍ بَعْدَ الدَّارِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ      فَإِنِّي لِأُرْعَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْبَعْدِ<sup>(١)</sup>

وقال :

خَجِلْتُ عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا      وَانْتَنَى وَهْيَ بَيْنَ تَيْمِهِ وَمَنْعِ  
إِنَّمَا وَرَدُ خَدَّهَا زَرْعُ طَرْفِي      حِينَ مَرَوْا فَكَيْفَ أَمْنَعُ زَرْعِي<sup>(٢)</sup>

(١) حال : كان حائلا ومائعا من التواصل

(٢) شبه حمرة خدها عند الحجل بحمرة الورد

وقال :

لك نفسى إذا بدت لك نجد  
فلتلك الخيام عندي عهد  
فلقد سرنى الزمان بنجد  
وأبى الله أن أضيع عهدي

وقال :

سل عن القوم إن بدت لك سلع  
لى على تلسم المعاهد دمع  
فقوادى عند الذين بسلع  
كاد يغنى بها عن اللث دمعى<sup>(١)</sup>

وقال :

صفحوا عن محبهم وأقالوا  
لست أستوجب الوصال ولكن  
من عثار النوى ومثوا بوصل  
أهل تلك الخيام أكرم أهل

وقال :

مال الزمان بهم غنى وقد بعدوا  
إنى لأخشى وما الأيام طوع يدى  
لم يلهى عنهم أهل ولا مال  
أنى أموت ولى فى القلب آمال

وقال :

بين وادى النقا وبان المصلّى  
إن يكن قد نوى لى الدهر قربا  
فتية ألبسوا الوجود جمالا  
منهم فهو قد كفى نوالا

وقال :

زرت الديار عن الأحبة سائلا  
ونزلت فى ظل الأراكه قائلا  
ورجعت أبكيهم بدمعى سائلا  
والربع أخرس عن جواب قائلا

وقال :

لا أوحش الله المنازل منهم  
فاشكر لدهرك أن أراك بحاجر  
منهم غدت تلك الديار حسانا  
بار الحى وأراكه قد بانا

وقال :

لك يا وادى العقيق علينا  
فن البر أننى أتبرّى  
كل ما شئت من ذمام وثيق  
من عقوق لمنزل بالعقيق

(١) لث المطر — من باب نصر — دام أياما ولم يقلع

وقال :

يا أهل ذى سلم بشرى لمستلم      ذاك الثرى مقدم فى السير لم ينم  
يؤم داراً بها خير الورى      الخاتم الرسل من عرب ومن عجم  
ولنقتصر من كلام ابن جابر فى هذا الموضع على هذا المقدار ، وإنما أطنبت فيه  
لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين فى عدم توفيقه فى حق المذكور وحق  
رفيقه ، مع أنه أطال فيمن دونهما من أهل عصره ، وأيضاً فإن كلاهما غريب  
عندنا بالمغرب ، لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار ، وكان خبرهما  
فى الشرق أشهر .

وأما رفيقه شارح بديعيتيه فقد ذكرنا فى غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ،  
ولنزيد هنا ما تيسر ، فنقول : من نظمه :

من كلام  
أبى جعفر رقيق  
ابن جابر

لما عدا فى الناس عقرب صدغها      كفت أذاه من الورى بالبرقع  
والصبح تحت خمـارها متستر      عنا متى شئت تقول له اطلع

وقال :

تجنت فجنى فى الهوى كل عاقل      رآها وأحوال الحب خنوب  
وما وعدت إلا غدت فى مطالها      كذلك وعد الغانيات يكون

وقال :

لا تجددوا فى الهوى على كلف      نظيره فى الغرام لن تجددوا  
لهفان ما يشتكى إلى أحد      ظمان غير الدموع لا يجد

وقال :

رب ليل قطعته بالجزيره      فتذكرت أهلنا بالجزيره  
قصّر الأنس ما تطاول منه      وكذا أزمن السرور يسيره

قال : والجزيرة الأولى المراد بها حص المحيط بها النهر المسمى بالعاصي ، والثانية جزيرة الأندلس .

وله أيضا :

ومالى والتزين يوم عيد      وجيدُ صباقتى بالدمع حالى  
وقد أرسلت أشهبها بريدا      وبعد كميّتها يني بحالى

والمراد بالأشهب الدمع الذى لا يشوبه شيء ؛ وبالكميّات الدمع المشوب بالدم ، وفى شرح البديعية وقد ذكر العقيق بعد كلام ما نصه : قلت : وكان هذا الوادى المبارك زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ذا قصور محقّقة ، وحدائق ملتفة ، وبنيان مشيد ، ونخل طلعه نصيد ، وجنات تؤقى أكلاها كل حين ، وسواقٍ تجرى به بماء معين ، ثم لعبت به أيدي السنين ، وغيّرت معلمه فصار عبرة للناظرين ، فلم يبق من معاهده إلا آثار تشهد بحسنه ، ونصرة نعيم تدل على ما سلف من نصارة غصنه ، وقد خرجنا إلى هذا الوادى أيام مجاورتنا بالمدينة الشريفة ، وهو يتدفق بمائه ، ويعارض بجوهر حبّابه أنجم سمائه ، وقد سالت شعابه ، وقاض عبّابه ، والناس تفرقوا فى جهاته ، واقتروشوا غض نباته ، والشّيح قد توشح بالندى ، والأنس قد راح به وغدا ، والأصيل مذهب الرداء ، والبيداء مخضرة الأنداء ، وبحافتيه آثار قصور ، ليس لها فى الحسن قصور ، قد بليت وحسنها جديد ، وخربت وربّما بالأنس مشيد ، انتهى .

ومن بديع نظمه قوله :

مهلا فما شيمُ الوفا منقادة      لمن ابتغى من نيلها أو طارا<sup>(١)</sup>  
رُتبُ المعالى لا تنال بحيلة      يوما ولو جهد الفتى أو طارا<sup>(٢)</sup>

(١) الأوطار هنا : جمع وطر — بالتحريك — وهو الحاجة

(٢) « أوطارا » مركبة من « أو » العاطفة ، و « طار » فعل ماض

وقوله رحمه الله تعالى :

على وادى العقيق سكبت دمعى      بلا عين فيبدو كالعقيق  
فكم غُضُنْ وَرَيْقٍ مِنْهُ يَحْكِي      قوام رشاشه فم وريق<sup>(١)</sup>

وقال :

سألتك بالله يا من غدا      يصرف بالقلب أفعاله  
تدارك محبا بدرياق وصل      فإن بعادك أفعى له

وقال :

لا تأمننه على القـلو      ب فنه أصل غرامها  
فلحـاظه منـ التي      رمت الورى بسهامها

ومن فوائده رحمه الله تعالى في شرح البديعية مانصه : ومن غريب ما في «لدى»

أن أبا على حكى في تذكرته عن المفضل أنها أتت بمعنى «هل» وأنشد :

لدى من شَبَابٍ يُشْتَرَى بِمَشِيب      وكيف شبابُ المرء بعد ذهاب ؟

رجع - وقال رحمه الله تعالى يتشوق إلى خجراء غرناطة :

دامت على الخجاء حر مدامعى      والقلب فيما بين ذلك ذائب  
طال المـدى بى عنهم ولربما      قد عاد من بعد الإطالة غائب

وقال :

ما هبَّ من نحو السبيكة بارق      إلا غدا شوق لقلبي سالكا  
والله ما اخترت الفراق لربها      لكن قضاء الله أوجب ذلكا

وقال :

منازل سلمى إن خلت فلطالما      بها عمرت في القلب منى منازل

(١) وريق في صدر البيت : وصف معناه الكثير الورق ، و «وريق» في آخر

البيت مؤلف من واو العطف و «ريق» وهو ماء الفم

رسائل شوقى كل يوم تزورها وماضيَّتْ عند الكرام الرسائل  
وقال :

بجور الوداع لنا موقف أذاب الفؤاد لأجل الوداع  
فما أنا أنسى غداة النوى وحادى الركائب للبين داعى  
قال : وجور الوداع موضع بظاهر غرناطة عادة من سافر أن يودع هناك.  
وقال :

ناولته وردة فاحرّ من خجل وقال : وجهى يغنى عن الزهر  
الخد ورد ، وعينى ترجس ، وعلى خدى عذار كريحان على نهر  
وقال رحمه الله تعالى فى التشريع <sup>(١)</sup> :  
يا راحلا يبنى زيارة طيبة نلت المنى ، بزيارة الأخيار  
حىّ العقيق إذا وصلت وصف لنا وادى منى ، بأطياب الأخبار  
وإذا وقفت لدى المعرف داعيا زال العنا ، وظفرت بالأوطار  
وقال :

يا أولا فى المرسلين وآخرا الله خصك بالكمال ليرضيك  
من قبل آدم قد جعات نبيه قدما فقدّمك الإله ليعليك  
أوحى إليك لكى تكون حبيبهُ ويتم نعمته عليك ويهديك  
وقال :

صيرتنى فى هواك اليوم مشتهرا لاقيس لىلى ولا غيلان فى الأول <sup>(٢)</sup>  
زعمت أن غرامى فيك مكتسب لا والذى خلق الإنسان من عجل

(١) التشريع : أن تبني القصيدة على أن يكون كل بيت منها بحيث إذا حذف  
بعضه صار بيتا من ضرب آخر ، وقد بينا لك فى ثلاثة الأبيات مكان القافية التى تبني  
عليها الأبيات لو حذف بعضها .

(٢) قيس : مجنون لىلى ، وغيلان : هو ذو الرمة صاحب مية

وقال :

لا تعادى الناس فى أوطانهم      قلما يُرعى غريب الوطن  
وإذا ما شئت عيشا بينهم      «خالق الناس بخلق حسن»

وقال :

نسختى اليوم فى الحجة أصل      فعليها اعتماد كل عميد  
نقلوا مرسى المدامع منها      وصحيح الهوى بغير مزيد  
قد رواها قبلى جميلٌ وقيس      حين هاما بكل لحظ وجيد

ومن فوائده : أنه لما أنشد فى « طراز الحلة » قول سعد الدين محمد بن عربى فى ابن مالك \* إن الإمام جمال الدين فضله \* إلى آخره قال ما ملخصه : ولما أورده الصفدى فى « فض الختام » قال : هذا فى غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى « الفوائد » وإنما هو « تسهيل الفوائد » فذكر المضاف إليه دون المضاف ، وهى تورية ناقصة ، قلت : ابن مالك له كتابان : أحدهما « الفوائد » صنعه أولا ثم صنع « تسهيل الفوائد » بعده ، وكأنه سهّل فيه كتاب الفوائد ، وكنت وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد ببليدنا غرناطة فلما وصلنا إلى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده ، وتبادى الأمر على ذلك إلى سنة ٧٦٠ ، فوجدناه فى حلب ، وهو الآن عندنا ، وهو عزيز الوجود ، ولذلك خفى على القاضى صلاح الدين ، انتهى و بعضه بالمعنى .

وقال أبو جعفر أحمد المترجم به : كتبت إلى صاحبنا الشيخ بدر الدين خليل الناسخ :

مَدَدْتَ النوى وقَصَرْتَ اللقا      أَرْضَى بهذا وأنت الخليل<sup>(١)</sup>

(١) هذا من مصطلح النحاة ، الممدود الاسم الذى آخره همزة منقلبة ألف بعد ألف زائدة مثل « حمراء » ومنه « اللقاء » والمقصود : الاسم الذى آخره الف لازمة قبلها فتحة ولكنه أراد المعنى اللغوى ، مددت : أى طولت ، وقصرت اللقا : أى جعلت أوقات اللقاء قصيرة .

وتترك أحمد ذا وحشة لديك وأنت له ابن جليل

وقال :

قد كان لى أنس بطيب حديثكم والآن صار حديثكم برسول  
ولقد مددت من النوى مقصوره إن الخليل يراه غير جميل<sup>(١)</sup>  
وله رحمه الله تعالى :

ما للنوى مدت وأنت خليلنا ولقبل قد قصرت برغم الكاشح  
أتبعت فى ذامذهبا لا يرتضى أبدا وليس رأى فيه بصالح  
وله :

ولما رأى الحساد منك التفاتة إلى جانب اللهو الذى كان مرفوضا  
أضافوا إلى عليك كل نقيصة حقيق لدينا بالإضافة مخفوضا  
وله :

حُسْنُكَ ما بين الورى شائع قد عرّف الآن بلام العذار  
جاء منه مبتدا للهوى خبره الأس مع الجلنار  
ولنقتصر على هذا المقدار إلى هنا .

رجع إلى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى :

وقد قدمنا أن على بن لسان الدين كان نديم السلطان وخاصته ، كما ذكرنا فى  
مخاطبته لابن مرزوق فى الباب الخامس قوله : فالسلطان يراء الله تعالى يوجب  
ما فوق مزية التظيم ، والولد هدام الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا  
الإقليم ، والخاصة والعامة تعامل بحسب ما بكتته من نصيح سليم ، وترك لما بالأيدى

عود  
إلى ذكر على  
بن لسان الدين  
بن الخطيب

(١) فيه تورية بالخليل بن أحمد شيخ النحاة ، وأراد بالخليل الصديق ،  
وزيد ملاحه التورية أن يكون اسم المكتوب إليه « خليلا »

وتسليم ، وتدير عاد على عدوها بالعذاب الأليم ، إلا مَنْ أبدى السلامة وهو من إبطان الحسد بحال السليم ، انتهى .

ولقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصيح وغيره .

ومن نصائحه رحمه الله تعالى ما كتب به على لسان السلطان ، ونصه : من عبد الله أمير المسلمين محمد وَصَلَّ الله تعالى سَعْدَهُ ، وبلغه من فضله العظيم قَصْدَهُ ، إلى أوليائنا المخصوصين منا ومن سَلَفْنَا بِذِمَامِ الجوارِ القريب ، والمساكنة التي لا يتطرق إلى حقها الذي بنى استرابة المستريب ، المعتمدين إذا عُدَّتِ الرعايا ، وذكرت المزايا ، بمزيد الاعتناء والتقريب ، من الأشياخ الجِلَّةِ الشرفاء والعلماء ، والصدور الفقهاء ، والعدول الأذكياء ، والأعيان الوزراء ، والحَمَمَةُ المدافعين عن الأرجاء <sup>(١)</sup> ، والأمناء الثقات الأتقياء ، والكافة الذين نصل إليهم عوائد الاعتناء ، ونسير فيهم بإعانة الله تعالى على السبيل السَّوَاءِ ، من أهلِ حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى ورَبِّصِهَا ، شَرَحَ اللهُ تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صُدُورَهُمْ ، وكَتَفَ بنتائج الاستقامة سرورهم ، وأصلح بعنايته أمورهم ، واستعمل فيما يرضيهم أميرهم وأمورهم .

سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد حمد الله الذي إذا رضى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا ، والذكرى لبناء المتأب أساسا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي هَدَانَا إلى القَوْزِ العظيم ابتغاء لرحمته والتماسا ، والرضا عن آله الذين اختارهم له ناسا ، وجعلهم مصاييح من بعده اقتداء واقتباسا ، فإننا كتبناهم إليكم - كتب الله تعالى إعزازكم ! وحرس أحوالكم ! وجعل للعمل الصالح اهتزازكم <sup>(٢)</sup> ! وبقبول النصائح امتيازكم ! - من مستقرنا بمحروسة

(١) الأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية

(٢) اهتزازكم ، هنا : ارتياحكم ومسرة أنفسكم

الحراء ، حمّاهما الله سبحانه ، ولا متعرف بفضل الله تعالى إلا هداية تظهر على الأقوال والأعمال ، وعناية تحف من اليمين والشمال ، وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال ، وأنتم أولياؤنا الذين لا ندّخر عنهم نصحا ، ولا نُهمل في تدبيرهم ما يشرُّ بُحْتًا ، وبحسب هذا الاعتقاد لا نفعل عن نصيحة ترشدكم إذا غفلتم ، وموعظة نقضها عليكم إذا اجتمعتم في بيوت الله واختلقتم ، وذبح<sup>(١)</sup> عنكم تارة بسلم نَعْقِدُها ، ومطاوله نَسَدُّها ، وتارة بسيوف في سبيل الله تعالى نخدّدها ، وعساكر للشهادة رددنا ، ونفوس بوعد الله نعدّها<sup>(٢)</sup> ، ونرضى بالسهر اقتنام أجفانكم ، وبالكدّ لتستريح صبيانكم وولَدَانُكم ، وباقتحام المخاوف ليتحصل أمانكم ، ولو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلنا ، أو أمكننا أن لا تفضلكم رعية بصلاح دين أو دنيا لعلنا ، هذا شغل زماننا منذ عرفنا ، ومَرَمَى همتنا مهما استهدفنا ، وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم ، ومَلَأْنَا طاعتكم ، وحرّم علينا إضاعتكم ، والراعى إذا لم يقصد بسأعته المراعى الطيبة ، وينتجع مساقط الغائم الصبيّة ، ويوردها الماء الفير ، ويتغّلها النماء والشمير ، ويُصلح خللها ، ويُدّأو علالها ، قل عَدَدُها ، وعدمت غلتها وولدها ، فندم على ماضيته في أنفسه ، وجنى عليها وعلى نفسه ، وألفيناكم في أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه ، وملأت أيديكم مواهبه وقسمه ، وشغل عدوّكم بفقته قومه فنتمم للعافية فوق مهّاد ، وبعد عهدكم بما تقدم من جهّد وجهاد ، ومُخَصَّصَة<sup>(٣)</sup> وسُهاد ، فأشفقنا أن يجرّكم توالى الرخاء إلى البطر ، أو تحمّلكم العافية على الففلة عن الله تعالى وهى أخطر الخطر ، أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه ، أو تستعينوا على معصيته بنعمه ، فن عرف الله تعالى في الرخاء وجده في الشدّة<sup>(٤)</sup> ، ومن استعد في المهل وجد منفعة

(١) ذب : دافع (٢) كذا (٣) المخصصة : المجاعة

(٤) هذا من حديث رواه ابن عباس ، وفيه «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»

العدة ، والعافلُ من لا يغتر في الحرب أو السلم بطول المدة ، فالدهر مُبلى الجِدَّة ،  
 ومستوعب العِدَّة ، والمسلمون إخوانكم اليوم قد شُفِلوا بأنفسهم عن جبركم ،  
 وسلموا لله في نصركم ، ونشبت الأيدي ولا حول ولا قوَّة إلا بالله بشغركم ،  
 وأهمتهم فتن تركت رسومَ الجهاد خالية خاويه ، ورياض الكتائب الخضر  
 ذابلة ذاويه ، فإن لم تسمروا لما بين أيديكم في هذه البرهة فاذا تنتظرون ؟ وإذا لم  
 تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون ؟ وإذا لم تستعدوا في المهل فتى تستعدون ؟  
 لقد خسر من رضى في الدنيا والآخرة بالدون ، فلا تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله  
 إلا القوم الخاسرون ، ومن المنقول عن المِثْل ، والمشهور في الأواخر والأول ، أن  
 المعصية إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم ، وأظلم ما بينهم وبين ربهم ،  
 وانقطعت عنهم الرحمت ، ووقعت فيهم المثلَّات <sup>(١)</sup> والنفات ، وشحَّت السماء وغبض  
 الماء ، واستولت الأعداء ، وانتشر الداء ، وجفَّت الضُّروع ، وأخلفت الرضوع ،  
 فوجب علينا أن نستميلكم بالموعظة الحسنة ، والذكرى التي توقظ من السَّنة <sup>(٢)</sup> ،  
 وتقرع آذانكم بقوارع الألسنة ، فأزعوا الشيطان بوغيها ، وتقربوا إلى الله تعالى  
 برغيها ، الصلاة الصلاة فلا تهملوها ، ووظائفها المعروفة فكلوها ، فهي الركن  
 الوثيق ، والعلم المائل على جادة الطريق ، والخاصة التي يميز بها هذا الفريق ،  
 وبادروا صفوفها المائلة ، وأتبعوا فريضتها النافلة ، وأشرعوا إلى تاركها أسنة  
 الإنكار ، واغتنموا بها نواشئ الليل وبوادي الأسحار ، والزكاة أختها المنسوبة ،  
 ولدتها المكتوبة المحسوبة ، فمن مَنعها فقد بخل على مولا ، باليسير مما أولاه ،  
 وما أحقَّه بذهاب هبة الوهاب وأولاه ، فاشتروا من الله تعالى كرائم أموالكم  
 بالصَّدقات ، وأنفقوا في سبيله برحمتكم أضعاف النفقات ، وواسوا سؤالكم كلما نصبت

(١) المثلث : ما أصاب القرون الماضية من العذاب ، واحدها مثلة ، بفتح الميم

وضم الناء المثلثة (٢) السنة - بكسر السين - النوم

الموائد ، وأعيدت للترفُّه العوائد ، وأزعوا حق الجوار ، وخذوا على أيدي الدَّعرة<sup>(١)</sup> والفجار ، وأخرجوا الشَّنَّان<sup>(٢)</sup> من الصدور ، واجعلوا صلة الأرحام من عزِّم الأمور ، وصونوا عن الاعتياب أفواهكم ، ولا تعودوا السفاهة شفاهكم ، وأقرضوا القرض الحسن إلهكم ، وعلّموا القرآن صبيانكم ، فهو أسُّ المبني ، وازرعوه في تراب تراثهم فعمى أن يُجنى ، ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح ، وردوا السلام على مَنْ بقية الإسلام أفصح ، وجاهدوا أهواءكم فهي أولى ما جاهدتم ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وثابروا على خلق العلم والتعلم ، وحفوا بمرآة التكلم ، وتعلّموا من دينكم ما لا يسمعكم عند الله تعالى جهله ، ويتبين أنكم أهله ، فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية بُرّه وشعيّره ، ورعاية شاته وبعيّره ، ولا يقوم على شيء يخلص به قاعدة اعتقاده ، ويُعِدّه منجاة ليوم معاده ، والله عز وجل يقول ولقوله يرحل المنتجعون (أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وانثقوا من الحوادث الشنيعة ، والبدع التي تفت في عضد الشريعة ، فقد شن علينا الملبسة بأهل التصوف الغار ، ونال حملتها بل جملتها بإغماضهم الصغار ، وتوؤل المعاد والجنة والنار ، وإذا لم يَغِر الرجل على دينه ودين أبيه فعلى مَنْ يَغَار ، فالأنبياء الكرام وورثتهم العلماء ، هم أئمة الاقتداء ، والأكواكب التي عينها الحق للاقتداء ، فاحذروا معاطب هذا الداء ، ودسائس هذه الأعداء ، وأهم ما صرفتم إليه الوجوه ، واستدفعتم به المكروه ، العملُ بأمره جل وعلا في الآية المتلوّة ، والحكمة السافرة المجلوّة ، من ارتباط الخيل وإعداد القوّة ، فمن كان ذا سعة في رزقه ، فليُتم لله بما استطاع من حقه ، وليتخذ فرساً يعمر محلته بصهيله ، ويَقننه من أجل الله وفي سبيله ، فكم يتحمل من عيال يلتمس مرضاتهن باتخاذ الزينة ، ويتنافس في أن

(١) الدعرة : جمع داعر - بالدال المهملة - وهو الخبيث ، ووقع في ب «الدعرة»

بالدال معجمة (٢) الشَّنَّان : البغض والكراهية

يكون من أشرف المدينة ، ومؤنة الارتباط أقل ، وعلى الهمة والدين أدل ، إلى ما فيه من حماية الحوزة<sup>(١)</sup> ، وإظهار العزة ، ومن لم يحسن الرمي فليتدرب ، وباتخاذ السلاح إلى الله فليقترب ، وقبل الرمي تُرَاش السَّهام ، وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام ، والسكة الجارية في حوادث نواديكُم ، وأثمان العروض التي بأيديكم ، من احتف حروفها ، ونكر معروفها ، أو سامح في قبول زَيْف ، أو مبخوس حيف ، فقد اتبع هواه ، وخان نفسه وسواه ، قال الله عز وجل ( أوفوا السَّكِيل ولا تكونوا من الخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ) وتعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه إنما بعثه الله مجاهداً وبالحق قاضياً ، وعن المفوآت حليماً متفاضياً ، فتمسكوا بحبله ، ولا تعدلوا عن سُبُلِه ، يُرَوِّكُم الله تعالى من سَجَلِه ، ويراعكم من أَجَلِه ، مُرَاعَاة الرجل لِنَجَلِه ، فهو الذى يقول ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ) ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ) وإن كان في وطنكم اليوم سَعَه ، وقد ألخفكم أمن من الله تعالى ودَعَه ، فَأَحْسَبُوا أنكم في بلد محصور ، وبين لحي أسدٍ هَـصُور ، واكتنفكم بحر يعب عُبابه ، ودار بكم سُورٌ بيد عدوكم بابه ، ولا يدرى متى ينتهى السَّلم ، وينشعب السَّكَمُ<sup>(٢)</sup> ، فإن لم تكونوا بقاء مَرُصُوصا ، وتستشعروا الصبر عموماً وخصوصاً ، أصبح الجناح مقصوصاً ، والرأى قد سلبته الخيرة ، والمال والحريم قد سلبت فيه الضغانة والغيره ، وإن شاء الله تَهَبُّ رِيح الحمية ، ونصرة النفوس على الخيالات الوهمية ، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والله مُتِمُّ نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل الظهور مقروناً بعدد كثير ، ولو مثل جراد مزرعة

(١) الحوزة - بفتح الحاء وسكون الواو - الناحية ، وبيضة الملك

(٢) ينشعب : ينصدع وينفتق ، والسكَم : الجرح

أنارها مثير ، بل بإخلاص لا يبقى لغير الله افتقارا ، ونفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا ، ووعد يصدق ، وبصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحق ، وهذا الدين ظهر مع الغربة ، وشظف القربة ، فلم ترعه الأكامرة وفيولها ، والقياصرة وخيولها ، دين حنيف ، وعلم منيف ، من وجوه شطر المسجد الحرام تولى ، وآيات على سبعة أحرف تتلى ، وزكاة من الصميم تلتقى ، ومعارض ترتقى ، وحج وجهاد ، ومواسم وأعياد ، ليس إلا تكبير شهير ، وأذان جهير ، وقوة تعد ، وثغور تسد ، وفيء يقسم ، وفخر يرسم ، ونصيحة تهدي ، وأمانة تؤدي ، وصدقة تحفي وتبدي ، وصدور تشرح وتشفي ، وخلق على خلق القرآن تحذى وتقفي<sup>(١)</sup> ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا العقد قد سجل ، والوعد به قد عجل (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ولا ينقطع لهذا الفرع عادة وصله ، ما دام شبيها بأصله ، وإنما هو حلب لكم زبدته المخوضه ، وخلاصته المخوضه ، والعاقبة للمتقين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ، وحضرتكم اليوم قاعدة الدين ، وغاب<sup>(٢)</sup> المجاهدين ، وقد اخترعت بنا أيامنا هذه وأيام والدنا المقدس الأنار الكبار ، والحسنات التي تنوالت بها الأخبار ، وأغفلت إلى زمنكم الحسنة المذخورة ، والمنقبة المبرورة ، وهي بيارستان يقيم منكم المرضى المطرحين ، والضعفاء المغتربين منهم والمعترضين في كل حين ، فأنتم تطؤونهم بالأفدام ، على مر الأيام ، ينظرون إليكم بالعيون السكليلة ، ويعربون عن الأحوال الذليلة ، وضرورتهم غير خافية ، وما أنتم بأولى منهم بالعافية ، والمجانين تكثر منهم الوقائع ، وتقشونهم إماتة العهد الذائع ، عار تحظره الشرائع ، وفي مثله تسدُّ الذرائع ، وقد فضلتهم أهل مصر وبغداد ، بالرباط الدائم والجهاد ،

(١) هذا حذوه : اتبع طريقه وسلك نهجه ، ومثله ففاه وافتهاه وتفناه

(٢) الغاب : جمع غابة ، وهي في الأصل مأوى السباع

فلا أقل من المساواة في معنى ، والمنافسة في مَبْنَى ، يذهب عنكم لُؤْم الجوار ،  
ويزيل عن وجوهكم سِمَات العار<sup>(١)</sup> ، ويدل على همتكم ، وفضل شيمتكم ، أهل  
الآفطار ، وكم ثقة تلفت على الرجل في مشروع ، وحرص اعتراه على ممنوع ،  
فأسرعوا فالنظر في هذا المهم خير مشروع ، ولولا اهتمامنا بمرتزة ديوانكم ،  
وإعدادنا مال الجباية للمجاهدين من إخوانكم ، لسبقناكم إلى هذه الزُلفة ، وقنا  
في هذا العمل الصالح بتحمل الكُلفة ، ومع ذلك فإذا قدناكم إلى الخنة بينائه ،  
وأسهمناكم في فريضة أجره وثنائه ، فنحن إن شاء الله تعالى نعين له الأوقاف التي  
تجرى عنها المرفقة ، وتتصل عليه بها الصدقة ، تأصيلا لفخركم ، وإطابة في البلاد  
لذكركم ، فليشاور أحدكم هِمَّتَه ودينه ، ويستخدم يساره في طاعة القصد الكريم  
ويمينه ، ونسأل الله تعالى أن يوفق كلا لهذا القصد ويعينه ، ومن وراء هذه  
النصائح عزم ينهيها إلى غايتها ، ويجبر الكافة على اتباع رأيها ورايتها ، فأعملوا  
الأفكار فيما تضمنته من الفصول ، وتلقوا داعي الله تعالى فيها بالقبول ، والدنيا  
مزرعة الآخرة ، وكم معتبر للنفوس الساخرة ، بالعظام الناخرة (يا أيها الناس إن وعد  
الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور) وأنتم اليوم أحقُّ الناس  
بقبول الموعظة نفوسا زكية ، وفهُوماً لا قاصرة ولا بَطِيَّة ، وموطن جهاد ، ومستسقى  
غمام من رحمة الله تعالى وعِهاد ، ويقايا السلف بالأرض التي فتحوا فيها هذا  
الوطن ، وألقوا فيها العَظَن ، فإلى أين يذهب حسن الظن بأديانكم ، وصحة  
إيمانكم ، وتساوى إسراركم وإعلانكم ؟ إلهم إيا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة  
المتحملة ، وبلغناهم نصيحتك المكمله ، ووعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤمله ،  
فيسرنا وإياهم لليسرى ، وعرفنا لطائفك التي خفي فيها المَسْرَى ، ولا تجملنا

(١) السمات - بكسر السين - جمع سمة ، وهي العلامة ، ووقع في ب « سميات

العار » بزيادة الياء بين السين والميم

مَنْ صَمَّ عَنِ النَّدَاءِ ، وَأَصْبَحَ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ ، فَمَا ذَلَّ مِنْ اسْتَنْصَرِ بِجَنَابِكَ ، وَلَا ضَلَّ  
مِنْ اسْتَبْصَرَ بِسَنَتِكَ وَكِتَابِكَ ، وَلَا انْقَطَعَ مَنْ تَوَسَّلَ بِأَسْبَابِكَ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
يَصِلُ لَكُمْ عَوَائِدُ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَيَحْمِلُكُمْ وَإِيَانًا مِنَ التَّوْفِيقِ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلِ ،  
وَيَصِلُ سَعْدُكُمْ ، وَيَجْرُسُ مَجْدُكُمْ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَخْصُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى  
وَبَرَكَاتُهُ ، انْتَهَى .

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام :  
اللَّهُ اللَّهُ فِي الْهَمِّ فَقَدْ خَدَّتْ رِيحُهَا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْعَقَائِدِ فَقَدْ خَبَّتْ <sup>(١)</sup> مَصَابِيحُهَا ،  
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الرَّجُولِيَّةِ فَقَدْ قُلَّ حَدُّهَا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْغِيَرَةِ فَقَدْ تَعَسَّرَ جَدُّهَا ، وَاللَّهُ  
اللَّهُ فِي الدِّينِ فَقَدْ طَمَعَ الْكُفْرُ فِي تَحْوِيلِهِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْحَرِيمِ فَقَدْ مَدَّ إِلَى اسْتِرْقَاقِهِ  
يَدَ تَأْمِيلِهِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَلَّةِ الَّتِي يَرِيدُ إِطْفَاءَ سَنَاهَا <sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ كَمَلَ فَضْلُهَا وَتَنَاهَى ، وَاللَّهُ  
اللَّهُ فِي الْحَرِيمِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ الْكَرِيمِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجَبْرِانِ ،  
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْوَطَنِ الَّذِي تَوَارَثَهُ الْوَلَدُ عَنِ الْوَالِدِ ، الْيَوْمُ  
تَسْتَأْسِدُ النُّفُوسُ الْمَهْمِيَّةُ ۥ الْيَوْمُ يَسْتَنْصِرُ الصَّبْرُ وَالسَّكِينَةُ ، الْيَوْمُ تَرعى لِهَذِهِ الْمَسَاجِدِ  
الْكَرَامِ الذَّمُّ ، الْيَوْمَ يَسْلُكُ سَبِيلَ الْعِزِّ وَالْحَزْمِ وَالشَّدَّةِ وَالشَّمِّ ، الْيَوْمَ يَرْجِعُ  
إِلَى اللَّهِ الْمَصْرُوثُونَ ، الْيَوْمَ يَفِيقُ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ الْمُغْتَرُونَ ، قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْهَوْلُ ، وَيَحِقَّ  
الْقَوْلُ ، وَيَسُدُّ الْبَابَ ، وَيَحْيِقُ الْعَذَابُ ، وَيَسْتَرْقُ الْكُفْرُ الرِّقَابَ ، فَالْنِّسَاءُ تَقِي  
بِأَنْفُسِهِنَّ أَوْلَادَهُنَّ الصَّغَارَ ، وَالطِّيُورُ تَرْفُرُ لِتَحْمِي الْأَوْكَارِ <sup>(٣)</sup> ، إِذَا أَحْسَتِ الْعَيْثَ  
بِأَفْرَاحِهَا وَالْإِضْرَارَ ، تَمُرُّ الْأَيَّامُ عَلَيْكُمْ مَرَّ السَّحَابِ ، وَذَهَابُ اللَّيَالِي لَكُمْ ذَهَابُ <sup>(٤)</sup> ،  
فَلَا خَبْرَ يَفْضِي إِلَى الْعَيْنِ ، وَلَا حَدِيثَ فِي اللَّهِ تَعَالَى يَسْمَعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، وَلَا كَدَّ  
إِلَّا لَزِينَةً يُحْكَلُ بِهَا نَحْرٌ وَجِيدٌ ، وَلَا سَعَى إِلَّا مَتَاعٌ لَا يَفْنَى فِي الشَّدَائِدِ وَلَا يَفِيدُ ،

(١) خبت : سكنت (٢) السنا الضوء (٣) الأوكار : جمع وكر وهو  
عش الطائر (٤) أخذ هذا من قول الشاعر :  
يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

وبالأمس نُدبْتُمْ إلى التماس رُحْمَى مستخْرِ السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ،  
وسؤال مرسل الدِّيمَةِ ، ومحْيى البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عليكم رحمة السماء ،  
وأغبرَّتْ جوانبكم المحضرة احتياجا إلى بلالة الماء ( وفي السماء رزقكم وما توعدون )  
وإليها الألف تتمدون ، وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يُصْحَرْ<sup>(١)</sup> منكم عدد معتبر ،  
ولا ظهر للإنبابة ولا الصَّدَاقَةُ خبر ، وتقوون من إعادة الرغبة إلى الولي الحميد ، والغنى  
الذي إن يَشَأْ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد ، وإيم الله لو كان لهواً لارتقت الساعات ،  
وضاقت المتسعَات ، وتراحمت على أنديته الجماعات ، أتعزاً على الله وهو القوى العزيز ؟  
أتلبسوا على الله وهو الذي يميز الخبيث من الطيب والشَّبه من الإبريز ؟ أمنا بآية  
والنواصي في يديه ؟ أغروراً بالأمل والرجوع بعدُ إليه ؟ مَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ من  
ينزل الرزق ويفيده ؟ مَنْ يُرْجَعُ إليه في الملمات ؟ مَنْ يُرْجَى في الشدائد والأزمات ؟  
من يوجد في الحما والممات ؟ أنى الله شك يختلج القلوب ؟ أئتمَّ غير الله يدفع المكروه  
وييسر المطلوب ؟ تفضلون على اللجأ إليه موائد الفضل ، وتره الجهل ، وطائفة منكم  
قد برزت إلى استسقاء رحمته تمد إليه الأيدي والرقاب ، وتستكشف بالخضوع لعظمته  
العقاب ، وتستعجل إلى مواعيد إجابته الارتقاب ، وكأنكم عن كرمه قد استغفنتم ،  
أو على الامتناع من الرجوع إليه بنيتم ، أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله  
من التبليغ باليسير ، والاستعداد للرحيل إلى دار الحق والمسير ، ومداومة الجوع ،  
وهجر الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله تعالى والرجوع : دخلت فاطمة  
رضي الله تعالى عنها ويدها كسرة شعير فقال : ما هذا يا فاطمة ؟ فقالت : يا رسول الله  
خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها ، فقال : يا فاطمة أما إنه أول طعام دخل جوف  
أيك منذ ثلاث ، وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم سبعين مرة يلتمس  
رحمته ، ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى ورمت قدماء ، وكان

(١) أصحر : برز للصحراء ، وخرج عن الأبنية . ( ١٦ — فتح ١٠ )

شأنه الجهاد ، ودأبه الجد والاجتهاد ، ومواقف صبره تعرفها الربا والوهاد ، ومقامات رفقته تحوم على مراتبها الزهاد ، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون ؟ وإذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون ؟ وإذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعزّون<sup>(١)</sup> إليه وتنتسبون ؟ وإذا لم ترغبوا في الانصاف بصفاته غضبا لله تعالى وجهادا ، وتقللا من العرّض الأدنى وسهادا ، فقيم ترغبون ؟ فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب ، واعتبروا بمثلات من تقدم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي يعلو عليها واعظ وخطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعة ، المعمورة بأنواع الطاعة ، وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور بما أغضوا عنه عيونهم<sup>(٢)</sup> ، وساءت بالغفلة عن الله تعالى عُقبى جميعهم ، وذهبت النفقات بعاصيهم ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان ، واستبدلت مآذنه بالنواقيس من الآذان ، هذا والناس ناس والزمان زمان ، فما هذه الغفلة عن إليه الرجعى وإليه المصير ؟ وإلى متى التساهل في حقوقه وهو السميع البصير ؟ وحتى متى مد الأمل في الزمن القصير ؟ وإلى متى نسيان اللجأ إلى الولي النصير ؟ قد تداعت الصلبان مترا كة عليكم ، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليكم ، أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم ؟ والسنة الآيات تنادىكم ، لم تُمنَحْ سطورها ۝ ولا احتجب نورها ، وأنتم بقايا من فتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ، ورضى الرحمن ، ما ظهر التلبس في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عدم الإسلام فيها عادة التأييد ، لكن شمل الداء ، وصم النداء ، وعميت الأبصار فكيف الاهتداء ؟ والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتمالوا نستغفر الله جميعا فهو الغفور الرحيم ،

(١) اعتزى فلان إلى فلان : انتسب إليه

(٢) أغضى عينه : أغضض

ونستقل مُقِيل العثار فهو الرؤف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم ، سدت الأبواب ، وضعفت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا فتاح يا وهاب ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم ) ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجندوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ) ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) أعدوا الخيل واربطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها ، فمن خاف الموت رضى بالدينية ، ولا بد على كل حال من المنية ، والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنية ، واقتنوا السلاح والعدة ، وتعرفوا إلى الله تعالى في الرخاء يعرفكم في الشدة ، واستشعروا القوة بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم ، واستميتوا من دون أبنائكم ، وكونوا كالبناء المرصوص لحملات هذا العدو النازل بفنائكم ، وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده بلادكم ، واشتروا من الله جل جلاله أولادكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها وشكت إلى بعض الصالحين ، فأشار عليها بالصدقة ، فتصدقت برغيف ، فأطلق السبع ولدها ، وسمعت النداء : يا هذه لقمة بلقمة ، وأنا لما استودعناه لحافظون .

واهجروا الشهوات ، واستدركوا البقية من بعد القوات ، وأفضلوا <sup>(١)</sup> لمسا كينكم من الأقوات ، واخشعوا <sup>(٢)</sup> لما أنزل الله تعالى من الآيات ، وخذوا نفوسكم بالصبر على الأزمات ، والمواساة في المهمات ، وأيقظوا جفونكم من السّنات ، واعلموا أن رضعاء ندى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب والدين الوحيد ، وحزب التمحيص ،

(١) أفضلوا : أبقوا

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لله ذكر الله

وما نزل من الحق )

ونفر المَرَام العويص ، ففقدوا معاملاتكم مع الله تعالى ومهما لقيتم الصدق غالبا ، والقلب للمولى الكريم مراقبا ، وشهاب البنين ثاقبا ، فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب ، ولا ينالكم لأجلها عدو مطالب ، فإنكم في الستر الكثيف ، وكنف الخبير اللطيف ، ومهما رأيتم الخواطر متبددة ، والظنون في الله مترددة ، والجهات التي تخاف وترجى متعددة ، والغفلة عن الله ملامسها متجددة ، وعادة دواعي الخذلان دأمة ، وأسواق الشهوات قائمة ، فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين ، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عُدْوَان إلا على الظالمين ، والتوبة تردُّ الشارد إلى الله تعالى والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهو القائل ( إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ) :

وما أقرب صلاح الأحوال مع الله تعالى إذا صحت العزائم ، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم ، وخملت الدنيا الغريبة في العيون ، وصدقت فيها عند الله الظنون ( يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ) وثوبوا سراعا<sup>(١)</sup> إلى طهارة الثوب ، وإزالة الشوب<sup>(٢)</sup> ، واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب ، واعلموا أن سوء الأدب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ، ويسد طرق العوائد ، فلا تملأوا بالتوبة أزمانكم ، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم ، ولا تعلقوا متابكم بالصرائر ، فهو علام السرائر ، وإنما علينا أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة ، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة ، الصادرة - علم الله تعالى - عن صدق القريحة ، وإن شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع والاستغفار ، وإنما لكم لدينا نفس مبدولة في جهاد الكفار ، وتقديم قبلكم إلى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار ، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعُقْبَى

(١) ثوبوا - بالناء المثناة - أى ارجعوا

(٢) أراد بالشوب كل ما خالط القلوب من الأدران

الدار ، والاختيار لله ولى الاختيار ، ومصرف الأقدار ، وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو ونقضى بنفوسنا البلاد والعباد ، والحريم المستضعف والأولاد ، ونصلى من دونهم نار الجِلال<sup>(١)</sup> ، ونستوهب منكم الدعاء لمن وعدَ بإجابته ، فإنه يقبل من صرف إليه وَجَهَ إنايته ، اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا ، وعلى أعدائك ظهيرا ، ومن انتقام عِبْدَةِ الأوثان كفيلا ، اللهم قوِّ مَنْ ضَعَفَتْ حيلته فأنت القوى المعين ، وانصر من لا نصير له إلا أنت فيأياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام ، ولا تُسَلِّمْنَا عند لقاء عدو الإسلام ، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام ، اللهم دافع بملأكتك المُسَوِّمين ، اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من ( قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ) .

وقد وردت علينا الخطاطبات من إخواننا المسلمين الدين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم ، وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم ، بنى مَرَيْن أولى الامتعاض لله تعالى والحمة ، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية ، بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار ، والمصارخة التي تليق بالأحرار ، والنفرة لا نهتك ذِمَار بيتهم المختار ، وحركة سلطانهم بتلك الأقطار والأمصار ، ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار ، فاسألوا الله تعالى إعادتهم على هذا المقصد الكريم الآثار ، والسعى الضمين للعرز والأجر والفخار ، والسلام الكريم بخصمكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته . انتهى .

(١) تقول « صلى فلان حر النار صلى — مثل رضى رضى » وفي القرآن

الكريم ( لا يضلها إلا الأشقى ) والجلاد — بكسر الجيم — مجالدة الكفار

ومما كتبه ابنُ لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغنى بالله تعالى  
والنظر إليهم بعين الشفقة ما صورته :

هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحا للصدور ، مصلحا بإعانة  
الله تعالى للأُمور ، مُلحفا العدل والإحسان الخاصة والجمهور ، يعلم من يسمعه  
أو يقف عليه ، وَمَنْ يقرؤه ويتدبر ما لديه ، ما عاهدنا الله تعالى عليه من تأمين  
النفوس وَحَقْن الدماء ، والسير في التجافي عنها على السَّنَنِ السَّوَاءِ (١) ، ورفع  
التناور عن البعيد منها والقريب ، والمساواة في العفو والغفران بين البرىء منها  
والمريب ، وحمل من ينظر بعين العداوة في باطن الأمر تحمّل الحبيب ، وترك  
ما يتوجه بأمر المطالبات ، ورفض التبعات ، مما لا يعارض حكما شرعيا ، ولا يناقض  
سننا في الدين مرعيا ، فمن كان رهن تبعة أو طريد شهمة ، أو منبوزا في الطاعة  
برية توجب أن يريق دمه ، فقد سحبنا عليه ظلال الأمان وألحفناه أثواب العفو  
والغفران ، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق والإحسان ، حكما عاما ، وعفو اتاما ،  
فأشيا في جميع الطبقات ، منسجبا على الأصناف المختلفة ، عاملنا في ذلك من يتقبل  
الأعمال ، ولا يضيع السؤال ، واستغفرنا عن نفسنا وعن أخطأ علينا من رعيئنا  
ممن يدرأ الشرع غلطته ، وَيَقْبَلُ الحق فيآئته ، ومن يستغفر الله يمجده الله غفورا  
رحيما ، لما رأينا من سر اتفاق الأهواء والضمائر ، وخلوص القلوب والسرائر ، في  
هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر ، ومسه بتقديم الفتنة الضر ، وصلة لما  
أجراه الله تعالى على أيدينا ، وهيام بنا في نادينا ، فلم يخف ما سكن بنا من نار  
فتنة ، ورفع من بأس وإحنة ، وكشّف من ظلمة ، وسدّل من نعمة ، وأصق  
من مورد عافية ، وأولى من عصمة كافية ، بعد ما تخربت الثغور ، وفست الأُمور ،

(١) السنن - بالتحريك - الطريق ، والسواء - السوى المستقيم

واهتضم الدين ، واشتد على العباد كَلْبُ الكافرين المعتدين ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائماً ، والشكر واجباً ، ومن الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبويننا من قبل إن ربك حكيم عليم ، ونحن قد شَرَعْنَا في تعيين مَنْ ينوب عنا من أهل العلم والعدالة ، والدين والجلالة ، للتطوف في البلاد الأندلسية ، ومباشرة الأمور بالبلاد النّصرية ، يُنْهَوْنَ إلينا ما يستطلعون ، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه ، ويقيمون ما يحتاج إليه الثغور ، وتستوجبه المصلحة الجهادية من الأمور ، ونحن نستعين بفضلاء رعيقتنا وخيارهم ، والمراقبين الله تعالى منهم في إيرادهم وإصدارهم ، على إنهاء ما يحقّ عنا من ظلامة تقع ، أو حادث يتبدع ، ومن اتخذ بجواره خمر فاشية ، أو نشأت في جهته للمسكر ناشية ، فنحن نقلده العهد ، ونطوّقه القلادة ، ووراء تنبيهنا على ما خفي من الشكر لمن أهده ، وإحماد سعي من أبلغه وأداه ، ما نرجو ثواب الله تعالى عليه ، والتقرب به إليه ، فن أهدى لنا شيئاً من ذلك فهو شريك في أجره ، ومقاسم في مثوبته يوم ربح تجره ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، انتهى .

وإذ أجرينا طرف القلم ملء عناه فيما لسان الدين رحمه الله تعالى من النصائح والمواعظ والوصايا ، وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا ، ما كَلَّ (١) دون شأوه ، وقصر عن أمده مَدِيدُ خَطّوه ، وقد تقدم في هذا الكتاب من ذلك جملة وافرة ، فلترجع في محالها المتكاثرة ، وقد آن أن نسرد في هذا المحل الوصية التي أوصى لسان الدين رحمه الله تعالى بها أولاده ، وهي وصية جامعة نافعة ، يحصل بها انتعاش ، لاشتمالها على ما لا بد منه في المعاد والمعاش ، ونصها :

وصية  
لسان الدين  
لأولاده

الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب (٢) ، إذا شيم نجمه المثقوب ، ولا يبعثه

(١) كل : ضعف وفتر ، والشأو - بالفتح - الغاية والطلاق

(٢) لا يروعه : لا يخيفه ، والحمام - بالكسر - الموت

الأجل المكتوب ، ولا يفجؤه الفراق المعقوب ، مُلهم الهدى الذى تطمئن به  
القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ،  
لا سيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب ،  
( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب ) ( وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ) .  
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره  
جيوب الغيوب ، وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقمحه  
العيون ولا نصمه<sup>(١)</sup> العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة  
بالمهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل [إلى] المرغوب ، والعز والأمن  
من اللغوب .

وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بقمته ، وقادنى الكبر برُمته<sup>(٢)</sup> ، وادكرت بعد  
أُمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد الفطام على ما رضعت ، وتأكد وجوب  
نصيحى لمن لزمى رَغِيهِ ، وتعلق بعينى سَعِيهِ ، وأملت أن تتعدى إلى ثمرة استقامته  
وأنا رهين فَوَاتٍ ، وفى برزخ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضت  
عشارى ، إن سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثارى ، فقلت أخاطب الثلاثة  
الولد ، وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ،  
وجمع تفريقهم ، وأن يمن على منهم بحسن الخلف ، والتلافى من قبل التلف ،  
وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولى ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .  
اعلموا هذا كم الله تعالى الذى بأنواره تهتدى الضلال ، و برضاه ترفع الأغلال ،  
وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من  
يمينها الشمال - أئى مُودعكم وإن سألنى الردى ، ومفارقكم وإن طال المدى ،

(١) وصمه يصمه - من باب ضرب - عابه ونقصه

(٢) الرمة - بضم الراء - الحبل ، ويقال « أخذ الشيء برمته » أى أخذه كله

لم يبق منه شيئا ، وأصله الجمل يأخذه بخطامه

وما عدا بما بدا ، فكيف وأدوات السفر تجمع ، ومنادى الرحيل يسمع ، ولا أقل  
للحبيب المودع من وصية مختصر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة<sup>(١)</sup> تعقد في خنصر ، ونصيحة  
تكون نشيدة واع مبصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بقدي ، وتوضح  
لكم من الشفقة والحنوة قصدي ، حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدى ، فهي  
أربكم الذي لا يتغير وقفه ، ولا ينالكم المكروه مارف عليكم سقفه ، وكأني  
بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل  
الصاب من العسل ، ونصول الشيب تروع بأسل ، لابل السام من كل حذب  
قد نسل ، والمعاد اللاحد ولا نسل ، فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر  
تجر<sup>(٢)</sup> ، وغدا شيوخ مضية وهجر ، والقبور فاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ،  
والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يتعظ به في أمر ،  
وقال : بيدي لا بيد عمرو ، فافتنوها من وصية ، ومرام في النصيح قصية ، وخصوا بها  
أولادكم إذا عقلا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق  
الخلق هملا ، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملا ، ولا رضى الدنيا منزلا ، ولا لطف  
بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ، ولتلقنوا تلقينا ، وتعلموا علما يقينا ، أنكم لن  
تجدوا بعد أن أفرد بذني ، ويفترش التراب جنبي ، ويسح انسكابي ، وتهرول  
عن المصلى ركابي ، أحرص مني على سعادة إليكم تجلب ، أو غاية كمال بسببكم  
ترتاد وتطلب ، حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلا ، ولا أشرف  
محلا ، ولا أغبط نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولي  
الآذان ، وتستلمحوا صُبْح نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان ( أعود  
بالله من الشيطان الرجيم ، وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله إن

(١) الرتيمة - ومثله الرتمة ، بالفتح - خيط يشد في الإصبع لتذكر به الحاجة

(٢) عسكر حجر : كثير

الشرك لظلم عظيم ، يابني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من ذلك من عزم الأمور ، ولا تُصعِّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل عليه ، حكم ما تضمنه حكم تنزيله (يا بني إن الله اصطفى لسكم الدين فلاتموتنَّ إلا وأنتم مسلمون) والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه انتقاد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبناءه مع رفض أخيه متهدم<sup>(١)</sup> ، فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ، خالق الخلق وما يعملون ، الذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ، الحى العليم المدبر القدير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أرسل الرسل رحمة ليدعو الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنبي ملقاً المرعية الحمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأمة بشراً ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوّط عنه في منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه ، روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدى : كتاب الله ، وسنتي ، فعضوا عليهما بالنواجذ » فاعملوا يابني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وَاَعُوا

(١) يريد أن العمل بما يقتضيه العقل مع رفض ما صح بما ورد به السمع غير مقبول ، والحكم كذلك بإجماع أئمة المسلمين الذين يعتد بإجماعهم

مر أشدهديه فيافوزواعيه ، وصلوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجملأ أو مفصلا على حسبه ، وأوجبوا التجارة لصحبهِ الدين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من تواب محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ، وتبرؤا من العصية التي لم يدعكم إليهاداع ، ولا تعرّ التشاجر بينهم أذن واع ، فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأتمها الجلة ، فهم صقلة نصولهم<sup>(١)</sup> ، وفروع ناشئة من أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ، واعلموا أنني قطعت في البحث زمانى ، وجعلت النظر شانى ، منذ برأنى الله تعالى وأنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ، فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فظام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايتة التي يقصدها قدنضلتها الشريعة وسبقها ، وفرغت ثنيتها وارتمتها ، فعليكم بالتزام جادتها السالبة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقارها غير الآفة ، والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ( ومن ينتفع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ) وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وأبدلوا دونه النفوس فعل المهتمدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الأبدن ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعى شؤه الوجوه ونضج الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، وارزبوا بنفوسكم عن غمظه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل اثلافكم ، واقتنعوا

(١) صقلة : جمع صاقل ، وهو اسم الفاعل من « صقل فلان سيفه يصقله » من

باب نصر - إذا جلاه ، والنصول : جمع نصل ، وهو هنا السيف .

منه بما تيسر ، ولا تأسؤا على ما فات وتعذر ، فإنما هي دُجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الربح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا الشبه<sup>(١)</sup> أن تدنوا إليها .

واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعى همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة ، وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامثلوا أواصره ونواحيه ، ولا تتأولوه ولا تغفلوا فيه ، وأشرِّبوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حسبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التي ينبئ عليها الإسلام حتى لا ينخرم

الله الله في الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية عن الفحشاء والمنكر وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة بسمة السلامة ، والشاهدة للعبد برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا شانه طمَّع<sup>(٢)</sup> ، والخير الذي كل ما سواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة ، فالخير عادة ، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تبيس ، والفلك بها من أجلكم لا يجبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره العدو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لا تقوت ، وأين حق من يموت من حق الحى الذي لا يموت ، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها

(١) كفكفوا : امنعوا ، والشبه : جمع شبهة ، بالضم

(٢) الطبع - بفتح الطاء والياء - الدنس مطلقا ، في جسم أو خلق ، وهو أيضا الكسل

وأتبعوها النوافل ما أطقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحققت السكّال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ، وذلك أخرى بإقامة الفرض ، وأدعى الى مساعدة البعض البعض ، والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل ، فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحيدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها<sup>(١)</sup> ، والنبات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه .

واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكّر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، واستعاض صدأه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرّقه الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمّل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، وليتها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسئول على الضدّ من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعنّاه ، من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذي يحقيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاستمعوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها وتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتمموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زُلّتي ، المححوضة لمن يعلم السر

(١) الحجول والغرر : أراد بهما إسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء وخاصة الوجه والقدمين ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أنا قائد القر المحجلين يوم القيامة »

وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على للمهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ما ترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنّه ، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيه ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عمد الإسلام وفروضة ، ونقود مهره وعروضه ، لحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناويكم ظاهرين<sup>(١)</sup> ، وتلقوا الله لا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب<sup>(٢)</sup> ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلاً بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى الأبواب ، والله عز وجل يقول ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الأبواب ) والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يقلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل وإن

(١) ظاهرين : غالبين قاهرين

(٢) أصل الانتقاب ستر الوجه بالنقاب ، والمراد هنا مجرد الاستتار

كثرت آماله ، وقليل وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيككم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، واحملوه على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم تَرَى لغرسه ، واستعملوا ما ينالهم من تعب من جَرَآه ، وسهر بهجر له الجفن كَرَاه<sup>(١)</sup> ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحملوه مثابة رفعة لا يحط فارعا ولا يستنزل ، واختاروا في العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا يناله في غيره المقت .

وخير العلوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المريعة ، من علوم لسان لا تستغرق الأعمار فصولها ، ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هي آلات لغير ، وأسباب إلى خَيْر منها وخير ، فمن كان قابلا للأزدياد ، وألنى فهمه ذا انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيميه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدى كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر إداركه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التي هي أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون . وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمة الصغار<sup>(٢)</sup> ، وخول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه ، وملمس الرشد ومُؤليه ، عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط

(١) الكرى - بالفتح مقصورا - النوم

(٢) السمة : العلامة ، والصغار - بفتح الصاد - المذلة والمهانة

في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم بجامها ، إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود  
بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور<sup>(١)</sup> ،  
وضرّم مسجور ، وممقوت مهجور ، وأمروا بالمعروف وأمرارقيقا ، وإنهوا عن المنكر  
نهيما حريّا بالاعتدال حقيقا ، واغبطوا من كان من سِنَةِ<sup>(٢)</sup> الغفلة مُفقيقا ، واجتنبوا  
ما تُنْهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا .

وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ، ولا تقربوا من الفتنة جَمْرًا ،  
ولا تُدْخِلُوا في الخلاف زيدا ولا عمرا .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ،  
وأكرم منسوب إلى مذهبه ، وَمَنْ أَكْثَرَ من شيء عرف به .

وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُؤَارَى ، والسوأة التي لا يرتاب في  
عارها ولا يُتَمَارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ،  
أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نَطَقَ .

وعليكم بالأمانة فالخيانة لُوم ، وفي وجه الديانة كُلُوم ، ومن الشريعة التي  
التي لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ،  
ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قُبُولًا ، ولا تقروا عليه  
طبعًا مجبولا ، وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولًا ، ولا تستأثروا بكنز ولا خَزَنَ ،  
ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حَزَنَ ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم  
في كيل أو وزن ، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ،  
أو ما يرجع إلى وظيفة الأَقلام ، واعلموا أن الإنسان في فُسْحة ممتدة ، وسبل  
الله تعالى غير مُنْسدة ، مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانِهِ ، ويمس الدم الحرام بيده

(١) محجور : ممنوع

(٢) السنة - بكسر السين - النوم ، أو أوله ، وفي القرآن الكريم : ( الله

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ) (٣) الكلوم : الجروح

أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سننا قويمًا ، وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيمًا ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ) .

واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتنع في سبيل السعادة باعه ، ولم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه ، فالخلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ، ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يجب أن يُزنى بأهله ، والله قد أعد للزاني عذابا ويلا ، وقال : ( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ) .

واختر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطا ، والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذى سوغ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا نفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد . ولا تقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : ( وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ) وقال : ( فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ) في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطم عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الخلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يكل خياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تلجؤا إلى المتشابه إلا عند عدمه ، فهو في السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والحفاظ عليه مغبوط ، وإياكم والظلم فالظلم عمقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصحاح الحسن ، والتميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه متات <sup>(١)</sup> ، وفي الحديث « لا يدخل الجنة قَتَات » <sup>(٢)</sup> واطرخوا الحسد فساد حسود وإياكم والغيبة فباب الخير معها

(١) متات : مصدر « مت فلان إلى فلان » أى توسل وتقرب ، وكل شئ توسلت به إلى غيرك فهو متاة ، وجمعه موات ، بتشديد التاء الأخيرة .

(٢) القتات : التمام قت الحديث يقته : نقله .

مسدود ، والبخل فما روى البخيل وهو مودد ، وإياكم وما يعتذر منه فمواقع  
 الخزي لا تستقال عثراتها ، ومظنات القضايح لا تؤمن غمراتها ، وتفقّدوا أنفسكم  
 مع الساعات ، وأفسدوا السلام في الطرقات والجماعات ، وارقوا على ذوى الزمانات  
 والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات ، وعتّلوا عليه وحده  
 في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصّبتم الموائد ، وتقرّبوا إليه باليسير من ماله ،  
 واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه الحماط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ،  
 واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج <sup>(١)</sup> البادية  
 الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ، والرّشاش  
 فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصفار ، ولا تساحوا في لعبة قر ، ولا تشاركوا  
 أهل البطالة في أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث الأوغاد  
 والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الأزدراء والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال  
 العجاف ، ولا تكلفوا بالسكّهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش وممّاد ،  
 وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمِرصاد ، وأن الخلق بين زرع  
 وحصاد ، وأقلّوا بغير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر  
 السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذاية  
 المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين ،  
 ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما زلت ، ولا تضجّجوا للأمراض إذا أعضلت ،  
 فكل منقرض حقير ، وكل مُنقّض وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا  
 من جناب الله تعالى الأرج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من  
 الله تعالى فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجنوا إليه

(١) الوشائج : جمع وشيجة ، وهى فى الأصل عرق الشجرة وليف يقتل ثم  
 يشد به خشبان ، ويراد به كل ما يربط بين اثنين من قرابة أو مصاهرة أو نحوها

في البأساء والضَّرَّاء ، وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، وَيَعْدُبُ  
الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وأفضّلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ،  
فمن الآثار « يا عائشة ، أحسنى جوار نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت  
إليهم » ولا تطغوا في النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلقيكم الجحالة بسكرها ،  
وتقوهموا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حَلَبُها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ،  
ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين ، والله الله لا ننسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا  
بذهابه زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من  
إخلاص وبر ، ومُرَاعَاة في علانية وسر ، وللإنسان مزية لا تجهل ، وحق لا يهمل  
وأظهروا التعاضد والتناصر ، واصلوا التعاهد والتزاور ، تُرَغِّمُوا بذلك الأعداء ،  
وتستكثروا الأوداء ، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش  
السباع على الجيفة ، واعصوا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر  
ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ،  
وإذا أعظم النساء أمراً فاحقرّوه .

والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبروا أهل مودتي من أجلى ، ومن رزق  
منكم مالا بهذا الوطن القَلِق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه  
أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو  
على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام الثَّوبِ الثقال ، وإذا  
كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم في مصاحبة  
أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم  
شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة  
الاحتمال ، والنقل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد

الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار فإنه دأب الغر ، وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلتزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ، وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ، والزعازع تسالم اللذن اللطيف من الأغصان <sup>(١)</sup> ، وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، وامتنهاً على الخطوب وغلاًباً ، فذلك ضرر بالمروآت والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختيئاراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ، فامتأق وظائفها بسعة صدره ، ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإخنه ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدّم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقترب من الله وابتعاد ، جعلكم الله من نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواث الندم .

ومهما سئتم إطالتها ، واستغزتم مقاتلتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتي عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونفق بضائعها المزجاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يلثمه حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد

(١) هذا من قول الشاعر :

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أو الكسوف لغير الشمس والقمر ؟

ابن عبد الله بن الخطيب ، ورحمة الله وبركاته ، انتهت الوصية الفريدة في حسنها ،  
الغريبة في فنها ، المبالغة نفوس الناظرين فيها فوق ظنّها ، ولأجل ذلك كان شيخ  
شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الإمام قاضي القضاة العلامة سيدى الشيخ عبد الواحد  
ابن الشيخ الإمام عالم المالكية صاحب التأليف العديدة كالمعيار العرب ، والجامع  
المغرب ، عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب ، وهو في ست مجلدات لكان  
كافيا ، وله مصنفات كثيرة غيره أكثرها في مذهب مالك ، ولم يؤلف في  
المذهب مثلها .

رجع إلى ما كنا فيه :

أقول : لم تزل عادة الأكابر من العلماء والملوك الوصية لأولادهم وعالمهم باقتفاء  
النهج الذى يرون فيه السلوك ، وقد وقفت للفقيه الكاتب أبى عبد الله محمد  
ابن الجيان المرسى الأندلسى رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن  
ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه اشتملت على مالا يد منه ، فرأيت أن أذكرها  
هنا تقيما للفائدة ، ونصها بعد الصدر :

من مجاهد الدين ، وسيف أمير المؤمنين ، عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين وصية من إنشاء  
ابن الجيان المرسى  
محمد بن يوسف بن هود ، أيدّه الله تعالى بنصره وأمدّه بتمكينه ! وأعانه على ما ينويه  
من إحياء معالم دينه ! إلى صِنُونَا المبارك ، وقسيمنا الخصوص بتبجيلنا وتكريمنا ،  
وحُسَامَنَا المنتضى المرتضى لإمضاء عزمنا وتصميمنا ، الأمير الأعلى ، الموقر الأسمى ،  
الميمون النقيبة الحمود السجّية ، الأحب النية ، الأعز علينا ، المقيم بمساعيه الصالحة  
كل ما نَوَيْنَا ، أدام الله تعالى تظفيره وإسعاده ! وأمضى فى الحق قَوَاضِيه  
وَصِعَادَه <sup>(١)</sup> ! ووالى معونته وإنجاده ! وتولى توفيقه وإرشاده !  
سلام طيب كريم زالك يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

(٢) كذا ، وسقط خبر « كان » من الكلام ، ولعل أصل العبارة « كان يحض  
الناس عليها ، ويحثهم على العمل بمقتضاها شيخ شيوخنا — إلخ  
(١) القواضب: السيوف القاطعة ، واحدها قاضب ، والصعاد: جمع صعدة وهو الرمح

أما بعد ، فالحمد لله الذى أوضح للحق سبيلا ، ومد ظل رحمته على الخلق ظليلا ، وجعل العدل يحفظ نظام الإسلام كفيلا ، ونزل الأحكام على قدر المصالح تنزيلا ، ونصب معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا ، وألهم إلى ما يرضاه عملا ومعتقدا وقيلا ، وصلواته الطيبة ، وبركاته الصَّيِّبَةِ<sup>(١)</sup> ، على سيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد رسوله الذى فضله بخلته واصطفاه تفضيلا ، وبعثه بالحنيفية السمحة فيبينها تبينا وفصلها تفصيلا ، ورتبها كما أمره ربه بإباحة ونَدْبًا وتحريما وتحليلا ، حتى ثبتت سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وعلى آله وصحبه الذين فهموا ما جاءهم به عليه الصلاة والسلام نصا وتأويلا ، وأبقوا من سيرتهم الفاضلة ، وأحكامهم العادلة ، أساسا للمعتقين جليلا ، ومآثر للمعتقين تَسْبِحُ الأفهام والأفلام فى بحارها سَبْحًا طويلا ، وأمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلا وبالهدى تضليلا ، ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته ، وحامل أمانته إلى خليفته ، الذى كمل الله تعالى له موجبات الإمامة تكميلا ، وأناله من هدى النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا ، سيدنا ومولانا الإمام المنتصر بالله تعالى أبى جعفر المنصور أمير المؤمنين المتبوتى من ساحة الشرف والجلالة محلا شريفا جليلا ، والمنتخب من محبوبه بيت الرسالة الذى وجد الوحي عنده مُعَرَّسًا<sup>(٢)</sup> ومقيلا ، والدعاء له من لدن العزيز القوى بنصر يأتى لإمداده بمدد الملائكة قبिला ، وفتح يولى الآمال من الظهور بغية وتأميلا .

كتبناه إليكم كتب الله تعالى لكم عزما لا يزال عَضْبُهُ صقيلا ، وعزا يروق بإظهار الحق غرَّةً وتنجيلا ، ورأيا لقداح السداد والتجاحُ مجيلا ، وسعدا يوصل إلى الإسعاد برضاه توصيلا ، من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ! ونحن

(١) صاب المطر يصوب : نزل متتابعًا

(٢) المعرس : مكان النزول ليلا ، والمقيل : المكان الذى تستريح فيه وقت القائلة .

نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على فضله الذي أناله جسيما جزيلا ، وتوكل عليه ، توكل من يلجأ في كل أحواله إليه ، وكفى بالله وكيفا ، ونستعينه على أمور المسلمين التي حملنا منها أمانة كبيرة وعِثْمًا ثقيلا ، ونقف بالضراعة بين يديه ، طلبا لما يخلصنا لديه ، عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا وتوسيلا ، ونعوذ به من كل عمل لا يكون حاصله إلا مآلا وبيلا ، وعرضا من الدنيا قريبا ومتاعا قليلا ، إنا - والله المرشد - لنعلم أن هذا الأمر الذي قلنا الله تعالى منه ما قلده ، وأسندته إلينا من أمور خلقه فيما أسنده ، قد ألزمننا من حقوقه الواجبة ، وفروضه الراتبة ، ما لا استطاع إلا بمعونته أداؤه ، ولا يستتب إلا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتدائه ، فهو المشكور عز وجهه على نعمته ، والمستعان على ما يدنى من رضاه ويقرب من رحمته ، وأن كل امرئ بشأنه مشغول ، وعن خويصة نفسه مسئول ، ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون ، وعن الكبير والصغير مسئولون ، وعلينا النصيحة لله في عباده وبلاده ، والنظر لهم بمنتهى جدّ المجتهد واجتهاده ، ولا قوة إلا بالله عليه توكلنا ، وبه إليه توصلنا ، فعيننا تسهر لقمم الرعية عيونهم ، وتحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم ، وأملنا أن لا نقر فيهم بحول الله تعالى ظالما ولا هظما ، ولا نخرم لهم في إقامة حقوق الله ما استطعنا نظما ، وأنى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيته ، من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم في بريته ، ولعل الله الذي حملنا ما حملنا ، واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا ، أن يهب لنا توفيقه ، ويسلك بنا إلى هداه طريقه .

ألا وإن من أوليائه أمرا من أمور المسلمين فهو مطلوب به ، وموقوف عليه عند ربه ، فلينظر امرؤ في جزئية ما نيظ به <sup>(١)</sup> وكليته ، وليراقب فيما لديه عالم خفيته وجليته ، ألا وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، فمن حفظ الله حفظه الله

في نفسه وماله ، وقضى له بالسعادة في حاله ومآله ، وأجاء يوم عرضه وسؤاله ،  
والخلق عيال الله فأحبهم إليه أحبهم لعياله ، العدل العدل فيه قامت السموات  
والأرض ، وبإقامته أقيمت السنة والفرص ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وأقوى  
ما تشد به أركان الدين وتقوى ، أما إن الحق في أن لا تتعدى أساليب الشرع  
وقوانينه ، وأن لا يتجاوز في قضية من القضايا إفصاحه وتبينه ، وأن يجازى بحكمه  
السيئون والمحسنون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، ألا وإنا قد عثرنا  
لبعض قواد الجهادية وحكامها ، على أمور أنكرنا معرفاتها واستقبحنا مستوصفاتها ،  
وبرئنا إلى الله تعالى من متغيراتها ومحرفاتها ، وعلمنا أن منهم أقواما لا يتورعون  
عن الأموال والدماء ، ولا يحذرون فيما يأتون ويدّرون جبار الأرض والسماء ،  
فأزلنا بحمد الله ذلك ونحوه ، ومجئنا ابتغاء رضاه بحقه ونحوه ، وانبعثنا لنظر جديد ،  
واستئناف لإصلاح أحوال وتسديد ، وتعليظ في الحرمات وتشديد ، واستقبلنا  
ما يوسع الأمور ربطا وضبطا ، ويفيض على الأمة بعون الله تعالى عدلا وقسطا ،  
وتعين علينا فيما رأيناه إنفاذ الخطاب إلى كل من استكفينا بالبلاء ، ووليناه النظر  
عنا في مصالح العباد ، بما يكون إن شاء الله تعالى الاعتماد على فُصوله ، والاستناد  
إلى محصولة ، والاجتهاد بحسب فروعه وأصوله .

فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله في كل حال ، ومراقبة أوامره ونواهيه  
عند كل انتحاء<sup>(١)</sup> وانتحال ، والوقوف عند حدود الله التي حدها ، وأرصدها بإزاء  
موجباته وعدها ، فإنه لا يتعداها إلا من رام تعقّي رسمها وطمسه ، ومن يتعد حدود  
الله فقد ظلم نفسه ، والمحافظة على ما به تحفظ الشريعة ، والملاحظة لما يضم الرعايا  
من حوزة أولى الحياطة النية ، والمُشَاوَرَة على ما تكف به أكف الاعتداء ،

(١) انتحاء : قصده ، والانتحاء : مصدره ومعناه القصد

والمبادرة إلى الاهتمام بالسلف الصالح والافتداء ، والطريقة المثلى ، وآيات الله التي تُتَقَلَّى ، وهداياته التي لأبصار البصائر تجلّ ، وخَفَضَ الجناح ، والأخذ بالرفق والإنجاح ، وتوخى الحق الذي هو أوضح انبلاجاً من فلق الإصباح ، والحلم والأناة ، والمذاهب المستحسنات ، والأمور البينّات

والله الله في الدماء فإنها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها ، ولا سبيل لاستحلالها إلا بعد ثلاث : كفر بعد إيمان ، أوزى بعد إحسان ، أو قتل المسلم لأخيه ، وقد قال مالك الأمر والخلق (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) فتثبتوا فيها فأمرها جليل ، وتحريمها لا يدخله تحليل ، وإياكم أن تجعلوا فيها لأحد من ولاية الجهاد حكماً أو نظراً ، أو تَكُلُّوا إليهم منها مستكبراً أو مستنزراً ، فإنه إذا استبدّ بالقضاء فيها كل وال ذهب هدرًا ، واستباحها الجاهل والجائر أشراً وبطراً ، وربما كان فيهم من في طباعه سَبْعِيَّة فيقتل بها الناس قتلاً ذريعاً ، ويستسهل من ذلك بجوره صعباً ويرتكب بحمله شنيعاً ، ويذهل عن قول الله تعالى ( من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ) فأنتي تحل المسامحة في هذا الشأن ، أو يحكم به كل إنسان في نفوس أهل الإيمان ؟ معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه ، أو ينصرف إليه نظر نافلاً نزيله ولا نصرفه ، فسدوا هذا الباب سداً ، وصدوا عنه مَنْ أمه صداً ، وكفوا كل ما كان من الأيدي للدماء ممتداً ، وَمَنْ وجب عليه القتل شرعاً وتعين ، واتضح موجب القصاص فيه وتبين ، فليس لكم إلا القاعدة الكبرى ، تَحَرَّرَى فيها الأحكام عليه بمحض القاضي والشهود كما يجب أن يتحرَّرَى<sup>(١)</sup> ، بعد أن يثبت في نازلته ويستحل ويُسْتَبْرَأ<sup>(٢)</sup> ، فلا تحل القضية

(١) تحرى الأمر ، وتوخاه : قصده

(٢) يستبرا : أصله يستبرأ - بالهمز - فسهل الهمز بقلبها ألفاً

إلا على بصيرة ، وحقيقة مستنيرة ، فقد يلوح في اليوم ما خفي بالأمس ، ويتعذر بعد الإفادة إعادة النفس

وملاك الأمر في انتقاء من يتصرف ، وتولية من لا يضيع ولا يتحيف ، فتخيروا للأُنظار والجهات ، مَنْ تَرْتَضَى سيرته من الولاة ، ولا تستعملوا أهل الفظاظة والجهالة ، والمصرين على الراحة والبطالة ، فإنهم إذا استرعوا أضاعوا ، وإذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا ، وميلوا باختياركم إلى المتسمين<sup>(١)</sup> بالصلاح ، المرسمين في ديوان الكفاة النصاح ، وأطيلوا مع ذلك التنقيير عنهم والتنقيب ، ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب ، ومن عزتم له على منكر من استباحة دم أو مال ، وإضاعة للحقوق وإهمال ، فخذوا على يده ، وجازوه بفاسد مقصده ، وأنزلوه بالمنزل الأقصى ، وعاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما استوصى .

واصرفوا نظركم إلى القضاة فإن مدار الشريعة إنما هو على ما يستند إليهم ، ويقصر من الأحكام عليهم ، فإذا كانوا من أهل العلم والديانة ، وذوى النزاهة والصيانة ، أمسكهم الورع بزمامه ، وبلغ العهد بهم غاية تمامه ، وإذا كانوا بضدهذا قبلوا الرشوة ، وأوطؤا العشوة<sup>(٢)</sup> ، وأطالوا النشوة ، وأحلوا من الدماء والفروج محرما ، وطمسوا من السنة بالليل والمين معلمها ، وحكموا بالهواة والهوى ، وطووا من الحق ما انتشر ونشروا من الباطل ، ما انطوى فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء<sup>(٣)</sup> ، وشرء جاسرهم وجاهلهم أحق بالانتقاء ، ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ، ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا وعلمهم بالمسائل .

ومما نؤكد عليهم فيه أمر الشهود ؛ فإن شهادة الزور هي الداء العضال ، والظلمة التي يتستر بها الظلمة والضلال ، والحجة الداحضة التي بها يحلل الحرام ويحرم

(١) المتسمين بالصلاح : أى الذين جعلوا الصلاح علامة لهم

(٢) فى ب « وأوطؤا العشرة » تحريف (٣) الانتقاء : الاختيار

الحلال ، وقد كثرت في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسدة ، ونفقت بهم سوق الأباطيل الكاسدة ، فتقدموا إلى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا إلا مشهوراً بركاء وعدل ، مؤلف حفظه من رجاحة وعقل ، ومن كان مغموماً عليه في أحواله ، منبوزاً بالاسترابة في شهادته وأقواله ، فلتُرَدَّ شهادته على أدراجها ، وليبطل ما يكون من حجاجها .

وأكدوا عليهم عند تعارض العقود في الترجيح ، والنظر في التعديل والتجريح ، لتجري أمور المسلمين على سنن الحق المستبين ، وتبدو المعدلة مشرقة الغرة مؤتلفة الحبين .

ومما نأمركم به أن تبعضوا عن العمال ، ولا تولّوا منهم إلا الحسن الطريقة المرضي الأعمال ، ومن لم يكن منهم جارياً على القوانين المرعية ، ناصحاً لميت المال رفيقاً بالارعية ، وكان في أمانته حائداً عن الجادة<sup>(١)</sup> السوية ، قائلاً كما قال قبله ابن التتبية ، فليعوّض منه غيره ، وليُرفع عن الجانبين ضيره ، فإنه ما كانت الخيانة قط في شيء إلا أهلكته ، ولا وضعت في إنسان طبيعة سوء إلا ملكته

وإنما هو مال الله تعالى الذي يرزق منه الحياة ، وبه تسد الثغور<sup>(٢)</sup> المهمات ، فينبغي أن يختار له محتاط في اقتضائه وقبضه ، حافظ لدينه ومروءته في كله وبعضه ، فخذوا في انتقاء هذه الأصناف المسمين ، واطلبوا بهذه الأوصاف المصرفين والمولين ، واجمعوا من الاجتهاد الحميد والقصد والاعتماد الأثر والعين ، وأنصفوا منهم إن تظلم من أحدهم متظلم ، واشفوا شكوى كل متشكك وألم كل متألم ، واعلموا أن حرمة الأموال بجرمة الدماء لاحقة ، وأن إحدى القضيتين للأخرى مساوية ولاحقة ، ومن أكبر ما ورد في ذلك وأعظمه ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال المسلم كحرمة دمه » .

(١) الجادة : الطريقة ، والسوية : المستقيمة

(٢) الثغور : جمع ثغر ، وهو كل موضع تخشى غارة العدو من جهته

وليكن الناس في الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة ، ولا محاورة في تغليب قوى على ضعيف ولا محاولة ، إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وإن دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى شاهدة ، ولا يؤخذن أحد بجريرة<sup>(١)</sup> أحد ، ولا يحسن ولد على والد ولا والد على ولد ، فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى ، لقول الله عز وجل ( ولا ترزوا رزرا أخرى ) اللهم إلا من آوى محدثا فإنه مأخوذ بما أجرم ، وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارفعوا - أعاننا الله تعالى وإياكم ! - للعدل بكل علم منارا ، واتخذوا الرفق بالإمامة شعارا ، فقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »<sup>(٢)</sup> وقد نص الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ، ونبها على منازع المقاربة والشداد ، فلا غضب لأمر إلا بما غضب له الله عز وجل ، ولا رضاء به إلا إذا استقر فيه رضا الله تعالى وحل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذي يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل : عبدى ، لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟ فيقول : رب غضبت لغضبك ، فيقول : أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ؟ ثم يؤتى بالمقصر فيقول : عبدى ، لم قصرت عما أمرتك به ؟ فيقول : رب رحمته ، فيقول : أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي ؟ » قال : فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لم يحفظه الراوى ، إلا أنه قال : صيروهما إلى النار ، أعاننا الله تعالى منها بفضل ورحمة ! فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع ، ويحفظ الأصل من هذه الوصايا والقرع ، واحتاطوا في الرعية فإنه رأس المال ، والأمانة التي لا ينبغي أن يكون فيها شيء من الإهمال ، ومع توفيقكم لما سطرناه ، في هذا الكتاب وشرحناه ، من أبواب الخير المسعد في المآب والمآل ، فاستوفوا ضروب

(١) الجريرة : الذنب والخطيئة

(٢) شانه : عابه ونقصه

الصالحات واستقصوها ، واعملوا أعمال البر وخصوها ، واذكروا آلاء الله وقصوها ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، واشتدوا في تغيير المنكرات كلها ، واحسموا أدواءها من أصلها ، ورغبوا الناس في الطاعات واندبواهم إليها ، ووضحوا لهم أعمالهم وحرصواهم عليها ، وانتهوا في كل سعي ناجح ، ورأي راجح ، إلى أفضل ما ينتهي إليه المنتصحوون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .

وخذوا بعجارة مساجد الله التي هي بيوت الأتقياء ، ومحل مناجاة ذي العظمة والكبرياء ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين

ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعاليمه للصغار يطفىء غضب الرب ونعم الشفيع هو يوم القيامة ، والمتوسل فيما يتوج القاريء وأباه تاج الكرامة ، وأرشدوا للخير ما استطعتم ، واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم ، والله ولي التوفيق والإرشاد ، والملجئ بالهداية إلى طريق الفوز والسداد

وهذه أوامرنا إليكم امثلنا أمر الله تعالى فامثلوها ، وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها ، وإنا لما يكون منكم فيها المستمعون ، ولأننا ركم فيما يوفيهما المتطلعون ، وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمنا في التذكير ، ونهجنكم لكم منها التقديم والتأخير ، والله تعالى يعلم أنا إنما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب ، وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الحظر والإيجاب<sup>(١)</sup> ، لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا ، ونسعى في صلاح الأمة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا ، اللهم عبْدُكَ يضرع إليك ، ويخضع بين يديك ، في أن تلهمه إلى ما يحمل قصدا ومعتمدا ، وتهب له من لدنك رحمة وتبهي

(١) الحظر : المنع ، وأراد به التحريم ، وقابله بالإيجاب

له من أمره رشدًا ، اللهم منك المعونة على ما وليت ، ولك الشكر على ما أوليت ،  
فالمهدى من هديت ، والخير كله فيما قضيت ، اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن  
له مُعينًا ، وأورده من توفيقك عذابًا مُعينًا ، إنك الولي النصير ، العلي الكبير .

وإذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه على الناس مفصلاً ومجملًا ، وأظهروا مضمونه  
لهم قولاً وعملاً ، واسلكوا بهم من مرشده سنناً مستجملًا ، إن شاء الله تعالى ،  
والله سبحانه يديم علاكم ، ويصل إعادتكم في كل مجد وإبداعكم ، ويجزل  
حظوظكم من السعادة وأنصباكم<sup>(١)</sup> ، بمنه وكرمه لارب سواه ، والسلام الأكرم  
الأزكى يخصكم ، ورحمه الله تعالى وبركاته .

وكتب في الرابع والعشرين لجادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستائة ، انتهى  
وهذا ابن الجيان له الباع المديد في النظم والنثر ، ومن شعره رحمه الله تعالى  
في مرضه الذى توفى فيه ، وهو آخر كلامه :

جَهِلَ الطَّيِّبُ شَكَابِيَّ وَشَكَابِيَّ      إِنَّ الطَّيِّبَ هُوَ الَّذِي هُوَ مَرْمُضِي  
فَإِنْ ارْتَضَى بَرُّى تَدَارَكَ فَضْلُهُ      وَإِنْ ارْتَضَى سَقَمِي رَضِيَتْ بِمَا رَضَى  
مَالِي اعْتَرَاضَ فِي الَّذِي يَقْضَى بِهِ      لَكِنْ لِرَحْمَتِهِ جَعَلْتُ تَعْرَضِي

من شعر  
ابن الجيان

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملفزاً في بطيخة :

وَحُمِّلَى بِأَبْنَاءِهَا قَدْ تَمَخَّضُوا      بِأَحْشَائِهَا مِنْ بَعْدِ مَا وَلَدُوهَا  
كَسَوْهَا غِدَاةَ الطَّلُقِ بُرْدًا مَعْصِفَا      عَلَى يَقَقِ أَزْرَارِهَا عَقْدُوهَا  
وَلَمَّا رَأَوْهَا قَدْ تَكَامَلَ حَسْنُهَا      وَأَبْدَرَ مِنْهَا طَالِعَ حَسَدُوهَا  
فَقَدُّوا قَيْصَ الْبَدْرِ بِالْبَرْقِ وَاجْتَلَوْا      أَهْلَتَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَقَدُوهَا  
وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا أَنْصَفُوا بِدَرْتِهَا      وَلَا أَعْدَمُوا الْحَسَنَاءَ إِذْ وَجَدُوهَا

(١) أنصباكم : أصله أنصباءكم ، خذف الهمز حين سهلها فانقلبت ألفا ،  
تخلصاً من اجتماع الساكنين ، والأنصباء : الحظوظ ، واحدها نصيب

وقال أيضاً ملفزاً في الميل ، وهو المِرْوَد :

مسترخص السوم غال عال له أى حظوه  
ما جاوز الشبر قدراً لكنه ألف خطوه

وهذا استخدام مابه باس ، لأنه اكتسى من الحسن خير لباس ، وكم لهذا الكاتب من محاسن ، ماؤها غير آسن .

وقد عرّف لسان الدين في الإحاطة بابن الجيان ، وأطال في ترجمته ، ونشير من ترجمة ابن الجيان عن « الإحاطة » إلى بعض ذلك باختصار .

وهو محمد بن محمد بن أحمد ، الأنصارى ، من أهل مرسية ، أبو عبد الله ، ابن الجيان .

كان محدثاً راوية ضابطاً ، كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً ، رائق الخط ، ديناً فاضلاً ، خيراً ذكياً ، استكتبه بعض أمراء الأندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه ، ثم خلصه الله تعالى منه ، وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القمأة<sup>(١)</sup> ، حتى يظن رأيته الذي استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها ، متناسب الخلقة ، لطيف الشائل ، وقوراً ، خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة ٦٤٠ ، فاستقر بأريولة إلى أن دعاه إلى سبته الرئيس أبو على بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل إفادته ، وحطى عنده حُطوة تامة ، ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية ، وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته ، وروى ببلده وغيره عن أبي بكر بن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع بن سالم وأبي عيسى بن أبي السداد وأبي على الشلوبين وغيرهم ، وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ، ونظم في المواعظ للمذكرين

(١) القمأة : القصر ، وهو مما يذمه العرب ، قال الشاعر :

تبين لي أن القمأة ذلة وأن أعزاء الرجال طوالها

كثيراً ، انتهى مختصراً ، وإلا فترجمته في الإحاطة متسعة ، رحمه الله تعالى !  
ولما كتب له أبو المطرف بن عميرة برسالته الشهيرة التي أولها « تحييك  
الأقلام تحية كسرى ، وتقف دون مدّك حسرى » وهى طويلة ، أجابه بما  
نصه : ما هذه التحية الكسروية ؟ وما هذا الرأى وهذه الروية ؟ أنتكيت من  
الأقلام ؟ أو تبكيت من الأعلام ؟ أو كلا الأمرين توجه القصْدُ إليه ، وهو الحق  
مصدقا لما بين يديه ؟ وإلا فعهدى بالقلم يتسامى عن عكسه ، ويتراعى للغاية  
البعيدة بنفسه ، فتى لانت أنانيته للعاجم ، ودانت أعاريبه للأعاجم ؟ وأعجباً لقد  
استنوق الجمل<sup>(١)</sup> ، واختلف القول والعمل ، لأمرٍ ماجدع أنفه قصير<sup>(٢)</sup> ، وارتد على  
عقبه الأعمى أبو بصير ، أمس استسقى من سحابة فلا يستقي ، وأستشفى بأسمائه  
فلا يشفى ، واليوم يحلنى محل أنوشروان ، ويشكو منى شكوى الزيدية من  
بنى مروان ، ويزعم أنى أبطلت سحره ببئر ذروان ، ويخفى فى نفسه ما الله مبديه ،  
ويستجدى بالأمر ما عند مستجديه ، فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة ،  
والشريعة المبتدعة ؟ أيعظن أن معماه لا ينفك ، وأنه لا ينجلي هذا الشك ؟ هل  
ذلك منه إلا إحاض التيه ، وإحاض تفتيه ، ونشوة من الهزل ، ونخوة من ذى  
ولاية أمن من العزل ؟ تالله لولا محله من القسم ، وفضله فى تعليم النسم ، لأسلمته  
ما ينقطع به صلفه ، وأودعته ما ينصدع به صدقه ، وأشرت بطرف المشرفى  
ومجده ، وأشرت إلى تعاليه عن اللعب بجده ، ولكن هو القلم الأول ، فقوله على  
أحسن الوجوه يتأول ، ومعدود فى تهذيبه ، كل ما لسانه يهذى به ، وما أسانى  
إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ، وإنما أقول \* ليت التحية كانت لى فاشكرها<sup>(٣)</sup> \*  
ولا عتب إلا على الخاء ، المبرحة بالبرحاء ، فهى التى أقامت قيامتى فى الأندية ،

(١) استنوق الجمل : كانت له بعض صفات الناقة ، والمراد تغيرت الطباع

(٢) مثل قيل فى قصة قصير واحتياله على الزباء ملسكة الجزيرة حتى أخذ منها بالثار

(٣) هذا صدر بيت ، وعجزه قوله \* مكان « يا جمل » حيث يارجل \*

وقامت على قيام المتعدية ، يتظلم وهو عين الظالم ، ويلين القول وتحت سماء الأرقام<sup>(١)</sup> ولعمري البراعة وما رضعت ، والبراعة وما صنعت ، ما خامرني هواها ، ولا كلفت بها دون سواها ، ولقد عرّضت نفسها على مراراً ، فأعرضت عنها ازوراراً ، ودفعتها عنى بكل وجه ، تارة بلطفٍ وأخرى بنجّه<sup>(٢)</sup> ، وخفت منها السامة ، وقلت : انكحى أسامه ، فرضيت منى بأبى جهل وسوء ملكته ، وابن أبى سفيان وصقلكته ، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة ، وأسمح من سجاح في استنجاح تلك الخطبة ، ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عشرتها ، وأستقال الاجتماع من عترتها ، وأرى من القين والسفاه ، أخذها وترك بنات الأفواه والشفاه ، إذ هي أيسر مؤنة ، وأكبر معونة ، فغلطني فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ، ومن نسوة خفريات لا ينطقن إلا بالهمس ، ووجدتها أطوع من البنان للكف ، والعنان للكف ، والمعنى الاسم ، والمعنى للرسم ، والظل للشخص ، والمستدل للنص ، فما عرفت منها إلا خيراً أرضاه ، وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله ، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها ، ونشرت قدشرت ما امتكمتها بعلمها ، واضطربت في رأيها اضطراب المختار أبى عبيد ، وضربت في الأرض تسمى على بكل مكر وكيد ، وزعمت أن الجيم خدعها ، وألان أخذعها ، وأكبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور ، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور ، فقد جاءت إفكا وزورا ، وكثرت من أمرها منزورا ، وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص ، والمراودة قالت ( ما جزاء ) وهي التي قدت القميص ، وربما يظن بها الصدق وظن الغيب ترجم ، ويقال : لقد خفضت الحاء بالمجاورة لهذا الجيم ، وتنصر لها التي خيمت بين النرجسة والريحانة ، وختمت السورة بأمم جعلت ثانيه

(١) الأرقام : جمع أرقم ، وهي الحية .

(٢) نجحه ينجمه نجما - من باب فتح - رده أقبح الرد ، واستقبله بما يكره .

أكرم نبي على الله سبحانه ، فإن امتعضت لهذه التكملة ، تلك التي سبقت بكلمتها  
 بشارة الكلمة ، فأنا أولد<sup>(١)</sup> بعدها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها ،  
 وتعمل بمقتضى ( فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ) على أن هذه التي قد  
 أبدت مئينها<sup>(٢)</sup> ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، إن قال الحكمان : منها كان  
 النشور ، عادت حرورية العجز ، وقالت : التحكيم في دين الله تعالى لا يجوز ،  
 فعند ذلك يحصص<sup>(٣)</sup> الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب  
 أروى ، من دعوة سعدية حين الدعوى ، ويا ويحها أرادت أن تجنى على فجفت لي ،  
 وأناخت لي مركب السعادة وما ابتغت إلا ختلي ، فأتى شرها بالخير ، وجاء النفع من  
 طريق ذلك الضر ، أتراها علمت بما يشيره اعوجاجها ، وينبجلى عنه عجاجها ، فقد أفادت  
 عظيم الفوائد ، ونظيم الفرائد ، ونفس الفخر ، ونفيس الدر ، وهى لا تشكر أن كانت  
 من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب ، وإنما يستوجب الشكر جسيما ،  
 والثناء الذى يتضوع نسيما ، الذى شرف إذا هدى أشرف السحات ، وعرف بما كان  
 من انتحاء تلك الحاء المذمومة فى الحآت ، فإنه وإن ألم بالفكاهة ، بما أمل من  
 البداة ، وسمى باسم السابق السكيت ، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت ،  
 وتلاعب فى الصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانة ، والصبا بالعاشق ذى اللبانة ،  
 فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب بفتونه ، ونفت بخفية الأطراف ، وعبث من  
 الكلام المشقق بالأطراف ، وعلم كيف يحض البيان ، ويخلص العقيان ، فمن  
 الحق [أن] أشكره على أياديه البيض ، وإن أخذ لفظه من معناه فى طرف النقيض ،  
 تالله أيها الإمام الأ كبر ، والغمام المستمطر ، والخبر الذى يشفى سائله ، والبحر الذى  
 لا يرى ساحله ، ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل ذلك النور لهذا

(١) أولد بعدها : ألجأ إليه وأعتصم به ، ومثله أعوذ بفضلها

(٢) أبدت : أظهرت ، والمين - بالفتح - السكذب

(٣) حصص الحق : بان بعد اكتماله ، يشير إلى مذهب الخوارج الذين كفروا

عليها بالتحكيم بعد أن كانوا هم الذين ألجؤوا إليه .

الحلك<sup>(١)</sup>؟ وضح أن يقاس بين الحداد والملاك ، إنه لتواضع الأعزة ، وما يكون عند الكرام من الهزة ، وتحريض الشيخ للتلميذ ، وترخيص في إجازة الضوء بالنبيذ ، لو حضر الذي قضى له بجانب الغربي أمر البلاغة ، وارتضى ماله في هذه الصناعة ، من حسن السبك لخليها والصياغة ، وأطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان ، وأتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان ، لأذعن كما أذعنت ، وظعن عن محل الإجازة كما ظعنت ، وأنى يضاهى الفرات بالنغبة<sup>(٢)</sup> ، ويباهى بالقولس من أوتى من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، وأى حظ للكلالة بالنشب ، وقد اتصل للورثة عمود النسب ، هيات والله المطلب ، وشتان الدر والمخشاك ، وقد سيم القلب ، ورجع إلى قيسادة السلب ، وإن كنا من تقدم لشدة الظم إلى المنهل ، وكمن أقدم إلى عين تبوك بعد النهى للعالم والنهل ، فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا ، وملأ ما هنالك جيانا ، وماتعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشرب ساقى القوم ، وإن أسهبنا فما لنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن أعرقنا فهوانا في الحجاز ، فلکم قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا من الفقر في فقر وذلة ، ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ، ويخفى النجوم خجلها منها وحيائها ؟ إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كلية الوصل ، فلو سطع نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت النيران ليوסף ذلك الجمال ، ووجدت نفحات رياها في أعطاف الجنوب والشمال ، وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجاج يوم النفر ، وسار خبرها وسرى فصار حديث المقيمين والسفر ، وماضت تلك الساخرة في تجليها ، الساحرة بتجنيها ، أن كانت بمنزلة ربيبتها بل تربها ، هذه التي سبقتني لما سقتني بسيدتها ، ووجدت ريمها

(١) الحلك - بالتحريك - الظلام الشديد .

(٢) أراد بالفرات النهر الكبير ، والنغبة - بالضم وبالفتح - الجرعة من الماء .

لما فَصَلَتْ من مصر غيرها ، وحين وصلت لم يدلني على ساريها إلا عَيْرُهَا ، وكم رامت أن تستر عني بلبيل حبرها في هذه المعاني ، فأغرائي بهاؤها وكل مغرم مغري ببياض صبح الألفاظ والمعاني ، وهل كان ينفعها ، تلفحها بحرطها وتلفعها ؟ إذ نادتها المودة ، قد عرفناك يأسودّة ، فأقبلت على شم نشرها وعرفها ، ولثمت سطرها وحرفها ، وقريتها الثناء الحافل ، وقرأتها فزيت بها الحافل ، ومرت أمر الجواب ، فعزني في الخطاب ، لكن رسمت هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزى واشية ، وإليكم منى على استحياء ماشية ، وإن رق وجهها فما رقت لها حاشية ، فمنوا بقبولها على عللها ، وانقعوا بجم سماحتكم حرغللها ، فإنها واذة من استقر قلبه عندكم وثوى ، وأقر بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يلقى للمساكين من النوى ، بقيتم سيدي للفضل والإغضاء ، ودمتم غرة في جبين السمحة البيضاء ، واقتضيت السعادة المتصلة مدة الافتضاء ، يمين الله سبحانه ، انتهى .

ومن نثر ابن الجيان رحمه الله تعالى في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم :  
 لمحمد خير الأنام ، ولبينة التمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، خيرت المفاجر ، يتضاهل<sup>(١)</sup> لعظمتها المفاجر ، والمعالى ، يتصاغر لعزتها المعالى ، والمكارم ، يعجز عن مساجلتها المسكام ، والمناقب<sup>(٢)</sup> لا تضاهى سناها النجوم النواقب ، والحمد ، لا يبلغ مداها الحمد ، والمآجد ، لا يتعاطى رتبهن المآجد ، والمناسب ، سمت بجلالهن المناصب ، والعناصر ، طيبتها الشرف المتناصر ، والفضائل ، تفجرت في أرجائهن الفواضل ، والشمائل ، تأرججت بعرفهن الجنائب والشمائل ، فلا يجارى لسيد البشر ، الآتى بالندارات والبشر ، فيما حماه الله تعالى به وخصه ، وقصه علينا من خلقه العظيم ونصّه ، عند رسم مدائح يوجب المعول ،

(١) يتضال : يذل ويقصر ، ومثله « يتصاغر » في الفقرة بعدها .

(٢) المناقب : جمع منقبة ، وهى المحمّدة ، وتضاهى : تشابه ، والسنا : الضوء .

وفي الثناء عليه يُستَصَرُّ الكلام المطوّل ، هو الآخر في ديوان الرسالة والأوّل ، وله في الفضيلة ، وقبول الوسيلة ، النص الذي لا يؤوّل ، نوره صدع الظلم<sup>(١)</sup> ، وظهوره رفع لدين الله تعالى العلم ، بدأه الوحي وهو بحراء ، وأسرّ إليه سر تقدم الإسراء ، حتى إذا نصب له المعراج ، وتوقد في منارة السماء ذاك السراج ، ناجى الحبيب حبيبه ، وجلا عن وجه الجلاء جلايبه ، فتلقى ما تلقى ۞ لما علا وترقى ، ثم صدر<sup>(٢)</sup> عن حضرة القدس ، وجبين هدايته يَبْهَرُ سنا الشمس ، فشق لمعجزاته القمر ، ونهى بأمر ربه وأمر ، وأزال الجهالة ، وأزاح الضلالة ، وكسر منصوب الأوثان ، ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان ، وبني الملة على قواعدها الخمس<sup>(٣)</sup> ، وأحيا دين إبراهيم وكان رُفَاتنا بالرمس ، فرفلت الحنيفة البيضاء في ردة الجلدة ، وبيضت بضياء غرتها أوجه الأيام المسودة ، وانتشرت الرحمة بنبيها ، ومطرت المرحمة من سحب حياها ، وافتنت الآيات اليبينات في مساقها واتساقها ، وإشراقها في آفاقها واتساقها ، وشهد الحجر والشجر ، والماء من بين البنان يتفجر ، والظبية والضب ، والجذع المشتاق الصب<sup>(٤)</sup> ، والشاة والبعير ، والليث إذا هدا أسمع منه الزئير ، والحي والجناد ، والقصّة والزاد ، بأن محمداً رسول الملك الحق ، والمبلغ عنه بواسطة الملك إلى الخلق ، وصاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، والقول المسموع ، والذكر المرفوع ، والصدر المشروح ، والفخر الباهر الوضوح ، والأنوار المتناقلة ، والآثار المتداولة ، والنبوة التي عهدتها تقادم ، من قبل خلق آدم ، والمزية المعروف قدرها الجليل ، المقبول فيها ما دعا به الخليل ، والرتبة التي استشرف إليها السكليم ، حتى قال له ( وكن من الشاكرين ) ربّه الكريم ، والبشارة التي كان بها يصبح حين يسيح ۞ روح الله تعالى وكلمته عيسى

(١) صدع : شق ، والظلم : جمع ظلمة ، بالضم .

(٢) صدر : رجع . (٣) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على

خمس - الحديث » . (٤) الصب - بفتح الصاد - ذو الصبابة ، وهي الشوق .

المسيح ، والشفاعة التي يرجوها الرسل والأمم ، ويقرّع بها الباب المرجح المبهم ،  
فما لنبينا المختار ، من علوّ المقدار ، واصطفاء الجبار ، والاختصاص بالأثرة ،  
والاستخلاص للحضرة<sup>(١)</sup> ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما ، وحسب هذا  
الوجود من الفضل الرباني والجلود الذي لم يزل عظيما ، أن بعث الله تعالى فيه  
رسولا رؤفا بالمؤمنين رحما ، عزيزا على ربه الكريم كريما . بسره سجدت  
الملائكة لآدم تعظيما ، وبذكره ينظم سلك المادح لحضرتة العلية تنظيما ، صلى الله  
عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ، صلاة تتصل ما دار كأس محبته على  
محبية فكان مزاجه تسنينا ، وسلاما ينزل دار دارين فيرسل ببضائعها إلى روضة  
الرضا نسيما .

ومن خطبه المرتجلة قوله سبحانه الله تعالى :

الحمد لله الذي حمّدَهُ من نعمائه ، وشكّره على آلائه من آلائه<sup>(٢)</sup> ، أحمدَهُ حمّدَ  
عارف بحق سنائه ، واقف عند غاية العجز عن إحصاء ثنائه ، عاكف على رسم  
الإقرار بالافتقار إليه والاستعناء به في كل آنائه .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه ،  
المتقدس عما يقوله الملحدون في أسمائه .

وأصلى على سيد ولد آدم ونجّية أنبيائه<sup>(٣)</sup> ، محمد المفضل على العالمين باحترابه  
واصطفائه ، المنتقى من صميم الصميم وصرّيح الصريح بجملة آبائه ، المرتضى الأمانة  
والمكانة بإبلاغ أمر الله وأدائه ، أرسله الله كافة للناس عموما لا يتخصص  
بأستثنائه ، وفضله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين  
ونظرائه ، ورقّاه إلى الدرجات العلا وأنهاه إلى سِدْرَةِ المنتهى ليلة إسرائه ، وحبّاه<sup>(٤)</sup>

(١) سقط خبر ما الموصولة في قوله « فما لنبينا المختار »

(٢) الآلاء : النعم ، واحدها إلى - بكسر الهمزة مقصورا -

(٣) نجية كل شيء : المختار منه . (٤) حباه : منحه وأعطاه .

بالخصائص التي لا يضاهى بها بهاء كماله وكال بهائه ، وردّاه رداء العصمة فكانت عناية الله تكنفه<sup>(١)</sup> عن يمينه وشماله وأمامه وورائه ، ووفاه من حظوظ البأس والندى ما شهد بمزيته على الليث<sup>(٢)</sup> والغيث في إبانته وانهمائه ، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الهدى ونجوم سمائه ، صلاة تتصل ما سمح البدر بانطلاق أنواره والقطر باندفاع أنوائه ، وسلم تسليماً .

ومن نثره رحمه الله تعالى رسالة كتب بها من الأندلس إلى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم ، وهي :

السلام العميم الكريم ، والرحمة التي لا تبرح ولا تریم<sup>(٣)</sup> ، والبركة التي أولها الصلاة وآخرها التسليم ، على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة ، المؤيدة بالعصمة والأيد<sup>(٤)</sup> والقوة ، ومثابة البر والتقوى فهي لقلوب الطيبين صفًا ومرّوة ، مقام سيد العالمين طراً ، وهاديهم عبداً وحرّاً ، ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد طالما ألقوا العيش ضنكاً والدهر مرّاً ، ومقر الأنوار الحميدة ، والبركات السرمدية ، أمتع الله تعالى الإسلام والمسلمين بحراسة أضوائها ، وكلاءة ظلّالها العلية وأفيائها<sup>(٥)</sup> ، وأقر عين عبدها بلثم ثراها ، والانخراط في سلك من يراها .

السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ، سلام من يمدّ إليك يد الغريق ، ويرجّو الإنقاذ ببركتك من نكد المصّيق ، ويتقطع أسفاً ويتنفس صعداً كلما ازدلف إليك فريق ، وعمرت نحوك طريق ، ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يحفر ريق ، كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدون وأقت ، واستقام المستعدون وما استقامت ، وبينى وبين لثم ثراك النبوي ، ولمح سنالك الحمدي ، مفاوز لا يفوز بقطعها إلا من طهر دنس ثوبه ، بماء توبه ،

(١) تكنفه : تحيط به . (٢) الليث : السبع ، والغيث : المطر .

(٣) لا تریم : لا تفارق مكانها . (٤) الأيد - بالفتح - القوة .

(٥) الأفياء : الظلال ، وأحدها فيء .

وَسَتَرَوْضَمَ عِيَهُ ، بظهر غيبه ، فكلمارُمت المتاب رددت ، وكلما يمت <sup>(١)</sup> الباب صُدِدتْ  
وقد أمرنا الله تعالى بالحجى إليك ، والوفادة عليك ، ومن لى بذلك يا رسول الله والآثام  
تُذْنِي وتُبْعِدُ ، والأيام لا تُدْنِي ولا تُسَعِدُ ، وبين جنبى أشواق لا يزال يهزنى منها  
المُقِيمُ المُقْعِدُ ، ولئن كنت ممن خَلَفْتَهُ عِيوبُهُ ، وأَوْبَقْتَهُ <sup>(٢)</sup> ذُنُوبُهُ ، ولم يرض للوفادة  
وهو مدنس ، على ذلك المقام وهو المطهر المقدس ، فعندى من صدق محبتك ،  
وَحُبِّ صَحْبِكَ ، والاعتلاق بدمتك ، ما يُقَدِّمْنِي وَإِنْ كُنْتُ مَبْطِئًا ، ويقربنى  
وإن كنت مَخْطِئًا ، فاشفع لى يا رسول الله فى زيارتك فى أفضل المنى ، وتوسل  
لى إلى مَوْلى بَيْنَ فَضِيلَتِكَ ، وتقبل وسيلتك ، فى النقلة من هناك إلى هنا ، واقبلنى  
وإن كنت زائفاً <sup>(٣)</sup> ، وأقبل على وإن أصبحت إلى الإثم متجانفاً ، فأنت عماد أمتك  
جميعاً وأشتاتاً ، وشفيهم أحياء وأمواتاً ، ومن نأت به الدار ، وقعدت بعزمه  
الأقدار ، ثم زار خَطُّهُ وَلَفْظُهُ ، فقد عظم نصيبه من الخير وَخَطُّهُ ، وإن لم أكن  
سابقاً فعسى أن أكون مُصْلياً <sup>(٤)</sup> ، وإن لم أعد مُقْبِلاً فعلى أعد مَوْلِيَا ، ووحقتك وهو  
الحق الأكيد ، والقَسَمُ الذى يبلغ به المُقْسِمُ ما يريد ، ما وَخَدْتُ إِلَيْكَ رَكاباً ،  
إلا وللقلب أثرها التهاب ، وللدمع بعدها سَحَ وانسكاب ، وياليتنى ممن يزورك  
معهما ولو على الوجنتين ، ويحييك بين ركبها ولو على المقلتين ، وما الغنى دونك  
إلا بؤس وإقلال ، ولا الدنيا وإن طالَّت إلا سجون وأغلال ، والله تعالى يَمُنُّ  
على كتابى بالوصول والقبول ، وعلى بلحاقى ببركتك ولو بعد طول ، ثم السلام ورحمة  
الله تعالى وبركاته عليك ياسيد الخلق ، وأقر بهم من الحق ، ولمولاه بإحراز قَصَبِ  
السَّبْقِ ، ومن طهر الله تعالى مثواه وَقَدَّسَهُ ، وبناءه على التقوى والرضوان وأسسَه ،  
وَأَتَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ نَبْوَى أَعْلَاهُ وَأَسْنَاهُ وَأَنْفَسَهُ ، وعلى ضجيعيك السابقين

(١) يمت : قصدت . (٢) أوبقته : أهلكته .

(٣) الزائف : الذى لا يروج من النقد ، هذا أصله .

(٤) أصل المصلي : الفرس الذى يحىء ثانياً من خيل الحلبة .

لمهاجرين وأنصارك ، الفائزين بصحبتك العلية وجوارك ، وعلى أهل بيتك  
المطهرين أوائل وأواخر ، الشهيرين مناقب ومفاخر ، وصحابتك الذين عزروك  
ووقروك ، وآووك ونصروك ، وقدموك على الأنفس والأموال والأهل وآثروك ،  
وأقرنتك سلاما تنال بركته مَنْ مضى من أمتك وغَبرَ ، ويخص بفضل الله تعالى  
وجاهك من كتب وسَطَرَ ، إن شاء الله تعالى ، كتبه عبدك المستمسك بعروتك  
الوثقى ، اللانث بدحرمك الأمانع الأوقى ، المتأخر جسما المتقدم نطقا ، فلان ، والسلام  
عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته .  
وله من خطبة طويلة : ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الصفوة المجتبي ،  
السكريم أما طاهرة وأبا ، المختار من الطيبين مباركاً طيبا ، المصطفى نبيا إذ كان  
آدم بين الماء والطين مُتَقَلِّبًا ، المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين ،  
انتخبه الله وانتجبه<sup>(١)</sup> ، وأظهره على غيب عن غيره حَجَبَه ، وشرفه في الملأ الأعلى  
وأعلى رُتَبَه ، وخطَّ اسمه على العرش سَطْرًا وكتبه ، فهو وسيلة النبيين ، والمرشَّح  
أزلا لإمامة المرسلين ، بعثه ربه لختم الرسالة ، ونعته بنعت الشرف والجلالة ،  
وأيدته بالحجة البالغة والدلالة ، وجعله نورا صادعا لظلام الضلالة ، وأثنى في ذكره  
الحكيم ، على خلقه العظيم<sup>(٢)</sup> ، فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المُثَنِّين ، بفضل الصريح  
وإليه الإشارة ، وبه سبقت من إبراهيم الدعوة ومن عيسى البشارة ، وعليه راقى  
من صفة الرؤوف الرحيم الحلية والشارة ، وهو الخير بين الملوك والعبودية فاختار  
العبودية بعد الاستخارة والاستشارة ، فبتواضعه حل بمكان عند ذى العرش  
مكن أسرى به ربه إليه ، ووفده أكرم وفادة عليه ، وأدناه قاب قوسين  
لديه ، ووضع إمامة الرسالة العظمى في يديه ، وقال له ( اصدع بما تؤمر  
وأعرض عن المشركين ) فصدع بأمر الله صدعا ، وأوتى من المثاني سبعا<sup>(٣)</sup> ، ومن

(١) انتجبه - بالجيم ، وبالحاء - اختاره واصطفاه .

(٢) يشير إلى قوله تعالى في وصف رسوله ( وإنك لعلى خلق عظيم ) .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ) .

الآيات البينات آلافا وإن كان أوتي موسى تسعا ، فما مشى الشجر إليه يجر عروقه  
إلا كرجوع العصاحية تسعى ، وما تفجر الحجر بالماء بأعجب من بئانه نبعت بالعذب  
القرات نبعاً ، فارتوى منه خمسمائة وقد كان يكفي آلافا فكيف المئين ، وكل له  
عليه الصلاة والسلام من معجزة تهر ، وآية هي من أختها أكبر ، رجعت له  
الشمس وانشق القمر ، وكله الضب وأخبر به الذئب وسلم عليه الشجر والحجر ،  
وكان للجذع عند فراقه إعلاناً بوجده واشتياقه أنه وحين<sup>(١)</sup> ، أعطى من المعجزات  
ما مثله غبط عليه البشر ، وكانت له في الغار آيات بينات خفي بها على القوم الأثر ،  
وارتج لمولده إيوان كسرى وخمدت نار فارس وكان ضرهما يتسمر ، وأنته أخبار  
السماء فما عفى في الأرض الخبر ، فحدث عن الغيوب وما هو على الغيب بضنين ،  
وجعل له القرآن معجزة تتلى ، يَبْلَى الزمان وهي لا تَبْلَى ، وتعلو كلماتها على الكلم  
ولا تُعْلَى ، وتجلي آياتها في عين آيات الشمس حين تجلي ، فيتوارى منها بالحجاب  
خاجب وجبين ، بهر إعجاز التنزيل العلي ، وظهر به صدق النبي العربي ، فكم  
نادى لسان عزه في الندى ، يا أهل البديهة من الفصحاء والروى ، قل فأتوا  
بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين ، لقد خص نبينا عليه السلام بالآيات السكينة  
والدلالات الواضحة الغرر ، والمقامات السامية المظهر ، والكرامات الخلد المفعر ،  
فهو سيد الملائ النبوى والمعشر ، وحامل لواء الحمد في المحشر ، وصاحب المقام المحمود  
والسكوتر ، والشفيع المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله  
الطيبين ، وذريته المباركين ، وصحابته الأكرمين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ،  
صلاة موصولة تتردد إلى يوم الدين ، وتصعد إلى السموات العلا فتكون كتاباً في  
عليين ، وسلم تسليماً .

(١) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع نخلة ، ثم اتخذ له  
منبر ، فلما رقا مع للجذع حين ، فنزل عليه الصلاة والسلام ، فالتزم الجذع ، فسكن  
حينه . وقال عليه الصلاة والسلام : « لو لم أفعل لظل يحن إلى يوم القيامة »  
أو كما ورد .

ومن نثره في خطبة قوله : أيها الناس ، رحمكم الله تعالى ! أسيخو أسمعكم  
لمواعظ الأيام ، واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولى النهى <sup>(١)</sup> والأحلام ، وأخضروا لقهوم  
موادها أوعى القلوب وأصح الأفهام . وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا  
بأعين النوام ، ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام ،  
ولا تنسينكم خدعها الموهمة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام ، فهي  
دار انقياب <sup>(٢)</sup> النوائب ، ومصاب المصائب ، وحدث الحوادث وإلزام الآلام ،  
دار صفوها أكدار ، وسلها حرب تدار ، وأمنها خوف وحذار ، ونظمها تفرق  
وانتشار ، واتصالها انقطاع وانصرام ، ووجودها فناء وانعدام ، وبنائها تصعُّصُ  
واسهدام ، ينادى كل يوم بناديبها منادى الحمام ، فلا قرار بهذه الفراة ولا مقام ،  
ولا بقاء لساكنيها ولا دوام ، فبئست الدار داراً لا تدارى ، ولا تُقِيل لعائريها  
عثارا ، ولا تقبل لمعتذر اعتذارا ، ولا تقى <sup>(٣)</sup> من جورها حايقاً ولا جارا ، وليس لها  
من عهد ولا ذمام <sup>(٤)</sup> ، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام ، كم نازلت بنوازها من  
قَبَاب وخيام ، كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام ، كم رمت أغراض  
القلوب بمضمميات <sup>(٥)</sup> السَّهَام ، كم جردت في البرايا العناية من حُسام ، كم بددت  
بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام ، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ  
وكهل وغلाम ، لا تبقى على أحد ، ولا تثرى لوالد ولا ولد ، ولا تخلد سروراً في خلد ،  
ولا يمتد فيها لآمل أمد ، بينما يقال قد وجد ، إذ قيل قد فقد ، بُعْدًا لها قد طبعت  
على نكد وكمد ، فالفرح فيها تَرَح ، والخبرة عبرة ، والضحك والابتسام ، بكاء وأدمع  
سِجَام ، تفرق الأحبة بعد اجتماعهم ، وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم ، وتسبيح

(١) النهى : العقول ، واحد هانية ، بالضم ، والأحلام : العقول أيضا .

(٢) انقيابته : نزلت به ، مثل نايته ، والنوائب : المصائب .

(٣) تقى : تحفظ وترعى . (٤) الذمام - بالكسر - العهد .

(٥) المضمميات : التي تصيب المقتل .

بالحام حتى الأعزة فلا سبيل إلى امتناعهم ، وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم ، إلى مصيرهم إلى الله عز وجل وارتجاعهم ، فيسيرون طوع الزمام ، ويلقون مقادة التذلل والاستسلام ، حتى يلجئوا بالرغام<sup>(١)</sup> ، وينزلوا بطون الرجام<sup>(٢)</sup> ، ويحلوا الوهد بعد المقام السام ، فلا ناج من خطبها العظيم ولا سليم ، يتساوى في حكم المنية الأغر والبهيم ، والأعز والمضيم ، ولو أنه ينجو من ذلك مجد صميم ، وجد كريم ، وحظ عظيم ، ومضاء وعزيم ، ومزية وتقديم ، وحديث في الفضل وقديم ، وشرف اسمك السموات مُسَام ، وعلا على ساق العرش المجيد ذوارتسام ، لنجا حبيبُ الملك العالم ، وسيد السادات الأعلام ، وصفوة الصفوة الكرام ، وخاتم الأنبياء وأئمة التمام ، وصباح الهدى ومصبح الظلام ، والأبيض المستنقى به غيث الغمام ، نمل الأرامل وعصمة الأيتام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، لكن مع قدره الجليل وفضله الجلى ، أقدم الموت على جانبه العلى ، وتقدم ملك الموت لقبض روحه القدسي ، وتغيب في الثرى جمال ذلك الوجه البهي ، وتفيض ماء السماء والندى ، لملك الساحة النبوية والندى ، وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنيهم العربي ، الهاشمي القرشي ، فياله للإسلام ، من مصاب أسفنا للحرز أي إسلام ، وأسأل مياه الدموع عن احتراق للضلوع واضطرام ، وأرانا أن الأسى في رزية لخير البرية واجب ، وأن التأسى حرام ، وهل يسوغ الصبر الجميل ، في فقيد بكنته الملائكة وجبريل ، وكثر له في السموات السبع النحيب والعيول ؟ انقطع به عن الأرض الوحي الحكيم والتنزيل ، وعظمت الرزية به أن يؤدي حقيقتها الوصف والتمثيل ، غداة أفقر منه الربع المحيل ، وأوحش من أنسه السفح والنخيل ، وكان من تلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل ، وقامت البتول تندب أباهها بقلب قريح وجفن دام ، وتنادت الأمة مات الرسول ففي كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام ، وحارت الأبواب

(١) الرغام - بالفتح ، بزنة السحاب - التراب ، ومنه قالوا « رغم أف فلان » أي التصق بالرغام . (٢) الرجام : جمع رجم - بالتحريك - وهو القبر .

والعقول فلا صبر هنالك لقد زلت عن الصبر الأقدام ، ولما نعتت إليه صلى الله عليه وسلم نفسه ، وآن أن تأفل من تلك المطالع شمس ، آذن أمته <sup>(١)</sup> بالفراق وأعلمهم ، وناشدهم في أخذ القصاص وكلهم ، مخافة أن يمضي إلى الملك الحق ، وعليه تباعة لأحد من الخلق ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، من صفات جائر للأمة ظلام ، ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام ، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتماذى ، وزاد به السقم <sup>(٢)</sup> المقتاب وتهادى ، حتى واره مآلجده ، وخلا منه ربه ومسجده ، فعم الحزن والاكتئاب ، وتوارى النور فأظلم الجنب ، وعاد الأصحاب ، وكأما دموعهم السحاب ، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ماراب : أطابت نفوسكم أن تحشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ فكأن كلامها للقلوب المفجعة كلام <sup>(٣)</sup> ، وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام ، وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع ، المشيد بذكر الأشجان المذيع ، كانت وفاة هذا النبي الهادى الشفيع ، وانتقاله إلى الملاء الأعلى والرفيق الرفيع ، حين ناداه ربه إلى قر به ، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع <sup>(٤)</sup> ، وحَنَّ إلى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديق ، وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع ، وإنجاز وعد الشفيع في الجميع ، إذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام ، ووقف على الحوض ينادى : هلموا إلى أروكم من العطش والأوام ، اللهم اسقنا من حوضه المورود ، وشرقنا بلوانه المعقود ، وشفعه فينا في اليوم المشهود ، وارحمنا به إذا صرنا تحت أطباق اللحد ، اللهم اجعله لنا تمزية من كل مفقود ، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود ، وجاهزه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود ، وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود ، واجعلنا

(١) آذن أمته : أعلمها .

(٢) السقم : المرض .

(٣) الكلام : الندوب والجروح .

(٤) المهطع : المسرع

معمهم في الجنة دار الخلود ودار السلام ، واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام ، وصل عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أي استلام ، وتنظم له كرامات إحسانك أي انتظام ، فصولات الله عليه ، وأطيب تحياته ورحمته <sup>(١)</sup> تتوالى لديه ، وأجزل بركاته ، ما تجد في ربيع ذكر وفاته ، وتمهد كهف القبول لطايب فضله وعفاته ، وتعزى به كل مصاب في مصيباته ، وترجى شفاعته كل محب فيه متمتع هداياته ، وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنباته ، حظوظ من رآه تعالى وأقسام ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ) اللهم صل عليه من نبي لم يزل بالمومنين رؤفا رحما ، اللهم صل عليه من نبي أوجبت حبه وعظمته تعظيما ، اللهم صل عليه من نبي صليت عليه تجللة وتكريما ، وأمرتنا بالصلاة عليه إرشاداً وتعليلاً ، فلنا بأمرك اقتداء واثتمام ، وبمحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام ، وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ، ولو جُهِك وحده البقاء والدوام ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين والحمد لله رب العالمين ، انتهى .

وترجمة ابن الجيان واسعة جداً ، وكلامه في التَّوَيَات نظماً ونثراً جليل ، رحمه الله تعالى ! .

وقال لسان الدين في « الإحاطة » بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ماصورته : ومحاسنه عديدة ، وآماله بعيدة ، ثم قال : إنه انتقل إلى بجاية فتوفى بها في عشر الخمسين وستائة ، انتهى .

وقال صاحب « عنوان الدراية » في حق ابن الجيان المذكور ما ملخصه :  
الرواية والدراية والحفظ والإتقان ، وجودة الخط وحسن الضبط ، وهو في الكتابة

ترجمة  
ابن الجيان  
عن «عنوان  
الدراية»

من نظراء الفاضل أبي المطرف بن عميرة الخزومي ، وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ، ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه كله حسن ، ونظمه غزير ، وأدبه كثير ، ومن ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها :

يا حاديّ الركب قف بالله يا حادي      وارحم صباية ذي نأى وإبعاد  
وله أيضا :

ترك الزهاة عندنا      أدى إلى وصف الزهاة  
ما ذاك إلا أنها      تدعو الوقور إلى الفكاهة  
وإذا أمرؤ نبسب الوقا      ر فقد تلبس بالسفاهة

ومن بديع نظم ابن الجيـان رحمه الله تعالى هذا التخميس في مدح سيد الوجود ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم :

الله زاد محمدا تكريما      وحباه فضلا من لدنه عظيما<sup>(١)</sup>  
واختصّه في المرسلين كريما      ذا رافة بالمؤمنين رحيا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

جلت معاني الهاشمي المرسل      وتجلت الأنوار منه لمحتلى  
وسما به قدر الفخار المعتلى      فاحتل في أفق السماء مقيا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاز الحمد والمادح أحمد      وزكت مناسبه وطاب المحتد<sup>(٢)</sup>  
وتأملت علياؤه والسودد      مجدا صميما حادثا وقديما

(١) حباه : منحه وأعطاه .

(٢) المناسب : أصوله من جهة أبيه وأمة ، وكأنه جمع نسب على غير لفظه كاللأمع

صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها لللتاح قطب الجلالة نورها الوضاح <sup>(١)</sup>

غيث السماحة للندى يرتاح يروى بكوثره الظاء الهيا <sup>(٢)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة خاتم الأنبياء صفو الصريح خلاصة العلياء

نجل الذبيح سلالة العلماء بشرى المسيح دعاء إبراهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر لآدم قد تقادم عصره من قبل أن يدري ويمجى ذكره

سر طواه الطين فهم نشره معنى السجود لآدم تفهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

الله فضل المصطفى المختار ما إن له في المكرمات مجارى

ولا مبار باختصاص البارى بالحق قدم مجده تقديم

صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبي الهادى ما نالها أحد من الأجداد

فالرسل فى هدى وفى إرشاد قد سلموا لنبييننا تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت منا وسناء وأفادت القمرين منه ضياء

وعلت بأعلام الظهور لواء فهدى به الله الصراط قويا

صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته ورأت حليلة آية لسيادته

(١) اللتاح : الظاهر البادى للعيان .

(٢) الظاء : العطاش وزنا ومعنى ، والهيم : جمع أهم ، وهو الشديد العطش .

وتحدثت سعد بذكر سعادته      ففتفاءلوا نعم اليقيم يقيم  
صلوا عليه وسلموا تسليما

لما ترعرع جاءه الملكان      بالطست فيها حكمة الرحمن  
فاستخرجا القلب العظيم الشان      منه وطهر ثم عاد سليما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

كرمت مناشي أحمد خير الوري      وجري له القلم العلي بما جرى  
ما كان ذلکم حديثا يفتری      لكنه الحق الجلي رسوما<sup>(١)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما زال برهان النبي يلوح      يغدو به الإعجاز ثم يروح  
حتى أتاه بعد ذاك الروح      يوحى له وحى الإله حكما<sup>(٢)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

شهدت له بمزية التفضيل      سور وآيات من التنزيل  
وصلاة خالقه أدل دليل      فافهمه واسمع قوله تعظيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

إن الرسول المعلى المقدار      لمؤيد من ربه القهار  
بالمعجزات جلت عى الأبصار      وشفقت من أدواء الضلال سقيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

كم شاهد لمحمد بنبوته      في أيد تأييد الإله وقوته  
فبذاك أعلى الله دعوة حجته      فضت حساما صارما وعزيم

(١) يفتری - بالبناء للمجهول - يخلق ، وفي الكتاب الكريم : ( ما كان حديثا

يفتری ، ولكن تصديق الذي بين يديه ) .

(٢) الروح : جبريل ملك الوحي

صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له ليظهر صدقه والشمس قد وقفت تعظم حقه  
والمزن أرسل إذ توسل ودقه فاخضر ما قد كان قبل هشيا<sup>(١)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

والماء بين بنانه قد سالا عذبا معينا سائفا سلسالا  
كفداه يمنح رفته من سالا وينيل راجيه النوال جسيا<sup>(٢)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

بركاته أربت على التعداد كم أطعمت من حاضرين وبادي<sup>(٣)</sup>  
من قصعة أو حثية من زاد رزقا كريما للجيش عميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

سجد البعير له سجود تذلل وشكا إليه بحرقه وتململ  
والشاة قال ذراعها : لا تأكل مني فأني قد ملئت سموما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والفصن جاء إليه يمشي مسرعا والصخر أفصح بالتحية مسما  
والظبية العجماء فيها شفعا والضب كلم أحدا تكليا

صلوا عليه وسلموا تسليما

والجذع حن له حنين الواله يمدى الذي يحقيه من بلباله<sup>(٤)</sup>  
أفلا يحن مقيم بجماله يشواق وجهه للنبي وسيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما بالنا نسلو وحب حبيننا يقضى بيت غرامنا ونحيينا

(١) المزن : السحاب ، والودق : المطر

(٢) الندى - بالفتح مقصورا - العطاء والجود

(٣) أربت : زادت (٤) الواله : العاشق

لو صبح في الإخلاص عقد قلوبنا لم نفس عهداً للرسول كريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

أين الدموع تُقَيِّضُهَا هَتَانَا أين الضلوع نفضها أشجانا

حتى نقيم على الأسى برهانا لمتعم إرشادنا تنمينا

صلوا عليه وسلموا تسليما

أو ليس هاديننا إلى سبل الهدى أو ليس منقذنا من أشراك الردى

أو ليس أكرم من تعمم وارتدى أو لم يكن أزكى البرية خي<sup>(١)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

ذاك الشفيع مقامه محمود ولواؤه بيد العلا معقود

فإذا توافقت للحساب وفود قالوا : تقدم بالأنام زعما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فيقوم بالباب العلى ويسجد ويقول : يا مولاي آن الموعد

فيجواب : قل يسمع إليك محمد وزريك من ناضرة ونعيا

صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم بعز محمد وبجابه أكرم به متوسلا للإله

شربت كرام الرسل فضل مياهه فعدت تعظم حقه تعظما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا سامعي أخباره ومفاخره ومطالعي آثاره ومآثره

ومؤملی وآفی الثواب ووافره إن شئتمو فوزاً بذاك عظما

صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) الخيم - بكسر الخاء - الطبيعة والسحبة

قلت : وكثيراً ما كنت أشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس ،  
وأضيف إليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الأمداح النبوية  
مَقِيل وتَعْرِيس ، وهي قصيدة ميلادية كأنما لم ينظمها مؤلفها إلا مقدّمة لهذه  
القصيدة الفريدة ، وهي :

قصيدة خمسة  
لبعض أهل  
المغرب

اسمع حديثاً قد تضمن شرحه      روضاً من الإيناس أينع دوحه (١)  
فيه الشفاء لمن تكاثر برّحه      وافى ربيع قد تعطر نفحه (٢)  
أذكرى من المسك الفتيق نسيما

شهر حوى بوجود أحمد أسعداً      بالمصطفى بين الشهور تفردا  
يا ما أجل سناءه وأجدا      لولادة المختار أحمد قد غدا  
يزهو به فخرأ تراه عظيما

يا من بأدمع مقلتيه يفتدي      كم ذا تنادى حسرة : من مُنْقِذِي  
وتقول للزفرات : هل من منفذ      بشرى بشهر فيه مولده الذى  
سر الزمان علوه تعظيما

يا ليلة رُفعت بأحمد حُجبها      لما دنا بعد التباعد قربها  
وتطلعت للسعد فينا شهبها      ضاءت لها شرق البلاد وغربها  
وتأنقت أرجاؤها تنعيما

أسدى إليك الدهر حسن صنيعه      وحبّاك من غض الجنى ببديعه  
وافى هلال محمد بريعه      فاعتز أمر الله عند طلوعه  
وغدا به دين الإله قويما

(١) الدوح : جمع دوحه ، بالفتح ، وهي الشجرة العظيمة

(٢) برح السقم : شدته ، والنفع : الريح

نظم الزمان بجيد عمرك دره فاشكر مآثره وواصل بره  
وافاك بالسر المصون فسره واعرف لهذا الشهر حقا قدره

فلقد غدا بين الشهور كريما

يا صاح جاءت بالأمانى أسعد وأطلّ بالبشرى الكريمة مولد  
هذا ربيع فيه أنجز موعد شهر كريم جاء فيه محمد

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم قلت أنا عند ختم درّس الشفا ، موطنًا لقصيدة ابن الجيان المذكور ولعذب  
براعتها مرتشفا ، ما نصه والأعمال بالنيات :

خمسة للمؤلف

انشقّ أزاهر عن فنون رياض للعلم واكرّع من عذاب حياض<sup>(١)</sup>  
واسق الرياض بذكره الفياض واحفظ كلاما للإمام عياض  
قد تمت أقسامه تقيما

لله روض منه أينع دوحه ينجى به منّ الكريم ومنّحه  
فهو الشفاء لمن تكاثر برّحه مسك الختام به تعطر نفحه  
فشذاه في الأرجاء صار شميا<sup>(٢)</sup>

فاضت علينا من هده عوارف زهر وأنوار وظلّ وارق  
ونمّارق مصفوفة ومطارف يا حسن ما أبداه فذعارف  
درا بأسلاك الحديث نظما

لم لا وبالملك الشفيع تشرفا خير البرية ركن أرباب الصفا  
من أسعد الراحي وقصدا أسعفا طه النبي الهاشمي المصطفى  
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) انشق : فعل أمر ، تقول : انشق الطيب - من باب علم - إذا شمه  
(٢) الشذى : الريح ، والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية ، والشميم : الشموم

قصيدة لابن الجيان  
وقد رأيت بعد وصولي إلى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة  
لابن الجيان المذكور في روى تلك القصيدة غير نخصة مستقلة بنفسها ، وهي قوله  
رحمه الله تعالى :

صلوا على أسنى البرية خيما	وأجل من حاز الفخار صميما
صلوا على من شُرِّفَتْ بوجوده	أرجاء مكة زمزما وحطيا
صلوا على أعلى قریش منزلا	بذراه خيمت العـلا تخيما
صلوا على نور تجلَّى صبحه	فجلا ظلما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرانا هديه	نهجا من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبي فإنه	من لم يزل بالمؤمنين رحما
صلوا على الزاكي الكريم محمد	ما مثله في المرسلين كريما
ذاك الذي حاز المكارم فاغتدت	قد نظمت في سلسكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة في الوغي	ولدى الندى يحكى الحيا تجسبا <sup>(١)</sup>
طَلَقُ الحَيَاءِ ذو حياء زانه	وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل كل حكيمة	في الوحي جاء بها الكتاب حكما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت	بدر الدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت	وجهها وسيما للنبي وسيما <sup>(٢)</sup>
كم آية نطقت تصدق أحدا	حتى الجواد أجابه تكليما
والجلدع حنّ حنين صب مغرم	أضحى للوعات الفراق غريما
جلت مناقب خاتم الرسل الذي	بالنور ختم والهدى تحتيما

(١) أسامة : السبع ، وهو علم جنس

(٢) وجه وسيم : من الوسامة ، وهي الجمال ، وقوله في القافية « وسيما » مؤلف

من واو العطف ، ومن « سيما » بمعنى العلامة

وسمى به فوق السماء مراتب  
فله لواء الحمد غير مدافع  
نرجوه في يوم الحساب ، وإنما  
ما إن لنا إلا وسيلة حبه  
ونخير ما أهدى امرؤ لنبيه  
يا أيها الراجون منه شفاعة  
بقام صدق عز فيه مقبلا  
وله الشفاعة إذ يكون كلبيا<sup>(١)</sup>  
نرجو لموقفه العظيم عظيما  
وتحية تذكو شذى وشميا  
أرج الصلاة مع السلام جسيما  
صلاوا عليه وسلموا تسليما

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الأستاذ أبي العلا إدريس بن موسى القرطبي في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان المذكور وقرظها بما سنذكره قريبا بعدها ، وهى :

أهلا بكم يا أهل هذا النادى  
أهدوا الصلاة إلى النبي الهادى  
يبنى نسيمًا مذكرًا تسنيمًا  
أهل اعتقاد الوعد والميعاد  
وصلوا السلام له مع الآباد

هو أول الشفعاء يوم الحشر  
بهت الحضور لهول ذاك الحضر  
قد هيئت ألبابهم تهيمًا  
وسواه بين تقدّم وتأخر<sup>(١)</sup>  
والكل فى الخطب العميم الأكبر

ذاك المقام الأشهر الحمود  
فيه الشفاعة ذخرها موجود  
فضل الكليم به وإبراهيمًا  
هو للنبي محمد موعود  
درك المراد وحوضه المورود

عيسى وموسى والخليل مروع  
فيقال أحمد قل فإنك تسمع  
من هول مطلع هنالك يفظع  
فيقوم يحمد ربه فيشفع

(١) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم - حين يرى ما عليه الناس يوم الحشر من الكرب - يتقدم إلى ربه فيسجد فلا يرفع رأسه حتى يكلمه ربه ويأذن له فيشفع فيشفعه الله تعالى

فضلاً من الرب العظيم عظيماً

يا أمة المختار أتم أمه والهول قد عم البسيطة يمه  
والأنبياء سواء كل همهم تخليص مهجته وليس يهمهم  
من كان في الدنيا عليه كريماً

صلى الإله على الذي صلى عليه عشراً واحدة يزكيا لديه  
وأراه في الدارين قوة ناظريه يا قاصدين إلى وصولكم إليه  
راجين من أرحم القبول نسياً

لولا وصية صاحب التنزيل أن لا يقال له غلو القيل<sup>(١)</sup>  
قول الغلاة لصاحب الإنجيل اغلوت في التعظيم والتبجيل  
عظم المكانة يوجب التعظيماً

طوبى لقلب قد تلالا إذ صفا بالسر منه قد تثبت إذ هفا<sup>(٢)</sup>  
خطت به آيات حب المصطفى ففدا لصاحبه بذلك مصحفاً  
يهدى إلى نهج النجاة قوياً

فاقت علاذ كراه إذ راقت خلاً ملأ النبوة أهم حين اعتلى  
في ليلة الإسراء أعلى معتلى كتب الإله له التقدم في العلا  
وعليهم التفويض والتسليماً

وكذاك يسلم في الشفاعة كلهم ومحلهم عند الإله محلهم  
ظل النبي محمد هو ظلهم يمشون تحت لوائه فيدلهم  
يندو عليهم بهجةً ونعياً

أوصافه من كل حسن أبهج العرف ينفع والسنا يتبلج<sup>(٣)</sup>

(١) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ،  
ولكن عبد الله ورسوله » (٢) تلالا : أسله تلالاً فهل همزتين  
(٣) العرف - بالفتح - الريح ، وينفع : يفوح ، والسنا : النور والضوء

فتأرج الأرجاء منه وتبهج      فاق الزواهر نورها يتوهج  
والزهر نفاح      النسيم وسيا  
طلق المحيا منهل للنائل      أنحي على الدنيا بزهد كامل  
هو ممثّل الدنيا بظل زائل      لم ترضه حال النعيم الخائل  
ما حاول الترفيه      والتنعيم  
ما ورث المختار مال مؤمل      إلا جواهر في الكتاب المنزل  
أشهى لقلب الناظر المتأمل      وأقر إعجابا لعين المجتلي  
من كل قيمة مقتض تقويما  
وقفت يا من لم يخالف نصه      حزت الكمال وليس تخشى نقصه  
نهج الهدى قول النبي اقتصه      بالوحي شرفه الإله وخصه  
شرفا على شرف السفاء صميما  
سبحان موح لا يحد له الكلام      من قال ذات كلام خلاق الأنام<sup>(١)</sup>  
خلق فذلك آثم كل الأنام      ذاك الذي في الدين ليس له ذمام  
إلا ذمام لا يزال ذميما  
خلّ الذي يبنى الهدى عما سواه      وهوى به في كل مهواة هواء  
من فارق الفاروق قد تبّت يده      حيران لم يهد السبيل إلى هداه  
لا يعرف التحليل والتحريما  
بالمدح مجد المصطفى يممته      من حلّى أوصاف له نظمته  
لم أبلغ المعشار إذ أحكمته      بعضاً نسيت وبعضه ألهمته  
قلده جيد الزمان نظيما

(١) يشير إلى مقالة المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن القرآن مخلوق ، وكان لهم خطب فادح في هذه المسألة ، وفيها أودى كثير من أئمة الهدى ، ومن أودى في هذا السبيل شيخ أهل الحديث أحمد بن حنبل

لوفزت بالإحسان من حسان      وسجبت أذيل على سحبان<sup>(١)</sup>  
أو أيدتني لسن كل زمان      من كل ذى زعم عظيم الشأن  
ما كنت بالمعشار منه زعيما

إدريس حفتك الحقوق خفوقا      هلا خفقت إلى الرسول خفوقا  
وقريت بالعزم المموم ضيوقا      وشدوت أن هال الزمان صروقا  
مهلا كفاك معلى التعليما

ثقة بفضل الواحد القهار      ملك الملوك مصرف الأعصار  
جعل النبي مكرم الآثار      وأمدّه بالنصر والأنصار  
وَأَتَمَّ نَعْمَتَهُ لَهُ تَعْمِيمًا

هل أجلون بصرى بكحل سناه      يأسعد من كحلت به عيناه  
ظفرت يده ، وساعدته مناه      لله ذاك الأفق ما أسفاه  
كرم الحل فيقتضى التكريما

ونصّ تقرّظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله :

ما زال كل حليف      لله أضحي وليا  
وللعالم خليلا      وعن سواها خليا  
يصوغ عقيان مدح      للهاشمي حليا  
ويوجب الحق فيه      إيجابه الأوليا  
ويقتنى في رضاه      نهجاً جليلا جليا  
والكل أخطاه حظ      فالقوز يلقي مليا  
لكن إدريس منهم      حاز المكان العليا

تقرّظ  
لابن الجيان  
على القصيدة  
السابقة

(١) حسان : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم المدعو له بالتأييد ، وسحبان : من خطباء العرب في الجاهلية وفصحائهم

ولا يخفك أنه التزم في هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء ، رحمه الله تعالى .

ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولا في البحر والروى والمنحى الذي لا يضل قاصده ، وكيف لا وهو مدح الجنب الرفيع العظيم النبوى .

فمن ذلك قول أبى إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي فإن بعضاً ذكر أنها من قوله لما أظهر الإسلام ، وهى لا تقتضى رفع الريبة فيه والالتهام :

قصيدة خمسة  
لابن سهل  
الإسرائيلي

جعل المهيمن حب أحمد شيمة وأتى به فى المرسلين كريمة  
فعدا هواه على القلوب تميمة وغدا هداه لهديمهم تميما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

أبدى جبين أبيه شاهد نوره سجدت به السكهان قبل ظهوره  
كالطير غرد معربا بصفيره عن وجه إصباح يطل نسима  
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنس الرسالة بعد شدة نفرة منجى البرية وهى فى يد غمرة<sup>(١)</sup>  
محى النبوة والهدى عن فترة فكأنما كفل الرشاد يتيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

الله أوضح فضله فتوضعا والله بين حبه فى (الضحى)<sup>(٢)</sup>  
والجدع حن هوئى له فترنحا والماء قاض بكفه تسنima  
صلوا عليه وسلموا تسليما

فربا الرواية عن رباه زكية نجواه ربانية ملكية

(١) الغمرة - بالفتح - الشدة

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الضحى : ( ولا آخرة خير لك من الأولى ،  
ولسوف يعطيك ربك فترضى )

أوصافه عـلوية فـلكية      فأخال شعري عندها تنجيا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

احتث في السبع الطباق بُراقه      والأرض واجمة تخاف فراقه<sup>(١)</sup>  
سبحان من أدنى سراه فساقه      شخصا على ملك الملوك كريم  
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاشتم ريحان القلوب الطيبا      ودنا فأسمع يا محمد مرحبا  
إني جعلتك جار عرشي الأقربا      إن كنت قبلك قد جعلت كليا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ليلة يجرى الزمان فتسبق      الحجب فيها والأرائج تفتق  
ما كان مسك الليل قبلك يعبق      بشري محمد استفاد نسيا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى إذا اقتعد البراق لينزلا      نادته أسرار السموات العلا  
يا راحلا ودعته لا عن قلى      ما كان عهدك بالغيوب ذميا<sup>(٢)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صعد النجود وسار في الأغوار      سمك السما طورا وبطن الفار  
متقسما في طاعة الجبار      ما أشرف المقسوم والتقسما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

الشافع المتوسل المتقبل      القانت المـدثر المزمـل  
وإني وظهـر الأرض داج محل      فجلى البهيم به وأروى الهيم<sup>(٣)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) احتثه : دفعه إلى الإسراع ، والبراق : الذي ركبهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج (٢) القلى - بكسر القاف مقصورا - البغض (٣) داج : مظلم ، ومحل : مقفر ، والهيم : جمع أهيم ، وهو الشديد العشى

دفعتم كرامته الزوج عن الحرم ودعاه جبريل المنزه في الحرم  
وعزت له آيات نون والقلم خلقا به شهد الإله عظيما<sup>(١)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاب و يفيض الزاد في أصحابه غيث ولكن كان يستصحب به  
طابت ضمائر قلبه وترابه منه بسر لم يكن مكتوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا شوق الحامى إلى ذاك الحمى فتى أقضيه غراما مغرما  
ومتى أعانقه صعيدا مكرما بضمير كل موحد ملثوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

قصيدة خمسة  
لبعض الوعاظ

ومن ذلك قول بعض الوعاظ ، وأظنه في أهل المشرق  
جل الذى بعث الرسول رحيمًا ليرد عَنَّا في المعاد جحيمًا  
وبه تُرَجَّى جنَّة ونعيمًا أضحي على البارئ الكريم كريمًا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما ضل عن وحى الإله وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى  
الصادق الثقة الأمين بما روى قد نال من رب السماء علوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

وإلى له الروح الأمين مبشرا نادى به يا خير من وطئ الترى  
أجيب المهيمن يا محمد كى ترى ملكا كريمًا فى السماء عظيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حين دعا به رب السموات العلاء لخطابه

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة ( ن ) فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم :

( وإنا لك لعلى خلق عظيم )

ركب البراق وقد أتى لجناحه أمسى له الروح الأمين نديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ففى أرى الحادى يبشر باللقا ويضمه بانُ الحَصْبِ والنَّقا

ورأى ضريح المصطفى قد أشرفا مولى حليما لن يزال رحيفا

صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار قد نلتُ المنى يهنئكم طيب المسرة والهنا

فاستبشروا من بعد فقر بالغنى فالله زادكم به تكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضا عن آله الكرماء وكذلك عن أصحابه الخلفاء

فهوهم دينى وعقد ولائى قوما تراهم فى المعاد نجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

قصيدة مخمسة ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمة الله تعالى :

يا أمة الهادى المبارك أحمد يهنئكم نيل الأمانى فى غد

بمحمد فزتم ومن كحمد إن شئتم أن تدركوا التميميا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير الزاهر صلوا على المسك الفتيق العاطر<sup>(١)</sup>

صلوا على الفصن البهى الناضر وتنعموا بصلاتكم تنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالنبوة زينا صلوا على من بالكمال تمكنا

بمحمد فزنا بإدراك المنى فضلا منحنا حادثا وقديما

(١) مسك فتيق : هو الذى استخرجت رائحته بشيء يدخل عليه

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير اللامع صلوا على الهادي الحبيب الناصح

صلوا على المسك الفتيق الفامح للرشد فهم والهدى تفهيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ مجده قد أسسا والماء بين بنانه قد يجسا (٢)

وأنت إليه سرحة حتى اكتسى بفروعها إذ خيمت تخيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر من قفا وعليه سلمت الجنادل والصفّا

والذئب قال صدقت أنت المصطفى وشكا إليه بازل قد ضيما (٣)

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق عين الضرير ولدغة الصديق

وأعاد طعم الماء مثل رحيق إذ مَج فيه العنبر المحتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا وغدت تظله الغمام إذا مشى

حُرست سماء الله لما أن نشا ليكون سر حبيبه مكتوما (٤)

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كل حين تريحوا وبهديه مهما اهتديتم تفلحوا

والأجر يشملكم فجدوا تنجحوا وإذا أردتم أن يكون عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بجمعكم على شمس الهدى صلوا على بدر يزين المشهدا

(١) بحس الماء — بتشديد الجيم هنا ، ويأثنى تخفف الجيم من بابي ضرب

ونصر — أي جُزء (٢) ضامه يضيئه : أنزل به الضيم

(٣) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن الجن : (وأنا لمننا السماء فوجدناها ملئت

حرسا شديدا وشمها)

صلوا عليه به الرشاد تمهداً والذكر بين فضله تفخيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا بإخلاص على خير البشر صلوا على من فاق حسناً واشتهر

ونمت فضائله وشق له القمر ولكم دليل في علاه أقيماً<sup>(١)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا على من قد رأى الرحمان بالقلب أو بالعين منه عياناً

من قاب أو أدنى مقام كانا فخذ الفوائد كي تفاد علوماً<sup>(٢)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلوا عليه كلم لا تسأموا وتبركوا بصلاته وتنعموا

فعليه صلى الأنبياء وسلموا شرفاً لهم إذ أهم تقديماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

يا حاضرين بلفتم كل المنى عن جمعكم من فضله ذهب العنا

وإليكم والله قد وجب الهنا بمحمد كرمتم تكريمنا

صلوا عليه وسلموا تسليماً

قولوا برغم معاندين وحسد كي ترغبوا أنفا لكل مفند

صلى الإله على النبي محمد أبدا وزاد لقدره تعظيماً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

يا رب يا ذا المن والإحسان جُدد بالرضا والعتو والغفران

لوالدين ومنشد الأوزان والسامعين أنلهم تنعيماناً

صلوا عليه وسلموا تسليماً

(١) نمت : زادت

(٢) يشير إلى قوله تعالى في شأن معراج النبي صلى الله عليه وسلم : ( ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى )

صلى عليه الله ما اجتمع الملا صلى عليه الله ما قطع القلا  
صلى عليه الله ما انتجع الكلا أبدا وما رعت السوام هشيما<sup>(١)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول الإمام العالم الشهير الأديب مالك ابن المرحل المالقي ثم السبتي ،

وهي من غرر القصائد ، وفيها لزوم مالا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم يجعلها قصيدة خمسة  
بدأ ورويا على اصطلاح المغرب :

في مدح النبي  
لمالك بن المرحل  
المالقي ، السبتي

ألف ، أجل الأنبياء نبيء بضياؤه شمس النهار تضيء  
وبه يؤمل محسن ومسيء فضلا من الله العظيم عظيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء ، بدا في أفق مكة كوكبا ثم اعتلى فجلا سناه الغيها  
حتى أنار الدهر منه وأخصبا إذ كان فيض الخير منه عميما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء ، تبينت الهدى لما أتى فنفى الشريك عن القديم وأثبتا  
أحدية من حاد عنها قد عتا وتلا كلاما للكريم كريما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء ، ثوى في الأرض منه حديث في كل أفق طيبه مبعوث<sup>(٢)</sup>  
داع بأنواع الهدى مبعوث يتلو نجوما أو يهز نجوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم ، جلا بسراجة الوهاج ما جن من ليل الظلام الداجي  
وصقى القلوب بمائه الشجاج فأصارها بعد الغوم غميما

(١) الكلا : العشب ، أو ما ليس له ساق منه ، وانتجعه : طلبه ، والسوام :  
السائمة التي ترعى ما تشاء (٢) ثوى : أقام ، ومبعوث : ذائع منتشر

صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء ، حمى دين الهدى بصفايح وسما بِشْم كالجبال أراجيح<sup>(١)</sup>  
من كل أزهر هاشمي واضح لولا نداه غدا النبات هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

خاء ، خبت نيران جهل شامخ آيات علم للرسالة راسخ<sup>(٢)</sup>  
من مثبت ماح ومنس ناسخ قد خص بالذكرك الحكيم حكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

دال ، دعا فأجاب كل سعيد وأتى بوعده صادق ووعيد  
حتى أقر الناس بالتوحيد وتجنبوا الإشراك والتجسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال ، ذباب حسامه مشحوذ للناكثين ، وعهدهم منبوذ  
أما السعيد فبالنبي يلوذ فيدال من ذل الشقاء نعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

راء ، رويتنا عن ذوى الأخبار أن الندى والبأس مع إثار  
بعض صفات المصطفى المختار كم قد تقدم بالأنام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

زاي ، زعيم بالنزال عزيز وبلغ معنى في المقال وجيز  
فلقوله من فعله تعزيز ولربما عاد الكلام كُلوما<sup>(٣)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

سين ، سلام كالنفيس تنفسا وقد اجتنى وردا وصافح نرجسا

(١) الصفايح : السيوف ، واحدها ضفيحة ، والشم : جمع أشم ، وهو وصف من الشمم ، وهو ارتفاع في قصبة الأنف ، وهو من علام الغزة عند العرب  
(٢) خبت : سكنت ، والراسخ : الثابت (٣) الكلوام : الجروح

أهـدى إليه في الصباح وفي المساء بقصائد كادت تكون نسيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

شين ، شمائله الكريمة تعطش من كان من سكر المحبة يرعش  
لكن أضع العمر فيما يوحش فعدت ندامته عليه ندما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صاد ، صَفِيٌّ لِلَّهِ ومخلص ومقرب ومفضل ومخصص  
ذهب سبيك وزنه لا ينقص قد طاب خيماً في الوري وأروما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ضاد ، ضمين نصحه محوض ضافي القراءة بالعلوم يفيض  
إن غاض ماء البحر ليس يفيض لما استمر زلاله تسليماً<sup>(١)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء ، طويل السيف متسع الخطأ رحب الذراع ومن يد لم سَطَا  
يردى العدا وإذا ارتدى متخمطا يبرى عذابا إذ الـام أليما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ظاء ، ظهور للعباد حفيظ حظ له أدب العباد حفيظ  
حق له التأبين والتقريظ ميتا وحيا ظاعنا ومقيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

عين ، عزيز ذكره مرفوع في الأنبياء وقوله مـموع  
مشروح صدر ، حبه مشروع من لا يدين بذاك كان ذميما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) غاض : غار في الأرض ، والزلال - بالضم - الماء العذب السائغ ،  
والتسليم : من مياه الجنة

غين ، غزا من زاع عنه ومن طغى      وغدا يشب لمن طغى نار الوغى  
حتى أقامت من عصى بعد الصغا      وتَقَوَّمُ النارُ العَصَا تقويمًا (١)  
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاء ، فواتح سورة الأعراف      وبراءة والرعد والأحقاف  
أَحْظَتُهُ بالأقسام والأوصاف      فتى توفى حقه منظوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

قاف ، قوافى النظم عنه تضيق      أيطبقه الإنسان ليس يطيق  
فالخلق فى التقصير عنه خليق      ولَوَأَنَّهُمْ ملؤا القضاء رقوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

كاف ، كريم العنصرين مبارك      متفرد بالجاه ليس يشارك  
فهو الذى بمقامه يتدارك      والهول يغدو مُقْعِدًا ومقيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام ، له عقد اللواء الأحفل      وله الشفاعة فى غد إذ تسأل  
وإذا دعا فداؤه متقبل      حق الرحيم بأن يرى مرحوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ميم ، ملائكة الإله تسلم      فَوَجًّا عليه إذ بدا وتعظم  
ويمر جبريل بها يتقدم      فيضاعف التعظيم والتكرima  
صلوا عليه وسلموا تسليما

نون ، نبى جاءنا ببيان      وبمعجزات أبرزت لعيان  
وبحسبه أن جاء بالقرآن      يشفى قلوبا تشكى وجسوما

(١) الصغا - بالفتح مقصورا - الميل والاعوجاج ، ومتى أردت تثقيف رمح أو  
أو تعديل عصا عرضتها على النار لتلين

صلوا عليه وسلموا تسليما

هاء ، هو الهادى الذى اقتدح النهى فتفكرت فى ملك من رفع الشها<sup>(١)</sup>

وقضى بحمد للأمور ومنتهى فأفادها النظر السديد عموما

صلوا عليه وسلموا تسليما

واو ، وهى ركن التجلد ، بل هوى لما توى فى القراب من بعد التوى<sup>(٢)</sup>

فحوى الضريح الحرب نجما مغوى أجرى من الدمع السجوم سجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لام ، لأجلك فاض دمعى جدولا فأخضر آس أساك إذ ييس الكلا

يا خير من كلاً المكارم والعلا وحى الحى ورمى فأعمى الروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ياء ، يحميه ويسقيه الحيا رب العباد مجازيا وموفيا

ومشرفا ومسلما ومصليا يا مسلمين ورثتمو التسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قولُ الفقيه الكاتب أبى العباس أحمد بن محمد بن عباس المغربى قصيدة مخمسة  
حسبنا نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب « منتهى السؤل » فى مدح  
الرسول « للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربى الأنصارى  
رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا بقصده ! وهى أيضا مرتبة على حروف المعجم  
ما عدا الابتداء وبيوت الانتهاء ، غير أن ترتيب حروف المعجم فى آخر الأقطار  
ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل ، رحمه الله تعالى :  
الله زاد المصطفى تعظيا وقضى له التفضيل والتقديم

(١) التوى : العقول ، واحدها نهية - بالضم - والسها : نجم بعيد خفى

(٢) وهى : ضعف ، والتوى - بالتاء المثناة - الموت

وأنا له شرفا لديه جسيما فهو المتمم فخره تكميلا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خُصَّ بالأنباء وأبوه ما بين الثرى والماء

ثم استمر النور في الآباء فتوارثوه كريمة وكراما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر بدا من يثرب فأضاء بالأنوار أقصى المغرب

وجلا عن الدنيا دياجي الغيب فبدا لنا نهج الرشاد قويا<sup>(١)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أنى وأباد أخزاب الطغاة وشتتتا

وأبان أسباب النجاة ووقتتا للأمة التحليل والتحريرا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالغيوب يحدث وبروعه الروح المقدس ينفت

محبوبنا وشفيعنا إذ نبعث في يوم لا يدرى الحميم حميا<sup>(٢)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على صبح الهدى المتبلج صلوا على بحر الندى المتوج

صلوا على روض الجلال المبهج كيما تفالوا الفوز والتنعيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على غيث الأنام السافح صلوا على المسك الذكي النافح

أزرت روائحه بكل روائح فالأرض طبقها شذاه نسيم

صلوا عليه وسلموا تسليما

---

(١) الدياجي: الظلم، كأن واحدها دياجة ، والغيب : بزنة جعفر - السواد الشديد ،  
والظلمة (٢) الحميم: الصديق ، وفي القرآن الكريم في صفة هول القيامة : (ولا يسأل  
حميم حميما )

صلوا على مَنْ عهدته لا يفسخ      صلوا على من شرعه لا ينسخ  
صلوا على من حِزْبُه لا يمسخ      نبأ يفهم فضله تفهيم  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من فخره لا ينقد      صلوا على من فضله لا يجحد<sup>(١)</sup>  
أنّى وكتب الرسل طُرّاً تشهد      تنبى اليهود بفضلته والروما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ قد حَمَى عنا الأذى      ومن الغواية والضلالة أنقذا  
صلوا على من ذكره نعم الغذاء      وبمدحه زوى القلوب الهيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بإخلاص على خير البشر      من قبل نشأته المباركة اشتهر  
كم كاهن عنه أبان وكم خبر      ولكم دليل فى علاه أقيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من جل مولده وعز      ضاءت قصور الشام لما أن برز  
وتدانت الشهب الثواقب كأنحرز      أو كاللآلى نظمت تنظيمها  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا      والماء بين بنائه قد بجسا<sup>(٢)</sup>  
وأنت إليه سرحة حتى اكتسى      بفروعها إذ خيمت تحيما<sup>(٣)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ بالملائك جيشا      وغدت تظله الغمام إذا مشى  
حرس سماء الله لما أن نشأ      ليكون سر حبيبه مكتوما

(١) نقد الشيء ينقد - من باب علم - أى ذهب وانقضى

(٢) بجس : تفجر

(٣) السرحة - بالفتح - الشجرة العظيمة

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ بالتَّحِيَّةِ خَصَصَا      والقلب منه حين شق تخلصا<sup>(١)</sup>

من حظ إبليس اللعين ومحصا      وأعيد ما إن يشتكي تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من يوم مولده سطا      بجميع آلهة الضلالة والخطا

وهوى له عرش اللعين وأسقطا      والفرس هدم صرحهم تهديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من ليس فظا غالظا      لأخيه في الإرضاع كان محافظا

فأعجب لذلك كيف كان ملاحظا      للعدل فينا مرضعا وفطيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على مَنْ كَتَمَتْهُ ذراع      وبفضله كَفَتِ المِثْنِ الصاعُ

والجذع حنَّ له وما الأجزاء      بأرقَّ منّا أنفسا وفُهوَمَا

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغ      ماذا عسى مدّاحه أن يبلغوا

فإلهنا يثني عليه ويبلغ      فأقرأ تجده محكما تحكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا من كان يبصر بالحقا      وعليه سلمت الجنادل والصفّا

والذئب قال صدقت أنت المصطفى      وشكا إليه بازل قد ضيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق      عين الضرير ولدغة الصديق

(١) يشير إلى حادث شق صدره صلى الله عليه وسلم وإخراج علقه سوداء منه وهي حظ الشيطان من ابن آدم ، وقد رواه أهل الحديث والسير وقد سقطت من جميع الأصول أبيات حرف الضاد المعجمة

وأعاد طعم الماء مثل رحيق إذمَج فيه العنبر المختوما  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا على مَنْ شأوه لا يدرك صلوا على مَنْ شأوه لا يشرك<sup>(١)</sup>  
 موسى وعيسى والخليل تبركوا ببقائه وعَنَوْا له تسليما  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا على مَنْ خَلَقَه صلى الرسل شرف على تمكين عزته يدل  
 فإذا قتل هو سيد لهم ودل لا تخش توبيخنا ولا تحشينا  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا على مَنْ قد سَرَى نحو السما ليلا وعاد وما برحنا نوما  
 بالروح والجسم المطهر قد سما قُلُهُ وَرَاغِمٌ مِنْ أَبِي ترغيا  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا عل مَنْ قد رأى الرحمان بالقلب أو بالعين منه عيانا  
 مَنْ قاب أو أدنى مكان كانا فخذ الفوائد واحذر التجسيميا  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا على مَنْ قد حَبَّاه إِلَهُهُ بالكوثر المروى لنا أمواهه  
 في يوم حشر الخلق يظهر جاهه إذ يقدم الرسل الكرام زعيما  
 صلوا عليه وسلموا تسليما  
 صلوا على مَنْ خص بالحوض الرّوى وكذلك خصص بالمقام وباللوا  
 نوحا وآدم والكلبيم قد احتوى وابن البتول حوى وإبراهيم  
 صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) الشأو - بفتح الشين وسكون الهمزة - الغاية والآمد ، ويقال « فلان لا يدرك شأوه » أي لا يبلغ مداه أحد

صلى عليه الله ما قُطِعَ الفلا      صلى عليه الله ما اجتمع المَلَأَ  
صلى عليه الله ما انتجع الكَلَا      أبداً ، وما رعت السوام هشيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما هطل الحيا      صلى عليه الله ما التمع الضيا  
فلقد شفى الدنيا من الذاء العيا      ولقد حَمَى عفا لظى جحима  
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله سيدنا النبي الأكل      لله برق جبينه المتهلل  
لله جود يمينه المتهلل      أحيا وأغنى بالنوال عديما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه ذاته وحقيقته      لله منه خلقه وخَلِيقَتُهُ  
لله منه شرعه وطريقته      فلقد جلت بشموها البغيما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أمة الهادي النبي المصطفى      بالله لو كنا نعامل بالوفا  
متنا عليه حسرة وتلفا      حتى نؤدى حقه المحتوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما كان أولانا بطول نحينا      ما كان أوجبنا بفرط وجينا<sup>(١)</sup>  
أفستطيع الصبر عن محبوبنا      ما الصبر عن لقياء إلا لوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

لم لا نَقِضْ على الدوام دموعنا      لم لا نقض من الغرام ضلوعنا<sup>(٢)</sup>

(١) النحيب : البكاء ، والوجيب : خفقان القلب واضطرابه

(٢) أقض مضجع قلان : حرفيته أن مكان نومه امتلاً بالخصى فلم يستطع الهجوع

لم لانحــــلى أهلنا وربوعنا      حتى نعاين من ذراه رسوما<sup>(١)</sup>  
صلوا عليه وسلموا تسليما

أولم يكن يخفو علينا مشفقا      أولم يكن متعظا مترفقا  
أولم يعالجنا بأنواع الرقي      حتى اغتدى منا العليل سليما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثله ما إن يضر وينفع      من مثله يدرا العذاب ويدفع<sup>(٢)</sup>  
من مثله لذوى الكبائر يشفع      من مثله بالمؤمنين رحيم  
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ويح نفسي كم أرى ذا صبوة      ومسامعي عن واعظي في نبوة  
فصلى الرسول يُقيلني من كبوة      فلکم رجاء عاثر فأقيموا  
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا رب بالهادي الرفيع المحتد      اغفر لعبدك أحمد بن محمد  
فلقد توسل إذ رجاك بسيد      ما ردَّ معتلق به محروما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

ناشدتكم يا سامعي هذا التنا      قولوا متى أسمعتموه تدبنا  
اغفر لقائله المقصر ما جنى      بمدح خير الوري المعصوما  
صلوا عليه وسلموا تسليما

قلت : وإني لأسأل الله تعالى بلسان لم أعص به وهو لسان هذا المادح ، إذ قال  
« يا رب بالهادي » فإني أحمد بن محمد بَلَّغَهُ اللهُ أمله من غفرانه بمحه وكرمه ! آمين .  
رجع - ومن ذلك قولُ الفقيه الكاتب الأديب أبي العباس أحمد بن القاسم

(١) ذراه - بفتح الذال مقصورا - موضعه العالي

(٢) يدرا : أصله يدرا - بالهمز - ومعناه يدفع ، وفي القرآن الكريم : (ويدرا

عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله )

الإشيلي الشهير بابن القصير ، وطريقه هذه مخالفة للطريق المتقدم من بعض الوجوه ، رحم الله تعالى الجميع :

قصيدة مخمسة  
في مدح النبي  
لابن القصير

الله أكرم أحدا تكريما فعدا رسولا للعباد كريما

فاشكر غفورا للذنوب رحيمًا أرضى النبي بقوله تعليمًا

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه هدى نبي مرتضى بالبعث منه لنا قضي لطف القضا

ملأت فضائله المهارق والفضا ودجا الوجود فعند مبعثه أضأ<sup>(١)</sup>

صلوا عليه وسلموا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما أن كان بالإسراء ليلا قد سما

ورق البراق به وجبريل لما قد سره سرا وجهرا سلما

صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم به من مرسل قد بشرنا بوجوده عيسى المسيح وقد سرى

ليسر فهو أجل مبعوث يرى بهداه أمته زهت بين الوري

صلوا عليه وسلموا تسليما

من جاء بالقرآن معجزة له أعي الوري من بعده أو قبله

الله كرمه وفضل فضله وأجل منه فرعه وأصله

صلوا عليه وسلموا تسليما

من سبحت ضم الحصى في كفه والبدر شقق نصفه عن نصفه

ليرى به إعجاز من لم يصفه حزنا بمفخر ذكره أو وصفه

صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) المهارق : جمع مهرق ؛ وهى الورقة التى يكتب فيها ، ودجا : أظلم ، وأضأ :

أصله أضاء ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا ثم حذفها

يكفيه أن يتلى اسمه ويكرّر مع اسم خالقه إذا ما يذكر  
هذا الذي بمقاله لا يفجر أبدا ولا خللافه يتصور

صلوا عليه وسلموا تسليما

العبد أسرف يا نبي الله في الذنب ساء عن ثقاه لآهي  
فاشفع له من مذنّب أوّاه يرجو كريما منك جمّ الجاه

صلوا عليه وسلموا تسليما

أنأى الزمان وصوله أو سـوله فاستصحب الأبيات منه رسوله  
فأنزل بفضلك للمراد حصوله حسبي ثمنا وازنت منه فصوله

صلوا عليه وسلموا تسليما

ابن القصير أطال فيك نظامه ليرى بذاك مسلما إسلامه  
وترى مطاوع أمره وكلامه لا زال يقريك الإله سلامه

صلوا عليه وسلموا تسليما

وما أحسن قولَ جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى :

فَضَلَ النبيُّ مُحَمَّدٌ شرفا يزيد ، وزادهم تعظيما

در يتيم في الفخار ، وإنما خير اللآلى ما يكون يتيما<sup>(١)</sup>

ساد النبيين الكرام وكلهم صلوا عليه وسلموا تسليما

والله قد صلى عليه كرامة صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك هذا التسديس البديع الذي هو من نظم الإمام العارف بالله تعالى  
علاء الدين محمد بن العفيف الأبحي الحسني الصفوي الزيني - رحمه الله تعالى ! -

تسديس في  
مدح الرسول  
لمحمد بن  
العفيف الحسني  
الصفوي

مما رتبته على حروف المعجم والتزم الحرف أول الأشتار الأربعة وآخرها :  
 الله أحمد أحدا إذ يبرأ أَوْصَى وَضِيءُ نوره يَتَأَلَّأُ  
 أنواره كل العوالم تَمَلَّأُ أكوانه لولاه لم تك تنشأ  
 إن كنتم أُنقذتم له تسليما صالوا عليه وسلموا تسليما  
 بدر بدا من نوره يتطلب بحر بحورُ الجود منه تركب  
 بروبرهان جلا يتطلب بالمصطفى ممن صفا أتقرب  
 بادوا بما يجدى لكم تنعيما صلوا عليه وسلموا تسليما  
 تالله مثل محمد لا يثبت تم الكلام بيعته ونبوة  
 تاج العلا بالمصطفى يثبت تاهت عقول للذي هو ينعت  
 تحف الصلاة به عليه أديما صلوا عليه وسلموا تسليما  
 ثق بالذي يوما يقوم ويبعث ثمة البرية بالنبي تغوث<sup>(١)</sup>  
 ثبت الشفاعة للورى يتحدث ثرة الطوائف للذي يتشبت  
 ثبت لزام الباب فيه مقيما صلوا عليه وسلموا تسليما  
 جاء النبي عوالما يتباج جاء له من جاءه يتبهج  
 جاء يُنجي من لظى تنهيج جاءت له الأشجار أرضا تفرج  
 جاور نبي الله نلت نعيما صلوا عليه وسلموا تسليما  
 حقا هو الحق المبين الأوضح حب حياء حبه يترشح  
 حسناته حَسَنَاتُهُ تُسْتَرْجَحُ حتى القلوب بحبه تترجح  
 حوت العلوم لذاته تكريما صلوا عليه وسلموا تسليما  
 خير البرايا دينه هو ناسخ خير له خير الخيور رواسخ

(١) الثبة — بضم الثاء وفتح الباء مخففة — الجماعة ، وتغوث — بالبناء

للمجهول — تغاث

خرالذی عن دینه هو بازخ      خال خلی عن تقائص باذخ<sup>(١)</sup>  
 خذ باتباع فعاله ترسیما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 دل الأنام علی الإله محمد      دامت سعادة من بأحمد یسعد  
 دار له مأوی الحامد محمد      دان الوجود به ومن هو أحمد  
 داوم علی باب له تخیما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 ذکر الحبيب أحق ما یأخذ      ذخرا لیوم بالنواصي یؤخذ  
 ذاك الشفیع لمن به یعوّد      ذاك الذی یجنا به یستنقذ  
 ذلوا له ولبابه تغیما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 رب النبی محمد هو یذكر      رتب الحبيب کتابه متذكر  
 رائی محیا أحمد هو ینظر      روح القلوب ولاؤه هو ینصر  
 روح بذکراه المریح ندیما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 زین البرایا بالوجود معزز      زان العوالم حسنه ینفوز  
 زن فضله عن کلهم یمیز      زد ذکره عن زلة یتحرز<sup>(٢)</sup>  
 زلفی أنه بالمنی تغمیما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 سبق الأنام بفضله هو أنفس      ساد الجميع بسوّد یتأفس  
 سبجان من أسرى به یتأنس      سر الحبيب بسرہ یتقدس  
 سمع الکلام من الإله کلیمما      صلوا علیه وسلموا تسلیما  
 شمس الهدی بدر الدجی یقبش      شرف الحبيب من الوجوه یقبش  
 شکراً لمولانا علیه وأبهش      شوقی إلیه وافر أتعطش  
 شغل للبک بالحبيب أديما      صلوا علیه وسلموا تسلیما

(١) خر : سقط ، والبازخ : المتقاعد المتعاس ، والبازخ : الطویل

(٢) تحرز عن الشيء : تمنع منه وجعل لنفسه حرزا دونه

صفة الكلام لذاته هو أخلص	صفة الكتاب كماله يتلخص
صفة القلوب بحبه تتخلص	صفه صفاصب وأنى يخلص
صل بالصلاة جنابه تكليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
ضَفَّتِ القيوض من الحبيب تفيض	ضعفى إليه آملا يتعوّض
ضرى وضيرى كله يتقوّض	ضل الذى فى بابه لا ينهض
ضمن الحبيب لذا كرىه زعيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
طوبى لمن بحبيبه يتنشط	طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقى طيبة أتبسط	طال الإله على طولاً يبسط
طوبى بمدحه يطيب نسима	صلوا عليه وسلموا تسليما
ظل الهدى بهُدَاه قد يتحفظ	ظلمات شرك قد جلت تبدلظ <sup>(١)</sup>
ظلى لظل وداده يتحفظ	ظهرى ظهرى حبه أتحفظ
ظنى به يغدو العقاب عديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
علت المعالى بالنبي وترفع	عز علاه للذى هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع	عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عَرَجَ الإلهُ به إليه عليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
غوث الورى ذالمصطفى هو سابغ	غيث الندى هو فى البرايا سائغ
غمر الندى أقصى النهاية بالغ	غزر الحيا شمس وبدر بازغ
غنما نما بالمؤمنين رحима	صلوا عليه وسلموا تسليما
فخر وذخر بالمفاخر يشرف	فرد وحيد فى العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف	فاز الفقير بلطفه يلطف

(١) يقال « دلظه دلظا » من باب ضرب - إذا دفعه فى صدره ، ويقال « دلظ فلان فى سيره » إذا مر سريعا ، والدلظى - بفتحات - من تحيد عنه ولا تقف له فى الحرب

فاح النسيم من الحبيب جسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
قسم الإله بعمره فيفوق	قسمت وجوه الحسن منه فيسبق <sup>(١)</sup>
قمر وشمس نوره متألق	قَيْنُ بذكراه الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
كتب الإله ثناءه ما يدرك	كتب اسمه قرب اسمه يقربك
كل الكمال له به يستدرك	كُنْهُ الكَمالات التي لا تدرِك <sup>(٢)</sup>
كيف كفى در الثناء يتيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
لمعات نور محمد هي تخبجل	للشمس والبدر المنير فتخبجل
لذات ذكر محمد هي أكمل	لدوى الحوائج لا تُذ متكفل
لخذ يجد منك تُلَف حكيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثله في العالمين معظم	من مثله في العالمين مكرم
مَنْ للإله لَدَى اللقاء يكلم	مَنْحًا حياه منه قد يتعلم
مَنْ الإله لديه صار عحيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
نور له في آدم يتبين	نقلا إلى آياته يتعين
نأى العوالم إذ أتى متعين	نار الجوس تخمدت تهوّن
نعماء جمت إذ تعم كريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
وجه به كل الوجوه إليه هو	وجه الوجاه ب كله يتوجهوا
ووجاهه وجه المرام فوجهوا	وجه إليك نبينا فتوجهوا
وَجْهٌ إلينا نظرة تَكريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
هو مصطفى عند الإله الأوجه	هَادٍ لنا وبوجهه من أوجه

(١) أقسم الله تعالى بعمره في قوله سبحانه : ( لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون )

(٢) كنه الشيء : حقيقته

ها إنه وجهي لهذا أوجه هيه هنيئا وجهه بالأوجه  
 هام الفؤاد بحبه تيميا صلو عليه وسلموا تسليما<sup>(١)</sup>  
 لا مثل للمختار أعلى من علا لاجيه ناج قد نجا كل البلى  
 لاذ الصفي به يتوب فأقبلا لاقى النبي محمد أن يقبلا  
 لازم محبا للحبيب ندما صلو عليه وسلموا تسليما  
 يا أكرم الخلق الذي هو ملجئ يأتى محمد العفيفي الذي  
 يده يمد إليك مرجحيا وفي يقن بصفوته الصفي ويكتفي  
 ينال ذلك كركبتي يدي تحتيا صلو عليه وسلموا تسليما

وله أيضا رضى الله تعالى عنه قصيدة أخرى على طريقة هذه ، وقد نظمها  
 بعدها نفع الله تعالى بديته ، وبلغه غاية قصده وأمنيته ، وهى هذه :

أحسن بطلعة أحدهى أضوا أعلن بلمعته العوالم تملأ  
 أزين به لما أتى يتلأأ أبين بآيات له فتنبأ  
 الله قدمه بها تقديما صلو عليه وسلموا تسليما  
 بدأ الإله بنوره فيعقب بدء الذى بالمصطفى يتقلب  
 فيه لذى الحاجات إذ يتطلب بدء بذكره به يستوهب  
 بل هو إلى الأرب انتفع تعميما صلو عليه وسلموا تسليما  
 تلت العلامات التى هى تثبت تبّ العدائتبا وعنه تثبت  
 تمت له الآيات فيك تبكت تورا موسى ناطقا هى تنعت  
 توقيع حاجات صفوا تسليما صلو عليه وسلموا تسليما  
 ثبت الكمال له ومنه يورث ثبت الورى لولم تكن لاتحدث

تسديس آخر  
 لابن العفيف  
 الحسنى  
 الصفوى

ثبت بذكري المصطفى يتحنث	ثبت الذي بجانبه يتشبث <sup>(١)</sup>
ثبت بذكر قد راه قديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
جاء العوالم نوره يقبلج	جاد العوالم بحره يتموج
جاز السموات العلا يتعرج	جاب الجميع بسامه يتفرج
جار له جاري له تنعيم	صلوا عليه وسلموا تسليما
حاز العقول لمده إذ يمدح	حيا الحياء بريه يستروح
حي له فضل به يسترجح	حي له حامى حى فتروح
حي الحى الحامى تصير سليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
خلق له كل به يتشمخ	خلق له بالنقص لا يتلطنخ <sup>(٢)</sup>
خلق به أحسن به هو أبذخ	خلق يحق له الثناء الأرسخ
خلق إلهى بذاك تمسما	صلوا عليه وسلموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يعتمد	دارت بها كل السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد	دار بحسن طيبة لا تبعد
دارك سكونا بالسكون مقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينقذ	ذكر لما ينسى رسولا ينفذ
ذكر الإله ثناءؤه ويلذذ	ذكره تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبي خذ اعظم تعظيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
رب الورى سبحانه هو أكبر	رب النبي محمد فيكبر
رب الرؤف حبيب به فيدبر	ربى اضطفاه من الورى فأكبر
رب ارتجاء لى تدويما	صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) يتشبث : يتمسك ويتعلق

(٢) يتشمخ : يتعظم ويتعالى

زاد الإله عروجه فيبرز	زان العوالم إذ أتاها يبرز
زاد لأخرى حبه يتحرز	زادت معاليه عروجا ينشز
صلوا عليه وسلموا تسليما	زعم الشفاعة ذا كبريه زعيما
سار السموات العلا يستأنس	ساد الجميع إذا أتى هو أنفس
سامى ذراه للمحب تؤنس	سأل الإله وزاد ما يتنافس
صلوا عليه وسلموا تسليما	سارع إلى ذاك الذرا تخيما
شرق لأشرق شرقه يتفرش	شرف لأمته به يتغابش
شوقا إليه قد إليه أجهش	شرقا وغربا فيه عقل يدهش
صلوا عليه وسلموا تسليما	شكرا على النعمى تزيد نعيما
صفقا عن الشيء الذى يتنقص	صفة له ذات له هو أخلص
صفة شريعته النقائص تخلص (١)	صفة له حارت عقول تفحص
صلوا عليه وسلموا تسليما	صفة له وبر به لتدبعا
ضاع الذى عن ذكره هو يعرض	ضاع المديح لأحمد يتروّض
ضاف بذكراه المنى يتعرض (٢)	ضاف حباه كفه ليفضفض
صلوا عليه وسلموا تسليما	ضاعف له الآمال صلّه مديعا
طابت مدائحهم قطاب المغبط	طال العوالم إذ أتى هو يقسط
ظام له بحر الألى يتنشط	طابت به النعمى وطاب المنشط
صلوا عليه وسلموا تسليما	طالب مطالب كلها تتميما
ظهر لأمته ظهير ملحظ	ظهر النبى ورب [أحمد يلحظ]
ظل له ظلوا به يتحفظوا	ظهروا على الأمم افتخار ملحظ

(١) تفحص : تبحث

(٢) ضاف : سابع

ظلت الظلال إذا ذكرت نديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
عد المحاسن للنبي يستتبع	عدله آياته تنفوع
عداه مولاه إليه فيطلع	عد لذكراه غداة يشفع
عذاب من المؤمنين رحيمًا	صلوا عليه وسلموا تسليما
غزرت له الآيات هن نوايح	غزر الحيا عز الوري هو سائغ
غمر الرّدا بحر الندى يترفع	غمر البلاد بذكره يتفرغ <sup>(١)</sup>
غمر بذكره الفؤاد وسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
فاض الجمال وفاض منه يوسف	فاز الحب بذكره لا يوسف
فاضت عليه فيوضه يترلف	فاش له الآيات لا يتكلف
فادله كل بهم تقديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
قربدا من أفضه هو فائق	قر يحاب بذكره ويعلق
ققام كل الأنبياء وسائق	ققام جود عم كل يرفق
قم بابه مستنبحا ومقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
كلا به فتح الوجود ويدرك	كل الكمالات احتوى لا يشرك
كلّ اللسان عن البيان ويمسك	كلىّ الذى بجنابه يتمسك
كل مرتجأك إليه ثق تكرىما	صلوا عليه وسلموا تسليما
لحمد هو مصطفى ومؤمل	لحمد بن محمد ما يأمل
لحت عليه بروقه يتحمل	لمعان نور وداده يستكمل
لم لا أصيب من الحبيب شمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثل ذاك المصطفى يتعظم	من كل وجه للكمال ليُعظم

(١) غمر الرداء : كناية عن الجود والكرم ، وأصله في قوله الشاعر :  
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

مَنْ عَلَيْنَا مِنْ إِلَهٍ أَعْظَمَ      مِنْهُ الْعُرُوضُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَعْظُمُ  
 مَنْ كَانَ لِلربِّ الْعَظِيمِ كَلِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا  
 نُورَ الْإِلَهِ حَبِيبِهِ يَتِمَكَّنُ      نَادَى الْإِلَهِ حَبِيبَهُ يَتِمَكَّنُ  
 نَالَ نَوَالًا شَرْحَهُ لَا يَمَكَّنُ      نَادَى لَهُ طُوبَى لِمَنْ يَتِمَكَّنُ  
 نَادَى الْحَبِيبَ بِذِكْرِهِ تَكْلِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا  
 وَاللَّهُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ لَا يَشْبَهُو      وَاللَّهُ مَوْلَاهُ الْعَوَالِمُ كَيْفَ هُوَ  
 وَجَدَ الْوُجُودَ بِذَاتِهِ وَبِهِ لَهُ      وَجَدَ عَلَا وَبُوجْهِهِ فَتَوَجَّهُوا  
 وَجَدُوا وَجَادَ مِنَ النِّجَاحِ مَقِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا  
 هُوَ أَكْلٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَوْجُهُ      هُوَ ذَا الْحَبِيبِ الْقَلْبُ مِنْهُ أَوْجُهُ  
 فَأَوَّلَى طَيْبِهِ وَأَوْجَهُو      هُوَ مِنَ الْأَرْضِ الْمَكْثَرِ أَوْجُهُ<sup>(١)</sup>  
 هَانَا بِنَارِ الشُّوقِ صُرْتُ سَقِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا  
 لَا رَيْبَ لَا مِثْلَ لَهُ وَاللَّهُ لَا      لَاحَتْ لَهُ الْآيَاتُ عَرْشًا قَدْ عَلَا  
 لَا قِيَّ ارْتِقَاءَ رَبِّهِ فَتَوَصَّلَا      لَاجَ بِهِ نَالَ الْمَنَى إِلَى الْأَلَا  
 لَازِمَ لِبَابِ جَنَابِهِ تَقْسِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا  
 يَا أَكْرَمًا كُلِّ إِلَهِ يَلْتَجِي      يَا تُنَى مُحَمَّدِكَ الْعَفِيفِي الَّذِي  
 يَقْنَأُ تَوَسَّلَ بِالصُّفَى وَيَحْتَدِي      يَدُهُ إِلَيْكَ [ يَمْدٌ ] فَقَرَّا تَرْجِي  
 بِمِنْ افْتِتَاحَ بِاسْمِهِ تَحْتِيمًا      صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

قلت : وإنما أثبت هاتين القصيدتين في جملة ما سرده ، وإن كان فيهما  
 من التكلف ما لا يخفى لأوجه : أحدها : أن صاحبهما من الصالحين يسلم له ويتبرك  
 بكلامه ، ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد سهام ملامه ، الثاني :

(١) كذا في ب ، خ ، وليس بشيء ، وأصلحه ناشرب بقوله :  
 هو أفضل هو أجمل هو أوجه هو من ترى فوق المعالي أوجه

أنهما [ في ] مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أزكى صلاته وأتم سلامه ،  
الثالث : أن المراد جمع ما وقفت عليه في البحر والروى والمعنى ، لأن بعضا من  
العلماء ذكر لي أنه لم يطلع في ذلك إلا على قصيدة ابن الجيان ، فأحييت أن  
أعرض لتعريفه بهذا العدد وإعلامه ، على أن القصد الأعظم ما هو إلا التلذذ  
بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، خصوصا المقتبس فيها قوله تعالى  
( صلوا عليه وسلموا تسليما ) .

وقد كنت نويت أن أولف في ذلك بالخصوص كتابا أسميه « روضة  
التعليم ، في ذكر الصلاة والتسليم ، على من خصه الله تعالى بالأسراء والمعانيه  
والتكليم » والله تعالى المستول في التيسير ، فلنزد عليه يسير .

ومن ذلك هذا التسديس الذي وجدته في كتاب « درر الدرر » للشيخ  
الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي بكر  
العطار الجزائري من جزائر بني مرغنة ، وهي المشهورة الآن بالجزائر :

تسديس في  
مدح النبي  
لأبي عبد الله  
ابن العطار  
الجزائري

أنوار أحمد حسنها يتلألاً	المصطفى بحلى الكمال يحلاً
الشمس تحجل وهو منها أضواً	النور منه مقسم ومحزاً
قد زان ذاك النور إبراهيماً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على المسك الفتيق الأطيب	صلوا على الورد المعين الأعذب
صلوا على نور ثوى في يثرب	صلوا عليه بمشرق وبمغرب
ما زال في الرسل الكرام كريماً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على زهر الكمال القابت	صلوا على طود البهاء الثابت (١)
صلوا على من فاق نعت الناعت	خير الورى من ناطق أوصامت

وأعزهم نفسا وأطهر خيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على طيب يفوح ويمكث	صلوا على من عهده لا ينكث
صلوا على من بالهدى يتحدث	عنه المعارف والحقائق تورث
أضحى يعلمنا الهدى تعليما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره يتبلج	صلوا على من عرفه يتأرج
للحضرة العلياء ليسلا يعرج	صلوا على من حاز مجدا يبهج
وبها على العرش المجيد مقيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير اللائح	صلوا على صبيح الرشاد الواضح
صلوا على المسك الذكي الفائح	صلوا على الهادي النبي الناصح
الرشد فهم والهدى تفهيم	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من شرعه لا يفسخ	صلوا على من عهده لا يفسخ
صلوا على من بالثناء يضمنخ	علياؤه عليا الكمال تورخ
نال المفاخر والكمال قديما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادي لأعذب مورد	صلوا على خير الأنام الأورحد
صلوا على بدر التمام الأسعد	بمحمد فزنا ، ومن كمحمد
الله عظم قدره تعظيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة ينفذ	صلوا عليه فللسعادة يجيذ
صلوا على من حبه لا ينفذ	أبصارنا طرا بأحمد لوز <sup>(١)</sup>
في موقف ينسب الحميم حميا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الزاهر	صلوا على الروض البهي الناضر

صلوا على مُزَنَ العلوم الماطر	صلوا على المسك الفتيق العاطر
وتنعموا بصلاتكم تنعيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور يلوح ويبرز	صلوا على مسك يفوح ويحرز
بمحمد حلل السكال تطرر	ولجده درر السيادة تفرز
قد نظمت لـكـالـه تنظيمـا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الدر النفيس الأنفس	صلوا عليه فهو روض الأنفس
صلوا عليه فهو زين المجلس	ومنى الجاليس وزهة المتأنس
راق النفوس شذا وطاب شميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المختار أفضل من مشى	صلوا على النور الذي قد أدهشا
بمحمد عرّفُ القرنفل قد فشا	ورد لظمان إليه تمطشا
يُبْرِى الضنا أبدا ويروى الهيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالسكال يخصص	صلوا على مَنْ نورُهُ لا ينقص
صلوا عليه على الدوام وأخلصوا	ظل ضفا بالأمن لا يتقلص <sup>(١)</sup>
شمل الورى طرا وطاب عميما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على صبح تبليج بالرضا	وقضى على ليل الضلالة فانقضى
صلوا على مَنْ بالفجاة تعرضا	صبح تذهب نوره وتفضضا
وعلا وخيم ضوهه تخيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالبهاء يخطط	صلوا على وَرْدٍ بمسك يخلط
للمصطفى بسط الكرامة تبسط	وله يواقيت السناء تقسط
وبنوره أضحي الزمان وسيما	صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) ضفا : زاد ، ووقع في ب « طفا » بالطاء - تحريف ، وتقلص : نقص

صلوا على من بالمهابة يلحظ	صلوا على من بالنبوة يلحظ
صلوا على من بالهداية يلفظ	لخصاته نار الجحيم تغيظ
ورضاه هَبَّ لنا وطاب نسima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الساطع	صلوا على الروض الأنيق اليانع
صلوا على الصبح المنير اللامع	صلوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه في وهج المهجير مغنima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الأعم السانع	صلوا على البدر الأتم البازغ
صلوا على المسك الذكي البالغ	صلوا على الورْدِ المَعِينِ السائغ <sup>(١)</sup>
للاواردين به غدا تميمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالتقرب يوصف	صلوا على من بالحجة يعرف
صلوا على من بالعلو يتشرف	صلوا عليه به الكمال يزخرف
المجد فَخَّمَ ذكره تفخيمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يطيب لناشِقِ	صلوا على الروض الأنيق الرائق
إشراقه بمغارب ومشارق	صلوا على البدر الأتم الفائق
بادِ تنسم حسنه تنسima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك	صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك	صلوا على من للهدى يتحرك
وبه تحلى ظاعنا ومقيمima	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الأكل	صلوا على الروض البهى الأجل
صلوا على الهادى النبي الأحفل	المصطفى الأرق لأنزه محفل

فيه تقدم وحده تقدما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم	صلوا على عَرَفٍ ذكى باسم
صلوا عليه فهو بدرٌ مواسم	من جوده نلتنا بخير مقاسم
أنواره قد تمت تميمها	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا	صلوا على من بالكمال تمكنا
صلوا على هاد أبان وبيننا	بمحمد فزنا بإدراك المنى
للخلق أرسل رحمة ورحيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادي النبي الأزه	بدر التمام وروضة المتزه
في فضله كل الشهادة تنتهى	أبدًا بلثم ثراه فخر الأوجه
في حبه أضحى الغرام غريما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور بطيية قد ثوى	فملا وقاض على البسيطة واحتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى	صاوا عليه فهو يُنْجى مَنْ هَوَى
في موقف يذر السليم سليما	صلوا عليه وسلموا تسليما <sup>(١)</sup>
صلوا على نور تاللاً واعتلى	صلوا على صبح مبين يجتلى
صلوا على مسك يخالط مَفْدَلًا	صلوا على در تزان به الخلى
وبه المعالى خيمت تحيما	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مَنْ نال مجدا عاليا	وسمى وحاز مفاخرًا ومعاليا
صلوا على نور تبدى حاليا	وبمدحه الرحمن زين حاليا
وإذا سما المخدوم زان خديما	صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد توارد في بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التي أولها

(١) يذر : يدع ويترك ، والسليم الأول : بمعنى الصحيح السالم من الأدواء ،  
والسليم الثاني : اللديخ ، وفي أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » أى الذى لدغته  
الأفعى ، مثلا

\* يا أمة الهادى المبارك أحمد \*

حسبما يعرفه المتأمل ، والذي فى ظنى أن صاحب « يا أمة الهادى » متأخر عن ابن العطار فهو الذى أخذ منه ، والله سبحانه أعلم .  
وتوارد أيضاً فى عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبى العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله :

\* الله زاد محمداً تمظيلاً \*

وهما على منوال واحد ، غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس ، وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخاً ، فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين ، أو ذاك من توارد الخاطر .

ورأيت فى هذا الكتاب تسديساً آخر لم يرتبه على حروف المعجم ، وجعل روى الشطرين الأخيرين حرف اللام ، فأحببت ذكره هنا زيادة فى التبرك بمدح المصطفى عليه أجل الصلاة والسلام ، وهو :

تسديس آخر  
فى مدح النبي  
صلى الله عليه  
وسلم

نور النبي المصطفى المختار	أربت محاسنه على الأنوار <sup>(١)</sup>
مرآه يُخجَل بهجة الأقدار	نور ينجى من عذاب النار
قد زان ذاك النور إسماعيلاً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على البدر المنير المشرق	صلوا عليه بمغرب وبمشرق
صلوا على غصن الكمال المورق	بالمصطفى المختار برق الأبرق
يهدى غراماً للنفوس دخيلاً	صلوا عليه وسلموا تسليماً
صلوا على من قد تناهى فخره	صلوا على من قد تعاظم قدره
صلوا على من قد تأرجح نشره	صلوا على من قد تناسق دره <sup>(٢)</sup>

(١) أربت : زادت

(٢) تأرج : فاح ، والنشر - بالفتح - الرياح

صلوا عليه وسلموا تسليما	عقد الثناء لمجده إكايلا
صلوا على البدر المعين الساسل	صلوا على خير الأنام المرسل
صلوا على نور الهدى المسترسل	صلوا على أسنى سَنّا المتوسل
صلوا عليه وسلموا تسليما	ظل علينا لا يزال ظليلا
صلوا على مَنْ فاق عَرَفَ العنبر	صلوا على النور الأنم الأكبر
كم زان ذكر المصطفى من منبر	صلوا عليه فهو أصدق مخبر
صلوا عليه وسلموا تسليما	وأراح من داء الضلال عليلا
صلوا على من فاق كل مبشر	صلوا على النور الأنم الأكبر
صلوا على بدر يرى في المحشر	صلوا عليه هديتم من معشر
صلوا عليه وسلموا تسليما	حاز الجلال فلا يزال جميلا
صلوا عليه بمشرق وبمغرب	صلوا على النور البهي المغرب
يا فكري شرب ويح من لم يشرب	صلوا على الورود الشهي المشرب
صلوا عليه وسلموا تسليما <sup>(١)</sup>	منه ، وينقع بالورود غليلا
صلوا على من في النجاة يفكر	صلوا على من فخره لا يفكر
صلوا على من بالهداية يشكر	صلوا على من بالنبوة يذكر
صلوا عليه وسلموا تسليما	شكرا على مر الزمان حفيلا
صلوا على من في الكمال تقسما	صلوا على من بالسيادة قد سما
صلوا على طيب سرى وتنسما	صلوا على صبح بدا متبسما
صلوا عليه وسلموا تسليما	وعدا وراح معطرا وبليلا
صلوا عليه سرى وفاح وما انبرى	صلوا على مسك يخالط عنبرا

(١) الغليل : حرقه الباطن ، ونقعه - من باب فتح - أي أبرده وبلله وأذهب حرقة

صلوا عليه حوى الكمال الأ كبرا  
وبذاك قد خص الجليل جليلا  
صلوا على من بالنبوة توجا  
صلوا عليه لقد أضاء وأبهجا  
نور يعود الطرف منه كليلا  
صلوا على نور تبليج لأثحا  
صلوا على مسك تأرج قائحا  
ومحبه يستوجب التبجيلا  
صلوا على من نوره ملاً القضا  
صلوا على من حُفَّ حقاً بالرضا  
وهدى إلى نيل الرشاد سييلا  
صلوا على بدر يدوم كماله  
صلوا على من قد تعاظم حاله  
وإلى الورود به أجدّ رحيلا  
صلوا بأجمعكم على شمس الهدى  
صلوا عليه فمن رآه شهيدا  
أرضى النزيل وبين التنزيلا  
صلوا على من قد تأمل مجده  
ما زهره لولاه أو ما ورّده  
فى تربه ما أعذب التقبيلا

لبس الجال مطرزا ومحبرا  
صلوا عليه وسلموا تسليما  
صلوا على صبح بدا وتبلجا  
ومحاربونق نوره ظلّم الدجا  
صلوا عليه وسلموا تسليما (١)  
صلوا على نور تبليج واضحا  
وبطيه ملاً الوجود روائحا  
صلوا عليه وسلموا تسليما (٢)  
صلوا عليه لقد أضاء وما انقضى  
لنجاتنا خير الأنام تعرّضا  
صلوا عليه وسلموا تسليما  
باق على مر الزمان جماله  
ودنا إلى ورد الرضا رَحّاله  
صلوا عليه وسلموا تسليما  
صلوا على بدر يزين المشهدا  
صلوا عليه به الرشاد تمهدا  
صلوا عليه وسلموا تسليما  
فسيما به غَوْرُ الحجاز وَنَجْدُهُ  
بالمصطفى المختار يعذب وَرْدُهُ  
صلوا عليه وسلموا تسليما

(١) كليلا : ضعيفا

(٢) التبجيل : التعظيم

صلوا على محبوبنا مطلوبنا	صلوا عليه فهو روض قلوبنا
صنوا عليه فهو عطر جيوبنا	صلوا على مطلوبنا محبوبنا
لا نرتضى من حبه تبديلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الأنام الأطهر	صلوا على النور الأتم الأبر
صلوا على الصبح المنير الأشهر	صلوا عليه باتصال الأشهر
الله فضلنا به تقضـيلا	صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تنهاى في العلا	صلوا على من كان أكمل أجلا
صلوا على در تران به الحلى	المجد ألبسه الكمال فأجزلا
والله كمل مجده تكميلا	صلوا عليه وسلموا تسليما

وأظن أنى رأيت بعض هذه القصيدة في كتاب العروسي المغربي ، وهو متأخر .

قصيدة في مدح  
الرسول لابن  
الخطار، المغربي

ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربي ، وهي :

أهدت لنا طيبَ الروائح يثربُ	فهبوبها عند التنسم يطرب
رقت فرقاً من الصباية والأسى	قلب بنيران البعاد يعذب
شوقاً إلى أسنى نبي حبه	كنز الفجأة فنعم هذا المطلب
المصطفى أعلى البرية منصبا	قد جل في العلياء ذاك المنصب
فزناً به بين الأنام بديمة	أبدا علينا بالأمانى تسكب
حاز السيادة والكمال محمد	فإليه أشقات المحامد تنسب
محبوبنا ونبيينا وشفيعنا	يدى إلى روض الرضا ويقرب
بضيائه الملتاح أشرق مشرق	و بنوره الوضاح أغرب مغرب <sup>(١)</sup>
وبه وردنا الأمن عذبا صافيا	وبه ترقى في المعالي يشجب <sup>(٢)</sup>

(١) الملتاح : البادى الظاهر

(٢) يشجب : جد العرب القحطانية

صبح الهدى أنواره بنينا  
 إن طابت الأنفاس من زهر الربا  
 صيرت أمداح النبي المصطفى  
 فعلى من أمداح أحمد خلعة  
 وبمدحه شمس الرضا طلعت على  
 أترى يبشرني البشير بقربه  
 ويقال لي بشراك قد نلت المنى  
 هذا مقر الوحي هذا المصطفى  
 ردّ ورد طيبة واشف من ألم النوى  
 كم ذا التواني عن زيارة مورد  
 منا السلام على النبي محمد  
 صبحا تروق الناظرين وتعجب  
 ربّاه أذكى في النفوس وأطيب<sup>(١)</sup>  
 لي مذهبا يا حبذا المذهب  
 مؤشيه وها طراز مذهب  
 أفقى تضىء ونورها لا يغرب  
 وأبث أشواق الفؤاد وأندب  
 يا مغربى إلى متى تتغرب  
 هذا الذى أنواره لا تحجب  
 قلبا على جمر الأسى يتقلب  
 عذب المقام به ولذ المشرب  
 ما أسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمي هذا الكتاب « بنظم الدرر، في مدح سيد البشر » و « الورد العذب  
 للعين، في مولد سيد الخلق أجمعين » وليس هو بآبن العطار المشرق الذى كان  
 معاصرا لابن حجة الحموى، فإن ذلك متأخر عن هذا، وهذا مغربى وذاك مشرقى،  
 فلم يتفقا لا فى زمان ولا فى مكان، غير أنهما اشتركا فى الشهرة بآبن العطار.

ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته : مما أنشأه  
 الشيخ الفقيه القاضى العدل الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد  
 ابن أبى بكر بن يوسف العطار، رواية العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد  
 ابن الأمين الأفشهرى، قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين  
 غيرها على ناظمها القاضى المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع

(١) الربا - بفتح الراء وتشديد الياء - الريح الطيبة، وأذكى : أشد ذكاء  
 وطيب رائحة

الحكم في مدينة الجزائر من أقصى إفريقية ، حرس ، في دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء ليلة بقيت من ذى القعدة أو آخر عام سبع وسبعائة ، ونَصُّ ما كتب على نص قراءتي عليه : صحيح ذلك ، وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى .

ورأيت أثر ما تقدم بخط الأشمري ما صورته : سمع من لفظي جميع « نظم الدرر ، في نسب <sup>(١)</sup> سيد البشر » لجامعة القاضي المذكور أعلاه القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبى وولده أبو محمد عبد الدائم وابن أخيه أبو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن أبى بكر البورى وغيرهم ، نحو سماعى قراءة منى على مؤلفه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر العطار سنة سبع وسبعائة ، قاله راسمه الأشمري ، انتهى .

ومن قصائد هذا الكتاب قوله :

أبدا تشوقك أو تروكك يثرب	فإلى متى يقصيك عنها المغرب
هى جنة فى النفس يعذب ذكرها	والقرب منها والتداني أعذب
المسك معترف بأن نسيمها	أسمى وأسرى فى النفوس وأطيب
والعنبر الوردى دان لطيفها	منه التعطر والتأرج يطلب
جيش الصباية شن غارات الأسى	من بعدها فالصبر منها ينهب
والشوق يتنينا إليها كلما	وقف الحمام على الأراكة يخطب
حتى النسيم إذا سرى من ربعا	يثنى من الروض الفصون ويطرب
حيا فأحيا المستهام بطييه	ففنفسنا بهبوبة تستطيب
يا حبذا فى رُبّع طيبة وقفة	بين الركائب والمدامع تسكب
حتى يرقّ للوعتى وصبايقى	ودموع عيني كُـلٌّ من يتغرب
شوقا لمن زان الوجود ، وجهه	يدنى إلى رتب الرضا ويقرب

(١) تقدم أن اسم الكتاب « نظم الدرر ، فى مدح سيد البشر »

ساد الأنام المصطفى بكاله  
بالنور زاد حُلًى على آبائه  
الشمس يغرب نورها وضيأؤها  
الله أرسله إلينا رحمة  
بمحمد فـرنا بإدراك المنى  
خير الورى محبوبنا ونينا  
روض النفوس محمد ونعيمها  
شرف تقادم قبل آدم عهده  
منا عليه مدى الزمان تحية  
ومنها قوله رحمه الله تعالى :

طلعت ، وقارنها البهاء ، بدور  
من نور أحمد يستمد ضياؤها  
ويزيد ذاك النور حسنا فائقاً  
محبوبنا أسمى البرية منصبا  
فرنا بخبر العالمين محمد  
لاحت لنا أنواره فرماننا  
بالمصطفى المختار قابلنا الرضا  
الله فضله على كل الورى  
القرب خصصه وعظم قدره  
خير النبيين الكرام نينا  
يا صاحبي نداء صب مغرم  
عوجا على بوقفة وبمطفة

أبدأ على قطب السعود تدور  
وبهاؤها ، يا حيداك النور  
يوم القيامة والأنام حضور  
يوم النشور لواؤه منشور  
وجرى بوفق مرادنا المقدور  
نور ، وأنس دائم وسرور  
بين الأنام فسعينا مشكور  
فهو الحبيب ، وفضله مشهور  
فسما بهجة نوره ناحور  
بالنور في العرش اسمه مسطور  
قلبي بحب المصطفى معمور  
إني على ألم التفراق صبور

إن لم أزر بالجسم قبر المصطفى  
 نيران قلبي بالبعاد توقدت  
 فمن الفراق الحدم نيران لها  
 فتى أفوز بوقفة في طيبة  
 ويقال لي انزل بأكرم منزل  
 إن جاد دهرى بالوصول لطيبة  
 هي جنة مَنْ حَلَّها نال المنى  
 حتى النسيم إذا سرى من نحوها  
 ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أما النسيم فقد حَيَّاك عاطره  
 خاطِرُ بروحك في نيل الوصال فكم  
 زهر الربا بايِّم تَنَدَّى كَأَمِّه  
 ماحل روض المنى الغض الجنى دنف  
 والنهر أبرز للبدر الأتم حلي  
 والغصن تلعب أنفاسُ الرياح به  
 والليل قد رقت بالشهب حلته  
 والنور محضُ جنِّي فوق الندى درر  
 وملبس الروض قد زانته خضرته  
 والصبح سلَّ على جيش الظلام ظُبًّا  
 للزهر سر وعرفُ الروض فاضحه  
 هل زار طيبه ذاك العرف حين سرى  
 طابت بطيب رسول الله فهي به

وبارق المنحني أحيالك ماطره  
 من نازح نال طيب الوصل خاطره  
 رق النسيم بها إذ راق ناظره  
 فاستضحكت فيه من عجب أزاهره  
 والبدر طرز ماء النهر زاهره  
 والطل قد نثرت منه أزاهره  
 والبرق يسم في الظلماء ساهره  
 وعقدها زين الأبصار دائره  
 والليل بالقجر قد زالت غداثه  
 وعندما سلها ولت عساكره  
 والمسك إن فض لا تخفى سرائره  
 فتربها أبداً مسك يخساره  
 سمَّت وفاقت بمن فاقت مفاخره

به مَعْدَ تَسَاحَى للعلا ، و به  
 أسنى النبيين قدراً نوره أبداً  
 وأفضل الخلق من عرب ومن عجم  
 إن كان للرسول عقد وَهُوَ آخرهم  
 روض من الحلم غَضٌّ راق منظره  
 إن جاد صَاحٍ ببقياه الزمان قِلْ  
 وصِفْ له حال صب مغرم دنف  
 واذكر هناك بعيدَ الدار غربه  
 أهدي السلام بلا حد ولا أمد  
 ومنها قوله رحمه الله تعالى :

أمنزلنا جادت ثَرَكَ السحابُ  
 ووشاك وشمى الغمام بدره  
 وحيا نسيم الريح بالجزع أنسا  
 فيا عهدنا بالخيف هل أنت عائد  
 وهل راجع عصر الشَّبَابِ الذى انقضى  
 وهيهات أن تقضى لنا برجوعه  
 وقد سلب الدهر المفرق أنسنا  
 فما وهب الأنفاس إلا مغالطا  
 أطالب أيام العقيق بعودة  
 فيا صاحبي كن مُسْعِدِي في صباقتي  
 إذا ما بدا برق الحجاز فادمعي  
 أعاتب أيام البعاد ، وقلـــــــــــــــــ

حاز المكارم واعتزت عشائره  
 يزيد حسنا على الأقطار باهره  
 أربت على الرمل أضعافا مآثره  
 نظما فقد زان عقدَ الرسل آخره  
 بحر من العلم عذب فاض زاخره  
 إلى مقام حبيب أنت زائره  
 رام الدنو فأقصته جرأته<sup>(١)</sup>  
 غرب فما غائب من أنت ذاكره  
 إلى محلّ رسول الله عامره

(١) الجرائر : الذنوب والآثام ، واحدها جريرة

وأنجل بالصبر الجميل ، وإنه  
ولما بدت أعلام طيبة قصرت  
وقفنا وسلمنا وفاضت دموعنا  
نزلنا وقبَلْنَا من الشوق تربها  
فلعين من تلك المعاهد زهرة  
حَوَتْ سيد الرسل الذي جل قدره  
به غالبٌ حاز المفاخر سالفاً  
بهادى الورى طرا مناصبه سمت  
محمد الهادى بإشراق نوره  
ترقى إلى السمع الطباق وما بدا  
وخطبه في حضرة القدس ربه  
نبى بدت أنواره وتلاّلات  
لقد أشرقت شمس النهار بنوره  
أعلل قلبي بالوصول لقبه  
وإني أناديه وإن كنت نازحاً  
إذا كنت لى ياسيد الرسل شافعا  
بمدحك يا من جل قدرا وحظوة  
فيامعشر الأحباب إن نبينا  
ألا فاذكروه كل حين وسلموا  
وقوموا على أقدامكم عند ذكره  
ومنها قوله رحمه الله تعالى :

لنيهبه من وارد البين ناهب  
من الشوق ما قد طولته السباب  
وحنت إلى ذاك الجناب الركائب  
وطابت بذاك الترب منا الترائب  
وللقلب في تلك الرسوم المآرب  
له في مقام القرب تقضى المطالب  
ولا شرف إلا الذي حاز غالب (١)  
ورأقت بخير الرسل تلك المناصب  
تمزق من ليل الضلال غياهب  
له في ترقيه من الحجب حاجب  
وأدناه في حال الخطاب المخاطب  
فنها تضيئ النيرات الثواب  
وبدر الدجى لمابداً والكواكب  
وإن غبت ما قلبي وحقك غائب  
نداء غريب غربته المغارب  
فما أنا من نيل السعادة خائب  
وجاها وتمسكينا تنال المواهب  
إلى فوزنا داع وساع وخاطب  
عليه بذاك الذكر تسمُ المراتب  
فذلك في شرع المحبة واجب

شمس الهدى وضحت بأشرف مرسل  
من وجه عبد الله كأن ظهورها  
خلعت على الآفاق أشرف ملبس  
فالنيران المشرقان كلاهما  
فالشمس لما أن بدت أنواره  
والبدر قابله بحسن كامل  
وليلة الإسراء أجمل منظر  
فضلت على الأيام من شرف لما  
وبها بدا نور النبي المصطفى  
إذ جاءه الروح الأمين مسلماً  
فسرى إلى أسنى محل وارتقى  
رفعت له حجب الجلال بأسرها  
حتى انتهى الروح الأمين لحده  
ناداه لما أن ترقى وحده :  
ارقا إلى الأفق السنى مشاهدا  
وأسعد بزورة من تعظم ملكه  
فسما فشهد حضرة القدس التي  
وبدا الكمال له ونودى مقبلا :  
أنت المراد لسرنا ولوحينا  
وألبس بحضرة قدسنا خلع الرضا  
ولك الوسيلة يا محمد عندنا  
فاحكم بما يوحى إليك من الهدى  
فيه شفاء للصـدور فبروها

وزجت دُجَى ليل الضلال المسبل  
للخلق طرا في ربيع الأول  
وبدت فأنى دُجْنَة لم تنجل  
لمصطفى اعترفا يعجز مجمل  
أومت إليه بالسلام الأحفل  
فانشق للبدر الأتم الأكل  
بجمال إسراء الحبيب الأجمل  
حازته من شرف النبي الأفضل  
وبدت لنا نار الكلم المصطفى  
ومبشرا بورود أعذب منه  
والجفن منه بنومه لم يكحل  
فراى جلالا لم يكن بمش  
وبحيث يذهل عقل من لم يذهل  
لك يا محمد ذا التقرب ليس لى  
وأتراك حظوظك بالحضيض الأسفل  
واصعد إلى عرش الحبيب الأول  
سَبَحَاتِهَا تَقْشِي حِجَابَ الْمَاءِ  
أهلا وسهلا بالحبيب المقبل  
أقبل إلينا يا محمد تقبل  
منا وجُزَّ الذيل منها وارفل  
وبها نجيب وسيلة المتوسل  
وانزل بأنوار الكتاب المنزل  
بفصل من غير فصل

يا نفس هل تشفيك زورة طيبة      فرسومها برء لكل مقبل  
وَلَّى زمانك في التصابي والمني      فدعى التصابي والأمانى وارحلى  
يا قلب ، روغات الجوى هل تنقضى      عني ؟ ولوعات الجوى هل تنجلي ؟  
وأزور قبر الهـاشمي محمد      قبل الرحيل وقبل عذل العذل  
إني وإن بخل الزمان بقربه      فبلوعتي وبدمعتي لم أنجل  
أسقى الثرى تسكابها ، فعينها      يهمني ، ونار صبابتي ماتأتلى  
لهفى على بعد المزارعتي أرى      يقضى الزمان بقرب ذاك المنزل ؟  
ومتى أبشر بالني ، ويقال لي :      هذا مقر الوحي دونك فأنزل ؟  
وتهب تلقائي نواسم طيبة      إني أجود بها إليك وحق لي  
فلقد بليت بلوعة وبدمعة      وهبوبك الأزكى شفاء المبتلى  
خيلت قربك برء داء صبابتي      ضن البعاد به فطال تخيلي  
شوقا إلى خير الأنام بأسرهم      سؤلى وأسنى مقصدي ومؤملي  
فيه أنا متوسل في مقصدي      أسنى التوسل بالرسول المرسل  
وبجاهه عند الأنام مآربي      ووسائلي تقضى وإن لم أسال  
وبه الأمانى قد حللن بساحتي      وحوادث الحدثان صرن بمعزل  
بشراك نفسي فالأمانى أعجلت      نحوى تبشرني بخير معجل  
بمدحيه أضحي الزمان مسألي      تندى أسرة وجهه المتهلل  
فيه إلهي قد رجوتك راغبا      دون الأنام فباب جودك موئلي  
وإليك ربي رغبتي وتوسلي      وعليك في كل الأمور توكلتي

وثبت في آخر هذا الكتاب ما صورته : قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد  
ابن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم : كان الفراغ من إكمال هذا  
الفصل وإتمامه ، حسب نثره ونظامه ، ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم

سنة ست وتسعين وستائة ، ما عدا أربع قصائد اشتمل عليها ، فإنها تقدمت على إنشائه ، أودعتها فيه ، والله سبحانه المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر جزائر بنى مرغنة من أقصى إفريقية من أرض متيجة ، صانها الله تعالى ! انتهى .

وثبت في آخره بخط بعض الأكابر ما نصه : تأليف الفقيه العالم الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن العطار الجزائري ، انتهى .

وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر ، فالله تعالى يجازي صاحبه أفضل الجزاء ! بمنه وكرمه .

ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الأندلس بعض الأمداح النبوية زيادة على ما ذكر هنا فنقول :

قال العارف بالله تعالى ابن العريف في كتاب « مطالع الأنوار ، ومنابع الأسرار »  
في مدح الرسول

وحقك يا محمد إن قلبي يحبك قربة نحو الإله  
جرت أمواه حبك في فؤادي فهام القلب في طيب المياه  
فصرت أرى الأمور بعين حق وكنت أرى الأمور بعين ساهي  
إذا شغف الفؤاد به ودادا فهل ينهاه عن ذكره ناهي ؟  
يهم بذكره ويحن شوقا حنين المستهام إلى الملامى  
يخامره ارتياح منه حتى يقول أولو الجهالة : ذاك لاهى  
وما هو حق فضل قد رآه فصار يجد في طلب الملامى  
فسوف ينال في الدنيا سرورا وفي الدار الأخيرة كل جاه  
ويعطى ما تمنى من أمان كما قد حب محبوب الإله  
وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا عاذلى فى طلابى دعنى من العذل دعنى  
سأعملُ العيسَ شوقا بالعزم دون التانى

إلى ضريح رسول	مصدق حسن ظني
أشدو على كل فج	حين الحمام يغني
يا أظهر الخلق إني	بذلتني عبد قين
فأعق اليوم رقي	وانظر بعطفك مني
فأنت أنت ملاذي	إياك إياك أعني
إن غبت عن عين جسمي	ما غبت عن عين ذهني
لولاك كنا أناسا	أشر من كل جن
فإذ بعثت رسولا	فخير فضل ومن
لله خالص شكرى	عساه يصفح عني
فإنتى عبد سوء	قلبت ظهر الحن

وقال في خاتمة ذلك الكتاب :

صلى الإله على النبي الهادي	مالأزت الأرواح بالأجساد
صلى عليه الله ما أسود الدجا	فكسا محيّا الأفق برّد حِداد
صلى عليه الله ما أنبلج السني	فأبيض وجه الأرض بعد سواد
صلى عليه الله ما همع الحيا	فسقى البلاد برائح أو غادي
صلى عليه الله ما هفت الصبّا	وشدا على فتن الأراكة شادي
صلى عليه الله ما ألف الكرى	جفن فخامره لنيد رقاد
صلى على المختار أحمد ربّه	ما استمسكت نار بطي زناد
صلى على خير الأنام محمد	من خصه بالنور والإرشاد
صلى الإله على رسول حاشر	حشر الأنام لديه في الميعاد
صلى الإله على رسول عاقب	في الدهر وهو بفضل كالهادي
صلى الإله على رسول خاتم	ختم النبوة بالكتاب الهادي
صلى الإله على المقفى ما اقتفى	بشر نبوته بغير عناد

صلى على ماحي الضلال إلهه	ما غردت طير على الأعواد
صلى الإله على نبي طالع	بملاحم قصمت فؤاد العادي
صلى عليه الله فهو نبيه	ناداه بالإرشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله	أعطاه راية عزيمة ورشاد
صلى عليه الله فهو خليله	أسدى إليه منه كل سداد
صلى عليه الله فهو صفيه	صفى سريره من الأحقاد
صلى عليه الله فهو وليه	والاد في الإصدار والإيراد
صلى عليه الله فهو المصطفى	من كل خضار العباد وبادى
صلى عليه الله فهو المجتبي	يُجَبِّي إليه الخير دون نقاد
صلى عليه الله فهو المنتقى	نور الزمان وواحد الآحاد
صلى عليه مَنْ بَرَّاه مطهرا	واختاره طودا من الأطواد
صلى عليه من براه بفضله	وأعاده حيا لغير معاد
صلى عليه من أراه جلاله	وأنا له من ذاك كل مراد
صلى عليه من أحل فؤاده	في ظل عرش ثابت الأوتاد
صلى عليه مَنْ غذاه بنعمة	فتضاعفت كتضاعف الأعداد
صلى عليه من كساه عوارفا	واختصه منه بخير أياذ

لأبي عبد الله  
ابن عمران  
وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على  
حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب ، كما تقدم :

ألف ،	أيا خير البرية هـذى	مدحى ، وما أنا في مقامى هاذى
باء ،	بها أظهرت صدق محبتي	وبذلك الجاه الكريم ليأذى
تاء ،	تَحَدَّثْتُ وسيلة ما حُكِّتُهُ	وجعلته يوم المعاد عيادى

ثاء ،	ثنائي ليس يحصر فضلك الزاهي ولا يحويه باستحواذ
جيم ،	جلالك جل طور فخاره عن شبه مثل أو لحاق مُحاذي
حاء ،	حُميت بمعجزات ذكرها يولي ذوى الإيمان كل لئاذ
خاء ،	خصصت بها بفضل عناية منها لجأت إلى أجل ملاذ
دال ،	دحضت بحقها مستقريا إبطال زور مشعر بملاذ
ذال ،	ذراع الشاة أفصح نخبرا عما يحاذر ضره بنفاد
راء ،	رमित عصائبنا قد ألبوا فعموا ولما ينصروا بلواذ
زاي ،	زعيم بالوجاهة أنت إذ كل يجاهك عاذ كل عياذ
سين ،	سبقت بكل فضل يغتدى جفنُ المعالي منه ليس بقاذ
شين ،	شأوت مفاخرا كل الورى وتركهم غرقى بلجة آذى
صاد ،	صعدت ذرا لموقف زلفة ترك السعود مقطع الأفلاذ
ضاد ،	ضويت إلى جلال كافل لك بالرضا درّ الجلالة غاذ
طاء ،	طلاييك لديك شفاعة فيها بذذت الجميع أى بذاذ
ظاء ،	ظماؤهم بحوضك سوغوا ريثا كأن به مذاقة ماذى
عين ،	علا ذكر افتخارك وارتقى عن عمر مغتاب وزور الباذى
غين ،	غمام قد علاك مظللا يمشى بمشيك دائما ويحاذى
فاء ،	فصاحتك البليغة أعجزت للقوم من قربى ومن شدّاذ
قاف ،	قواعد صرح كسرى زلزلت لولادة أوهت قوى ابن قباذ
كاف ،	كفلت بماتلته (والضحى) لجماعة الجارين باستنقاذ
لام ،	لدعوتك المجابة أسبلت ثروات هتان الحيا بهماذ
ميم ،	معين يديك إذ غلب الظّا أروى الورى من توأم وفذاذ
نون ،	نجارك أصله متخير من بطن ذات علا وأظهر حاذى

هـاء ، هتفتُ على ثنائى شققى بعلاك هذى ما نجلتِكَ هذى  
واو ، ولو أنى استطعت لسابقت قلى خطا قدمى بالإغـذاذ  
لا ، لا أكيفُ قدر شوق باعث لعزائى مستنهض شحاذ  
ياء ، يمينا لو قدرت إذن لما أخرجت سعى مبادر حذاحذ  
دامت عليك صلاة ربك ماهمت ديم بوبل هاطل ورذاذ  
رجع إلى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الأندلسى .

قال - تقبل الله تعالى منه ! - يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يامن تقدس عن أن يحيط وصف بذاته  
ومن تعالى جلالاً عن مُشبهه فى صفاته  
ومن قبول ثنائى إليه أسنى هباته  
صل على من تبدى نور الهدى من سماته  
ومن علا الفخر لما نعى إلى معلواته  
محمد خير هاد بحلمه وأناته  
محمد خير داع بالصدق من كلماته  
محمد خير مُبْدٍ لناسنا معجزاته  
أكرم به من نبى كهت سما مكرماته  
أعزز به من رسول سمت عُلا درجاته  
وخصه الله منه بالفضل من تكرماته  
لما حباه بأوفى صلاته فى صلاته

مدائح  
فى رسول الله  
صلى الله عليه  
وسلم من نظم  
ابن الجيان

وقال :

يا رب بلغ سلامى لأحمد ذى الشفاعه  
لخاتم الرسل أعنى إمام تلك الجماعة

لأبهر الخلق مجدا	يحكى الصباح نصاءه
لمن صفات علاه	تعجز أهل البراعه
لسيد لسناء	يزهى السنا والبراعه
لمرشد بهداه	قد فاز عبد أطاعه
وناظم الحسنى نظما	قد ضم منه ثعاعه
وسر سرى يامن	أرى العيون اطلاعه
ومن حبا بذكاء	خلاله وطباعه
ومد في كل فضل	لصفوة الرسل باعه
فزده يارب فضلا	وزد محبيه طاعه

وقال أيضاً [ غيره ] :

لقد رفع الإله عن البرايا	بيعت محمد بحن الصروف
أتى والناس في الآفاق هب	لسمر الخط أو بيض السيوف
فأنقذهم ، ولولاه لكانوا	لقى بين الضلالة والحتوف
نبي لا يغفل عليه إلا	سخيف العقل ذو رأى مؤوف
كأغمار اليهود أو النصرارى	أو الفلكى أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعمى	وبعض للتحير والوقوف
زعانف لا يهملك لها رؤاء	فإن الجهل مأخذه الظروف
إذا جارى بمختل ضعيف	فإن صحاحنا فوق الألوف
فبرهان النبوة مستفيض	ندل به على رغم الأثوف
شفوف الرسل متضح ولكن	لأحد الشفوف على شفوف
حروف الخط أصل للمعانى	وللألف التقدم للحروف

وما أحسن قول القائل :

لولا النبي محمد هلك الورى في سوء حاله  
أعلى الورى قدراً وأكرمهم وأظهرهم دَلَالَةً  
ختم الإله به النبوة والطهارة والرسالة  
واختصه دون البرية بالمكانة والجلالة  
بدر الرسالة والصحا به حَوْلَ ذاك البدر هَالَةً  
قذف الحصا في أعين الكُفَّار فاعتنقوا الجدالَه (١)  
وتدبروا ثوب الكآ به بعد إظهار الجداله  
فأصخ إلى أنبائه تعلم بأن المنتهى له  
وإذا ابتغيت وسيلة ومدحته ومدحت آله  
فاقطع بأنك آمن يوم القيامة لا محالة

وقال أبو القاسم سعد بن محمد :

أطلق لسانك بالصلاة على النبي الأبطحي الهاشمي محمد  
واجعل شعارك ذاك تنعج به غدا إن النجاة بذكر يوم للغد

لأبي الين ولأبي الين بن عساكر :  
ابن عساكر

يارب صل على النبي وآله صلواتنا ما دامت الأيام  
واخصص ختوم سلامنا بجنابه كالملك يعبق فض عنه ختام  
واحرص شريعته وأوضح سبلها تبدو بها للسالك الأعلام  
وأدم كرامته وأعل مناره وأنه أعلى مالدك يرام  
وارفع له الدرجات في رتب العلا فهو الذي للمرشدين إمام  
وأقمه بين يديك زلفى موقف للحمد ما لسواه فيه مقام

وَأَنْزَلَ شِفَاعَتَهُ وَأُورِدَ حَوْضَهُ  
وَأُتِمَّ لَهُ مَا لَا يُرَامُ حَصُولُهُ  
وَلَهُ عَلَيْهِ فِي الْأَصْنَانِ وَالضُّحَى  
وَبِهِ إِلَى تَقْبِيلِ مَوْطِئِ نَعْلِهِ

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَلَا إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ  
فَصَلِّ عَلَيْهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ صَلَّى  
وَصَلَّ عَلَيْهِ قَدْ صَلَّتْ عَلَيْهِ  
أَلَا إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ نُورٌ  
وَتَثْقِيلٌ لِمِيزَانِ خَفِيفٍ  
إِذَا صَالَتْ صَلَّى اللَّهُ عَشْرًا  
وَتَحْظَى بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ تَجْفَى  
فَأَكْثَرُ أَوْ أَقَلٌّ فَأَنْتَ تَجْزَى  
فَصَلِّ عَلَيْهِ تُجْزَى جَزَاءَ ضَعْفٍ  
وَأَوْلَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً  
وَأَنْجَاهُ مِنَ الْأَهْوَالِ عَبْدٌ  
فَكَنْ لَهُجًا بِذِكْرِهِ حَفِيًّا  
وَصَلَّ مَدَى الزَّمَانِ عَلَى رَسُولٍ  
وَصَلَّ عَلَى حَبِيبٍ حَازَ فَضْلًا  
وَأَتَاهُ الْوَسِيلَةَ مُسْتَجِيمًا  
وَأَزَلَّهُ وَشَفَعَهُ لِيَأْوِي  
وَأُطِدَّ شَرْعُهُ وَحَى حِمَاهُ  
وَشَرَّفَهُ وَلَمْ يَبْرَحْ شَرِيفًا

شَفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْغَلِيلِ  
عَلَيْهِ وَلَا تَكُونَنَّ بِالْبَخِيلِ  
مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِجِبْرِئِيلِ  
لَدَى الظُّلُمَاتِ فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ  
وَتَخْفِيفٍ مِنَ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ  
بِوَاحِدَةٍ عَلَيْكَ عَلَى الرَّسُولِ  
وَمَالِكَ مِنْ مَقِيلٍ أَوْ مَنِيلِ  
بِذَلِكَ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلِ  
وَتَجْزَى مِضَاعِفَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ  
عَلَيْهِ بِهِ وَأُخْرَى بِالْقَبُولِ  
بِهَا لَهْجٌ بَدَلٌ قَالَ وَقِيلَ  
بِلَقِيَاهُ وَمَنْصَبِهِ الْجَلِيلِ  
كَرِيمِ مُصْطَفَى بَرٍّ وَصُولِ  
مَدَى شَأْنِ الْكَلَامِ مَعَ الْجَلِيلِ  
وَبَلَغَهُ نِهَايَةَ كُلِّ سُؤْلِ  
إِلَيْهِ النَّاسِ فِي ظِلِّ ظَلِيلِ  
وَأَيَّدَهُ بِوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ  
فِي جَمْعِ جَمَلَةِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ

وزاد محبته شرفاً وفخراً      بتفضيل وتنويل جزيل  
وزاد علاه منه بطول عمر      قصى من مواهبه طويل  
وأوردنا عليه الحوض وفدًا      لنروى بالروى من سلسبيل

وله رحمه الله تعالى :

أدم الصلاة على النبي المصطفى      تخلص بذلك من الجحيم ونارها  
وتولّ إقبالاً عليها كلها      هتف المؤذن مشعراً بشعارها  
فالفخر أجمع له فتلقه      من نوبة الأسحار فوق منارها

فهذه عدة قصائد فى مدحه صلى الله عليه وسلم ، أرجو من الله سبحانه أن تكون  
مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللغو ، فإن ذلك والله  
قول لا فعل له ، وإنما هو على نهج أهل الأدب كالحافظ شيخ الإسلام ابن حجر  
 وغير واحد ممن ألف فى الأدب وجمعه .

ولا بأس أن نعرزها بمقطوعات تكون للتكفير زيادة ، وحُق لمن توسل  
بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لا تضيع وسائله ، وكيف وهو صاحب المقام  
الحمود والشفاعة والسيادة ، فمنها قول ابن الجيان المذكور آنفا رحمه الله تعالى :

إلى أحمد المختار نهدي تحية      تفاوح روض المزن بلله المزن  
إذا نافحت مغناه زاد تأرجا      وإن لثمت يمناه قابله اليمين  
أسير أشواقى رسولا بعرفها      لتسعدنا منه العوارف والمزن  
وأرجو إليه الفضل فهو منيله      وما خاب لى فيه الرجاء ولا الظن  
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة      إليه استنادى حين ينبوئى الركن  
به وثقت نفسى الضعيفة بعدما      أضربها من ضعف قوتها الوهن  
إليه صلاتى قد بعثت ومشفعا      سلاماً به الإحسان ينساق والحسن

لابن الجيان فى  
مدح رسول  
الله صلى الله  
عليه وسلم

وقوله رحمه الله تعالى :

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ لَمْ أَكْفَرْ ذَنْبِهِ      بِذِكْرِ شَفِيعٍ بِالذَّنُوبِ مُشْفِعٍ  
وَلَمْ أَقْضَ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً      عَلَى ذِي مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ مَرْفَعٍ  
أَرْجَى لِيهِ النِّفْعَ فِي صَدَقِ حَبِهِ      وَمَنْ يَرْتَجِ الْخِتَارَ لَا شَكَّ يَنْفَعُ  
وَأَهْدَى إِلَى مَثْوَاهُ مِنِّي تَحِيَّةً      إِذَا قَصَدْتَ بَابَ الرِّضَا لَمْ تُدْفَعْ

وقوله رحمه الله تعالى :

يَا أَرْحَمَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالنَّدَمِ      يَا أَرْحَمَ عِبِيدِكَ إِذَا الطَّوْلُ وَالنِّعَمُ  
إِنِّي تَوَسَّلْتُ بِالْخِتَارِ سَيِّدِنَا      الطَّاهِرِ الْمُجْتَنِبِ مِنْ خَيْرَةِ الْأُمَمِ  
إِلَيْكَ مِنْ سَيِّئَاتِي إِنَّهَا عَظُمَتْ      يَا وَاحِدًا لَمْ يَزَلْ قَرَدًا وَلَمْ يَنْمِ  
عَلَيْهِ مِنْكَ صَلَاةٌ كَلِمًا طَلَعَتْ      شَمْسٌ وَمَا خَطَّ فِي الْأَوْرَاقِ بِالْقَلَمِ  
فَهُوَ الشَّفِيعُ الَّذِي أَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ      مِنَ الْجَحِيمِ إِذَا الْكُفَّارُ كَالْحَمَمِ (١)

وقوله أيضاً رحمه الله تعالى :

بِحَبِيبِ الْقُلُوبِ مُعْتَمِدِ الْخَلْقِ أَبِي الْقَاسِمِ النَّبِيَّ الشَّفِيعِ  
قَدْ تَشَفَّعْتَ مِنْ ذُنُوبِي إِلَى ذِي الْعِزَّةِ الْوَاحِدِ الْعَلِيِّ السَّمِيعِ  
فَاشْفَعْ لِي يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الْفَظِيعِ  
لِظُلُومِ لِنَفْسِي قَدْ تَنَاهَى      فِي الْخَطَايَا وَكُلِّ فِعْلٍ شَنِيعِ  
فَإِذَا مَا تَذَكَّرَ الذَّنْبَ فَاضَتْ      مَقْلَقَاتُهُ وَاغْرُورِقَتْ بِالْدمُوعِ  
لَا تُخَيِّبُ رَجَاءَهُ إِنَّهُ مِنْ      رَبِّهِ خَائِفٌ كَثِيرُ الْخُشُوعِ  
وَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ بَدَأَ وَعُودًا      مَا أَضَاءَتْ ذُكَاةً عِنْدَ الطَّلُوعِ (٢)

وقوله أيضاً عفا الله تعالى عنه :

يَا رَبِّ إِنِّ شَفِيعِي مِنْ ذُنُوبِي فِي      يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَيْرُ الْخَلْقِ وَالنَّسَمِ

(١) الحمم : جمع حمة - بالضم - وهي الفحمة

(٢) ذكاء - بالضم - الشمس

محمد خاتم الرسل المبلغ للدين الحنيفي والإسلام للأُمم  
عليه منى صلاة كلما سجع السحام فوق غصون البان والسلم  
وبعد ذلك أعداد الجبال ورمـل الأرض والطير والحيتان والنعم  
كذلك أيضاً سلامى طيب عَطِر عليه ما قام عبد فى دُجَى الظلم  
لله وهو كثيب خائف وَجِل من الذنوب حزين القلب ذو ألم

وقول الشيخ الإمام أبى زيد الفاززى رحمه الله تعالى :

لأبى زيد  
الفاززى

كملت بنعت محمد خير الورى غرر القصائد كلها وحجوها  
واختص دون الأنبياء بدعوة وسع العباد عمومها وشموها  
فاضت على الثقلين منه أشعة طلعت وما عقب الطلوع أفولها  
فالإنس تعلم أنه مقصودها والجن توقن أنه مأمولها  
كم آية بالصدق كان ظهورها كم آية بالسبق كان نزولها  
وكفالك هذا الوحي فهو شهادة لمحمد لزم العباد قبولها  
جمع الإله المكرمات لأمة هذا النبي الهاشمى رسولها  
وقوله رحمه الله تعالى :

أى نور كشف الله به سُدَفَ الباطل عنا أجمعين  
ختم الله به أنواره عندما أكمل سنَّ الأربعين  
وأنا بديل بين عجزت عنه دواعى المدعين  
فهو للناس جميعا مرشد وهو بالله تعالى مستعين  
تركت دعوته وهو الرضا سائر الخلق إليها مُطَّعين  
فأعِذْ أنبياءه فهو مَنى أنفُسِ القائل والمستمعين  
والذى يهدى إلى شرعته فهو مزاح عن عذاب المعين<sup>(١)</sup>

(١) كذا فى ب ، وفى خ « فهو محتاح من العذاب المهيّن » وليس واحد منهما  
بمستقيم ، وأصلحه نا شرب بقوله « فمزاح عن عذاب المبذعين » .

والذى يرغب عن سنته  
وقوله وهو كما قبله لُزُومى :

أصبح فلخير العالمين مناقب  
أتى والورى أسرى فكان غياثهم  
وعَفَى رسوم الكافرين وأهلها  
تقدم كل العالمين إلى مَدَى  
وخص بتشريف على الناس كلهم  
ترقى إلى السبع الطباق ترقيا  
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة  
فسبحان من أسرى إليه بعبده  
وكم عجب أوحى إلى عبده به  
وقوله رحمه الله تعالى :

هاك عن هذا النبي المصطفى  
سبحت صُمُ الحضا في كفه  
وإذا أبدى نبي عبدة  
أى نطق قد روى إعجازه  
حُجَجُ الرسل التى قد سلفت  
فاعتقد صحتها واعمل بها  
ممكّنات العقل لا يجحدها  
وقوله رحمه الله تعالى :

إذا أملت من مولاك قربا  
وصل عليه أول كل قول  
فإن محمدا أعلى البرايا  
فجدد ذكر خير الأنبياء  
وآخره بصبح والمساء  
محلا فى السيادة والعلاء

فهو من شيعة إبليس اللعين  
تدل على التمكين والشرف الأسرى  
بنور سماء ينقلوه عن الإسرا  
فلا قيصر من بعد ذاك ولا كسرى  
تظل به الأوهام ظالمة حسرى  
ومن لم يقل هذا تقوله قسرا  
حقيقا ولم يعبر سفينا ولا جسرا  
يمحها من لا تيسر لليسرى  
وبورك فى السارى وبورك فى المسرى  
فدونك تجميلا ولا تطلب القسرا

خبرا يَقْبَلُهُ مَنْ سَمِعَهُ  
ثم فى كف الهداة الأربعة  
فهو لا ينكر فيمن تبعه  
عن سماع كل من كان معه  
أصبحت فى أحمد مجتمعته  
فدعاوى ضدها منقطعه  
غير أهل الطبع والمبتدعه

لواء الحمد في يديه وكل الناس من دون اللواء  
 فحدث عن دلائله فقيها شفاء للنهي من كل داء  
 ولست بناقل للعشر منها وهل تنفي الزواجر بالدلاء  
 فقل للسامعين قفوا فهذا محال ليس يحصر بانتهاء  
 براهين البسيطة ليس تحصى فدونكم براهين السماء

وقوله رحمه الله تعالى :

أما يمين محمد ويساره فهما سماء  
 كلتاها إن صَوَّحَ المَرعى لنا طعم وماء  
 وإذا أَضَرَّ بنا السقا م وغيره فهما شفاء  
 فأعجب لكف في الوري فيها عن المزن اكتفاء  
 فاقطع بأن محمدًا في الخلق ليس له كفاء  
 فإذا أَصْخَتْ لآية فالنور فيها والضياء  
 هذا الصباح الهاشمي بدا فليس له خفاء  
 فالأرض قد فُتِحَتْ بِمِيعته وفتحت السماء

وقوله رحمه الله تعالى :

بركات رسل الله غير خفية ومحمد خير البرية أبرك  
 هذا النبي الهاشمي هو الذي هُدِيَ الأمام به وبان المسلك  
 كم آية لمحمد كم حجة عز الولى بها وذل المشرك  
 دعواته مسموعة مرفوعة والحس ليس يصح فيه تشكك  
 لاشيء أعجب من دليل واضح يحياه بعض وبعض يهلك  
 أمسك بحبل محمد خير الوري تظفر بقصدك أيها المستمسك  
 وإذا عجبت لغاية في رفعة فحل أحمد غاية لا تدرك

وقوله رحمه الله تعالى :

قَبِّحَ الْإِلَٰهَ الْمَلْحِدِينَ فَإِنَّهُمْ حَجَدُوا الْضَّرُورَةَ  
وَالْمُعْجَزَاتِ تَوَاتَرَتْ عَنْ أَحَدٍ فِي كُلِّ صُورَةٍ  
وَاللَّهُ أَعْلَى كَعْبِهِ فِي خَلْقِهِ وَأَتَمُّ نَوْرِهِ  
كَثُرَ الطَّعَامُ مَعَ الشَّرَا بِبُكْفِهِ عِنْدَ الْضَّرُورَةِ  
وَتَكْنُفَتُهُ عَنَايَةً مِنْ رَبِّهِ أَعْلَتْ أُمُورَهُ  
نَادَى الْبَرِيَّةَ فَالْقُلُوبُ بِإِلَى أَجَابَتِهِ مُصَوَّرَةٌ  
وَحَى الشَّرِيعَةَ بِالْأَدْلِيلِ فَدَعَّ مَعَانِدَهَا وَزُرُورَةَ  
قُلُوبِ الْمَشْكُوكِ حِينَ يَبْدُو فِي تَشْكِكِهِ قُصُورُهُ  
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْكِتَابُ بِفِدْوَنِكُمْ فَأَتُوا بِسُورِهِ

وقال رحمه الله تعالى :

إِذَا بَهَرْتَ لِلْهَاشِمِيِّ دَلَالَةً فَكَمْ حَجَجٍ فِي طَيْهَا وَدَلَائِلُ  
فَكَمْ مَرَّةً آتَى الْغَنَى كَفَّ سَائِلُ وَكَمْ مَرَّةً أَعْطَى الْمَنَى فِكْرَ سَائِلُ  
لَهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْغُيُوبِ شَهَادَةٌ مُعَدَّلَةٌ لَمْ تَبْقَ قَوْلًا لِقَائِلُ  
يَحْدُثُ عَمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ فَقَسَّ آخِرًا مِنْ صَدَقِهِ بِالْأَوَائِلُ  
إِذَا الصَّدَقُ لَمْ يَعْزُزْكَ فِي غَدَوَاتِهِ فَلَا شَكَّ فِي تَصَدِيقِهِ بِالْأَصَائِلُ  
وَحَسْبُكَ فِي الْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ سَتَسْمَعُهَا بِالنَّقْلِ مِنْ قَوْلِ قَائِلُ

وقوله رحمه الله تعالى :

يَاذَا الْمَعْنَى بِهَذَا الذِّكْرِ تَسْمَعُهُ فِي الْمَدْحِ تَأْتِرُهُ فِي سَيِّدِ النَّاسِ  
هَذَا النَّبِيُّ ، وَمَنْ آيَاتِ أَثَرَتِهِ فِي الطَّيِّبِ وَالطَّوْلِ لَا تَجْرِي بِمُقْيَاسِ  
قَدْ انْقَضَتْ مُعْجَزَاتُ الْغَيْبِ وَافِيَةٌ صَحِيحَةٌ بِاسْتِفَاضَاتٍ وَإِحْسَاسِ  
وَهَاكَ نَوْعًا مِنَ الْإِعْجَازِ مُنْتَزَعًا عَنْ نَقْدِ مُنْتَقِدٍ أَوْ صَفْحِ قُرْطَاسِ

لا تعدم النقل عن آثار سيدنا      فإنما نحن فيها بين أغراض  
تَنَقَّلُ الأنف في النوار ينشقه      من ياسمين إلى ورد إلى آس  
إن القلوب إذا اعتلت خواطرها      فذكر أحمد فيها المبرىء الآسى  
وقوله رحمه الله تعالى :

تأدب إذا ذكر المصطفى      بصمت اللسان وغض البصر  
فإن التأدب عند السماع      يفهم في النطق أوفى النظر  
وردد أحاديثها إنها      دليل على صدق خير البشر  
وصَلَّ عليه مدى ذكره      فذلك أفضـل ما يدخر  
ولا تسترب في براهينه      فتسلك مسلك قوم آخر  
فكم آية ظهرت للنبي      وكم أثر عنده قد ظهر  
ومن شك في نور برهانه      على أن برهانه قد بهر  
فكبر على عقله أربعا      وقل فوق طورك هذا الخبر

وقوله رحمه الله تعالى :

اعمل بآثار النبي فإنها نور المبين  
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المسكين  
واشدد يمينك بالشرعية إنها السبب المتين  
خير البرية أحمد      والحق يصحبه اليقين  
ذوقوة عنده الإله مقرب منه مكين  
زان التبيون الورى      ومحمد لهم مزين  
هاد إلى طرق النجا      ة مؤيد فيها أمين  
والهج بمدح الهاشمي فإنه الحصن الحصين  
ولئن فعلت قلن تفو      تك بعد ذا دنيا ودين

وهذا تستديس جعلته للكتاب مسك الختام :

وللناس أعمال فخير وضده وما يحسن الأعمال غير الخواتم  
وإلا فالأمداح النبوية بحر لا ساحل له ، وفيها النثر والنظام ، زاده الله شرفاً وحباه  
أفضل الصلاة وأزكى السلام ! .

وهذه القصيدة من نظم الفقيه الأجل أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشافي  
الأندلسي — نعمة الله تعالى بنيته ، وبلغه غاية أمنيته ! — وترتيبها على حروف  
المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروي فإنه على حرف الميم ، وكذا آخر الشطر  
لذي قبله فإنه ميم أيضاً ، وهذا نصّه بحروفه ما عدا حرف الواو (١) فإنّي لم أجده  
وكلته على منواله :

حل في طيبة رسول كريم	فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الأنبياء	مرشد الناس للطريق السواء
والعالم الملائكة في الأواء	وشفيق العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم	فعليه الصلاة والتسليم
أذهب النور والغياب	فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالباً للأكاذب	وبدت منه للأنام عجائب
صدق أقواله بها معلوم	فعليه الصلاة والتسليم
نبراهين صدقه معجزات	حينما حل حلت البركات
وسمّت أربع به وجهاً	فيه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والخطيم	فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هادياً صدوق الحديث	ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيباً لدعوة المستغيث	وكرماً نداء فوق الغيوث
ونداء بالجوّد جود سَجُومُ	فعليه الصلاة والتسليم

(١) وليس فيها حرف الحاء المعجمة أيضاً

بهيج الحق أوضح الابتهاج  
 خصه الله ليلة المعراج  
 وبتكليمه له التكريم  
 مصطفى مجتبي كريم صَفُوحُ  
 فلا كرامه أجير الذبيح  
 وكذلك الخليل إبراهيم  
 بعثه كات رحمة للعباد  
 ونفى كل باطل وعناده  
 فإذا الحق واضح مستقيم  
 أمه بالشكَاة ظني أخيد  
 وبه كانت الوحوش تلوذ  
 لا تدقني فإني مسموم  
 أشيع الجيش والطعام يسير  
 وهى من يديه عذب تمر  
 معجزات تحار فيها الفهوم  
 حجب النور في السموات جازا  
 فيه في غد نال المفازا  
 أن تمنى يكون منها كلم  
 إنما الحكم منه عدل وقسط  
 حبه في بلوغ قصدى شرط  
 ويزول العنا وتجلي الهموم  
 قد حمى ديننا برعى ولحظ  
 وحبانا بما لدى الرب يُحْطَى

سيد نوره أضاء الدياجي  
 باصطفاء ورفعة ونتاج  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 للنبين جاهه ممنوح  
 ونجا آدم وخلص نوح  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 دلم بالهدى طريق الرشاد  
 ودعا للإله دعوة هادي  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 مستجيرا بجاهه يستعيز  
 وله خاطب الذراع الحنيذ  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 ودعا نخلة فجاءت تسير  
 وله البدر شق وهو منير  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 فاحتوى الفضل والعلاء وحازا  
 وكفى أمة الرسول اعتزازا  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 لم يجز في القضاء والحكم قط<sup>(١)</sup>  
 وبأمداحه ذنوبي تحط  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 ونفى روعنا بأمن وحفظ  
 هاديا راحنا لنا غير فظ

(١) في ب « إنما حكمه عدل وقسط » وفي ح « إنما حكمه بعدل وقسط »

مثل مانصه الكتاب الكريم  
نور برهانه جلا كل شرك  
أخيراً العالمين من غير شك  
وهو في كل حالة معصوم  
ماخير الأنام منهم عديل  
ما عسى مادح الشفيق يقول  
وثناد خـ لاله مرسوم  
نحن لولا اتباعه لشقينا  
وغدا ما نخاف منه يقينا  
من رحيق مزاجه محتوم  
أحمد عند ربه ذو اختصاص  
عدة للمسيء يوم القصاص  
يوم يحفو الحميم فيه الحميم  
بيديه حوائج الكل تقضى  
وينادى الحبيب أنت المرضى  
فتحكم يمضى لك التحكيم  
فاق بالمولد السعيد ربيع  
من هو الذخر والعماد المنيع  
ورؤف بالمؤمنين رحيم  
أفصح الناس في حديث وأبلغ  
طيب الحل قد أباح وسوغ  
فلأحسـ انه علينا عيم  
كان بالحق والهدى معروفا

فعليه الصلاة والتسليم  
وهذه أجار من كل هلك  
فلكم رame العداة بشك  
فعليه الصلاة والتسليم  
انه مُحْتَبَى نبي رسول  
وبأمداحه أتى التنزيل  
فعليه الصلاة والتسليم  
نور برهانه أرانا يقينا  
وكؤسا بجوضه قد سقينا  
فعليه الصلاة والتسليم  
جاهه كامل بغير انتقاص  
وشفيق لكل جان وعاصي  
فعليه الصلاة والتسليم  
ويجازي الذي أجاز وأمضى  
سوف نعطيك ماتحب وترضى  
فعليه الصلاة والتسليم  
إن فيه بدا الجلال الرفيع  
فلأذ المذنبين شفيق  
فعليه الصلاة والتسليم  
بَيِّن الوحي للأنام وبلغ  
ولكم نعمة من الله سوغ  
فعليه الصلاة والتسليم  
أجود الناس بالندى موصوفا

شرف الله قدره تشريفا  
 مجده في العلاء مجد صميم  
 وجهه بالها أضاء وأشرق  
 مسّ في كفه قضيبا فأورق  
 ثم قد عاد وهو بدر سليم  
 جاءه الوحي أنت خير الناس  
 وخذ العفو للأنام وواس  
 فعليك البلاغ والتعليم  
 كان في الله أثبت الناس جاشا  
 فكف من الحصار فلّ جيشا  
 فنجبا المصطفى وخاب الظلوم  
 قد سما قدره بغير تناهى  
 أمر بالتقى عن الشر ناهى  
 وله عنده النعيم المقيم  
 عمدة الخلق للمفاخر حاوى  
 مبلغ المعنى الذى هو ناوى  
 وعليه أثنى الكتاب الحكيم  
 حسنه كالصباح بل هو أجلى  
 واعتلا قدره من السبع أعلى  
 فله الفخر والثناء العظيم  
 خصه الله من رسول نبي  
 وحبّاه منه بنور بهي  
 وصراط الهدى سوى قويم  
 هاديا مرشدا رسولا شريفا  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 مجده في صميمه الأصل أعرق  
 بأصبع قد أشار للبدر فأنشق  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 بلغ الأمر لا تخف من باس  
 وأحهم من مكاييد الوسواس  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 ليس من غيره يخاف ويخشى  
 وعيون العداة بالترب أعشى  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 وعلا جاهه على كل جاه  
 من يطعمه ينل ثواب الإله  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 بحماه يلوذ كل وياوى  
 كيف يحصى ثناء أحمد راوى  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 وندى كفه من الشهد أحلى  
 مدحه في الكتاب ما زال يُتلى  
 فعليه الصلاة والتسليم  
 في جميع الورى بقدر على  
 فهدى الخلق للصراط السوى  
 فعليه الصلاة والتسليم

قال مؤلف هذا الكتاب ، العبد الفقير أحمد بن محمد المقرئ المالكى - وفقه الله تعالى إلى حسن المتاب ، وحباه الدخول في زمرة من رفع عنهم بشفاعة المصطفى خاتمة الكتاب الإصر والعتاب ! - :

هذا آخر ما سمح به الخاطر الكليل ، من هذا المقصد الجليل ، الذى يكون إلى ماوراءه من الطرَف الأدبية خير دليل ، ووضعت القلب حليف شجن وغربه ، والفكر أليف حزن وكربه ، وأنا أسأل الله تعالى الذى لا يرجى سواه ، أن يجعل بنائه ثابتاً بحسن النية حيث البناء الذى فيه حظ النفس واه ، وأن يكون ماطلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفراً ، وأن ينفع به من وجه إليه وجهته ، فإنى قد جمعت فيه ما يندر جمعه فى غيره وكل الصيد فى جوف الفراء .

يا من عليه اتكالى ومن إليه متابى  
جدلى بعفوك عنى إذا أخذت كتابى

واعلم أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ، ولبن يعانى الإنشاء والنثر من البيان السحر ، وفيه من الوعظ والاعتبار ، ما لم ينكره المنصف عند الاختبار ، وكفاه أنه لم ير مثله فى فنه فيما علمت ، ولا أقوله تركية له ، ويعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض ومنه سلمت ، ولو لم يحز من الشرف إلا ختمه بهذه الأمداح النبوية الشريفة ، ذات الظلال الوريقة ، لكان كافياً شافياً ، وها أنا أجعل آخره تنبيهاً للبيب ، قول ابن حبيب :

يا خـير مبعوث له طلعة نور الهدى منها أقر العيون  
جئت إلى ناديك أرجو القرى من غيث كغيثك المغيث الهتون  
كن لى شفيعاً فارتكاب الهوى أوقعنى بين الشجاة والشجون  
صلى عليك الله سبحانه ما هزت الريح قُدودَ الغصون

وقال النواجى :

لقد أفرطت فى حسن ابتداء ورمت تخلصى يوم الزحام  
فبالختار أرجو عفو ربى ليرشدنى إلى حسن الختام

وكان الفراغ منه عشية يوم الأحد المُسفر صباحها عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين وألف ، بالقاهرة المحروسة ، والحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وألحقت فيه كثيراً في السنة بعدها ؛ فيكون جميعه آخر الحجة تقمة سنة تسع وثلاثين وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، دائماً أبداً إلى يوم الدين ، آمين

تم بحمد الله تعالى طبع كتاب «نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب» لمؤلفه علامة المغرب الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، بتحقيق الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، بمطبعة السعادة ، في ليلة العاشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٩ ، وهو الشهر المبارك الذي أتم المؤلف فيه تصنيفه ، والحمد لله رب العالمين ،  
مدير المطبعة

على محمد اسماعيل

## فهرس الجزء العاشر من كتاب

« نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب »  
 للشيخ أحمد بن محمد المقرئ ، المغربي ، التلمساني  
 وهو آخر أجزاء الكتاب

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	فاتحة الجزء العاشر	٢٢	ترجمة ابن زمرك عن الأمير ابن الأحمر
٤	الباب السابع من القسم الثاني من الكتاب ، في ذكر تلامذة لسان الدين بن الخطيب	٣٠	قصيدة لابن زمرك في التهنية بالعيد
٤	الوزير أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن زمرك ، الصريحى ، ترجمة عن « الإحاطة »	٣٦	لابن زمرك في الشكر
٦	عاذج من قصائد ابن زمرك المطولة	٣٧	مقطوعات لابن زمرك في وصف زهر القرنفل
١١	قصيدة له يصف فيها « الزرافة » وقد وفد بها الأحابيش على أبى سالم ملك المغرب	٣٨	قصيدة له يمدح فيها ابن الأحمر وبهنته
١٣	قصيدة أخرى لابن زمرك أنشدها السلطان	٤٠	قصيدة له في المولد النبوى
١٧	من شعره في غير المطولات	٤٤	قصيدة له في التهنية ، وفيها يصف الجند
١٩	تقريظ لكتاب الشفاء عندما شرحه ابن مرزوق	٤٩	قصيدة أخرى في التهنية ، وفيها يصف دار الملك
٢٠	تعليقات من كلام على بن لسان الدين على ما كتبه أبوه في ترجمة الوزير ابن زمرك	٥٦	تخميس له يهنيء فيه ابن الأحمر يهوده من سبته
		٧٠	قصيدة لابن زمرك يهنيء فيها بالعيد
		٧٤	قصيدة له في التهنية أيضا
		٧٩	قصيدة له يصف فيها نزهة لابن الأحمر
		٨٢	مقطوعات له في الشكر
		٨٨	مقطوعات في معان مختلفة
		٩٧	مما أنشده على لحد ابن الأحمر

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٩	له يستعطف السلطان أبا الحجاج	١٤٢	ومنهم الأديب أبو بكر بن جزى الكلبي
١٠٠	من شعره في أبي الحجاج	١٤٢	ومنهم أبو عبد الله الشريشي
١٠١	له يراجع الكاتب أبا زكريا	١٤٣	ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب
	ابن أبي دلالة		القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى
١٠٢	موشحة لابن زمرك ، يتشوق فيها		ابن عبد الله بن طلحة ، الحاربي
	إلى غرناطة	١٤٧	ومنهم الكاتب أحمد بن سليمان
١٠٤	موشحة أخرى له		ابن فركون
١٠٦	موشحة كتب بها إلى الغني بالله	١٤٩	الباب الثامن من القسم الثاني من
١٠٨	موشحة أخرى عارض بها موشحة		الكتاب ، في ذكر أولاد لسان الدين
	ابن سهل	١٤٩	عدة أولاد لسان الدين
١١٠	من موشحاته في الصبوح	—	محمد بن لسان الدين
١١٨	موشحة له في مألقة	—	علي بن لسان الدين
١١٩	موشحة أخرى له في مألقة	—	عبد الله بن لسان الدين
١٢١	موشحة له في الشفاء	١٥٠	ترجمة بقلم لسان الدين لابنه عبد الله
١٢٣	موشحة له يهنئ فيها السلطان موسى	—	من شعر عبد الله بن لسان الدين
	ابن أبي عنان		قصيدة في مولد الرسول ، سنة ٧٦٤
١٢٥	موشحة له أخرى في وصف غرناطة	١٥٣	ومنه قصيدة يمدح بها السلطان
١٢٧	ترجمة أبي العباس أحمد بن جعفر ،		أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر
	السبقي ، الخزرجي ، وذكر بعض	١٥٥	وله في إغدار ابن السلطان
	أحواله	١٥٨	وله ، وأنشدها السلطان ليلة الميلاد
١٣٩	رجع إلى ترجمة ابن زمرك		في سنة ٧٦٥
١٣٩	بعض فوائده ، عن الشاطبي	١٦٠	بين لسان الدين وابنه عبد الله
١٤٠	موشحة لابن زمرك في مدح الرسول	١٦١	علي بن لسان الدين
١٤٢	من تلامذة لسان الدين الطبيب	١٦٢	تذييلات له على كتاب «الإحاطة» لأبيه
	ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا	١٦٢	في ترجمة محمد بن أحمد الهواري ،
			الشهير بابن جابر

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٦٦	من شعر ابن جابر الذي لم يذكره لسان الدين	٢٠٦	من شعر أبي جعفر ، رفيق ابن جابر
١٦٧	مقصورة عجيبة من شعر ابن جابر رتبها على حروف المعجم فيما قبل الألف	٢٠٧	بين ابن عنين والملك المعظم
١٨٢	قصيدة لابن جابر تتضمن التورية بأسماء سور القرآن الكريم	٢٠٨	مقطعات من شعر ابن جابر أيضا
١٨٥	معارضة لقصيدة ابن جابر ، على وزنها ورويها	٢١٧	قصيدة لابن جابر في فضائل الصحابة
١٨٧	قصيدة للشيخ الفلقشندي جرى فيها مجرى ابن جابر	٢٢٣	مقطوعات من شعر ابن جابر أيضا
١٨٩	معارضة أخرى لقصيدة ابن جابر	٢٢٧	من شعر أبي جعفر ، رفيق ابن جابر
١٩٢	خطبة ثرية للقاضي عياض تتضمن التورية بأسماء السور	٢٣٢	عود إلى ذكر علي بن لسان الدين
١٩٤	خطبة لسعيد بن أحمد المقرئ عم المؤلف عارض بها خطبة القاضي عياض	٢٣٣	نصيحة من إنشائه كتبها عن لسان السلطان ، وفيها عجائب مما أوصى به الولاة
١٩٦	من نظم ابن جابر	٢٤٠	وله أيضا على لسان السلطان
١٩٦	وفي معناه لشمس الدين الدمشقي	٢٤٧	وصية لسان الدين لأولاده
١٩٧	من شعر ابن جابر	٢٦١	وصية من إنشاء ابن الجيان المرسى ، كتبها عن ابن هود ملك الأندلس إلى أخيه
١٩٨	رجع لأولاد لسان الدين ، من ترجمة على بن لسان الدين	٢٧٠	من شعر ابن الجيان المرسى
١٩٩	خطبة الكفعمي في التورية بسور القرآن الكريم	٢٧١	من ترجمة ابن الجيان عن « الإحاطة »
٢٠٠	قصيدة في نسق سور القرآن للكفعمي أيضا	٢٧٩	من نثر ابن الجيان رسالة كتب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٣	ترجمة إبراهيم بن علي الكفعمي	٢٨٦	ترجمة ابن الجيان عن « عنوان الدراية »
٢٠٥	رجع إلى نظم ابن جابر	٢٨٧	من بديع نظم ابن الجيان تحميس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
		٢٩٢	قصيدة مخمسة لبعض أهل المغرب
		٢٩٣	قصيدة مخمسة مؤلف هذا الكتاب
		٢٩٤	قصيدة في مدح الرسول الأكرم لابن الجيان المرسى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٥	قصيدة خمسة في المديح لإدريس بن موسى القرطبي	٣٣٥	قصيدة في مدح الرسول لابن العطار
٢٩٨	تقريظ لابن الجيان على قصيدة إدريس بن موسى السابقة	٣٣٦	حديث عن كتاب لابن العطار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٩٩	قصيدة خمسة لابن سهل الإشبيلي	٣٣٧	من قصائد كتاب ابن العطار في المديح
٣٠١	قصيدة خمسة لبعض الوعاظ	٣٣٨	قصيدة أخرى
٣٠٢	قصيدة خمسة لبعض أهل المغرب	٣٣٩	قصيدة أخرى
٣٠٥	قصيدة مخمسة للملك بن المرحل الملقب السدي	٣٤٠	قصيدة أخرى
٣٠٩	قصيدة مخمسة في مدح النبي ، لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي	٣٤١	قصيدة أخرى
٣١٦	قصيدة مخمسة في مدح الرسول الأكرم ، لابن القصير	٣٤٤	لابن العريف ، في مدح الرسول
٣١٧	لجمال الدين بن جلال الدين الجوزي في مدح المصطفى المختار	٣٤٦	لأبي عبد الله بن عمران ، في المديح
٢١٨	تسديس في مديح الرسول ، لمحمد بن العفيف ، الحسني ، الصفوي	٣٤٨	مدائح في رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نظمه بن الجيان المرسى
٣٢٢	تسديس آخر لابن العفيف الحسني الصفوي	٣٥٠	لأبي القاسم سعد بن محمد
٣٢٧	تسديس آخر في مدح النبي المصطفى لأبي عبد الله بن العطار . الجزايري	٣٥٠	لأبي اليمن بن عساكر
٣٣٢	تسديس آخر في مدح الرسول	٣٥٠	قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر
		٣٥٢	مقطوعات لابن الجيان المرسى
		٣٥٤	مقطوعات للإمام أبي زيد الفازاوي
		٣٥٩	تسديس في مدح الرسول من نظم أبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشافي الأندلسي

تمت فهرس الجزء العاشر من كتاب «فتح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب»  
وبه تمام جميع الكتاب ، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ، وصلاته وسلامه على  
سيدنا ومولانا رسول الله ، وعلى آله وصحبه .





COLUMBIA UNIVERSITY



0026814331

893.7M32

Q3

v.10

AUG 4 1959

